عمـورة عمـار

موجز في تاريخ الجزائر

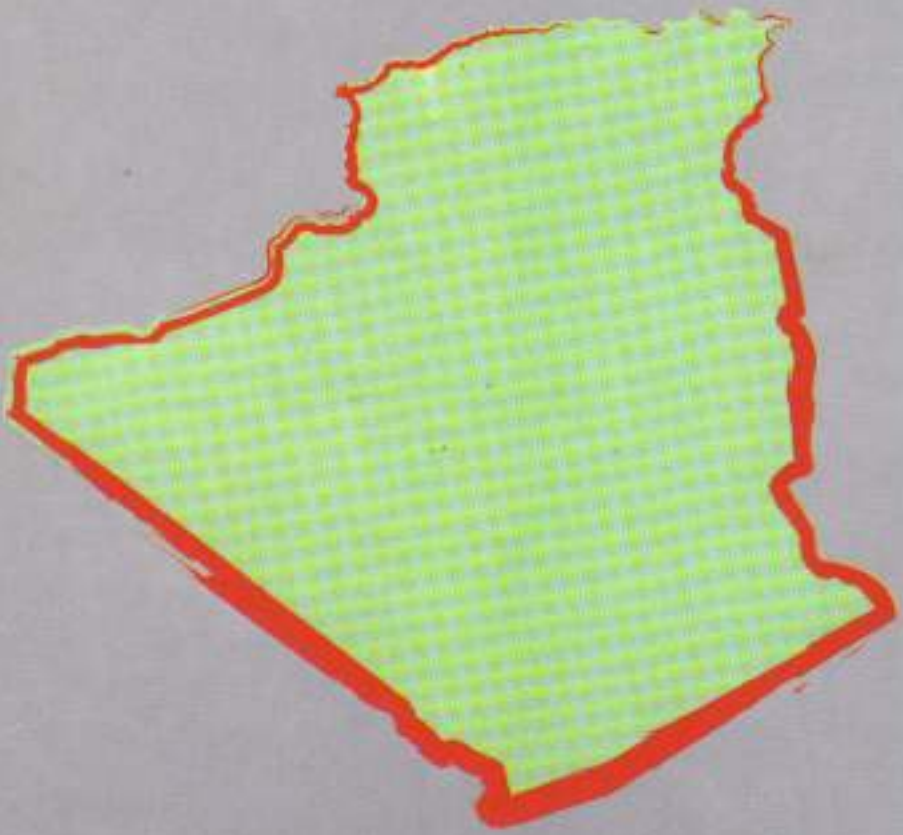

عموره عمار

موجز في تاريخ الجزائر

دار ريحانه

دار ريحانة
للنشر والتوزيع

الإدارة العامة
28 شارع محمد فلاح
القبة- الجزائر

هاتف: 28/33/53 (021)
فاكس: 54/39/15 (021)

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى - 2002 -

الإيداع القانوني:
410-2001
ردمك:
9961-822-34-X

تصفيف، تصميم، إخراج
نوال مجبر

غلاف: أستديو 27

دار ريحانة للنشر و التوزيع

DAR RAIHANA
EDITIONS-DISTRIBUTION

دار ريحانة
للنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن إحياء الروح الوطنية يرتكز في كل الأمم على معرفة تاريخ الأمة، وأن تاريخ الجزائر الطويل حافل بالأحداث الحسنة و السيئة مثله مثل جميع تاريخ الشعوب التي مرت بهذه المعمورة يجب علينا أخذه كله بجدية دون تحريف أو انحياز أو تعصب لفترة على حساب الأخرى مع الاعتراف في نفس الوقت بالجميل لمن أحسن والتشديد على من أساء، وهذا ليكون عبرة للأجيال القادمة يستفيد منه في معرفة ذاته فيعتز بشخصيته ومن ثم بناء مستقبله ويتفادى الوقوع في أخطائه مرة ثانية، ومن غير الممكن معرفة حاضرنا إذا كنا نجهل ماضينا لأن كلاهما مرتبط بالآخر. وأفضل كتب التاريخ هي تلك التي يدونها ابناء الوطن بإخلاص و نزاهة و جدية، ولا ننتظر من الأجانب أن يكتبوا تاريخنا مثلما حدث و يحدث حاليا و خاصة بعض المؤرخين الأوروبيين المعروفين بعدائهم و تشويههم لتاريخ هذه الأمة منذ القدم، فكيف و أنهم حرفوا حتى عصر الأنوار الذي مرت به الجزائر في ظل الحضارة العربية الإسلامية. فكيف ننتظر مثلا من مؤرخ فرنسي أن يكتب عن تاريخ الإحتلال الفرنسي في الجزائر دون التستر عن الجرائم التي ارتكبها الجيش الفرنسي في حق الشعب الجزائري وتمجيد اعمالهم مع أن الحقيقة و ضحة، ويكفي قراءة كتب مؤرخين جزائريين وفرنسيين لنعرف الفرق في سرد الأحداث بين الجانبين. والجو السياسي التي تعيشه اليوم الجزائر على خلاف عهد الحزب الواحد يسمح بكتابة نزيهة لتاريخ الجزائر.

و يتناول هذا الكتاب الموجه لجمهور المثقفين عامة، أهم الأحداث التي مرت بها الجزائر عبر العصور بما فيه التاريخ القديم و الوسيط والحديث، يعطي للقارئ صورة موجزة عن المراحل التي عرفتها الجزائر منذ فجر التاريخ، مرورا بالعهد الفينيقي والروماني والوندالي والبيزنطي ثم الفتح العربي الاسلامي والعهد العثماني واخيرا الاحتلال الفرنسي، وتميزت كل فترة من هذه الفترات بميزة خاصة عاش فيها الشعب الجزائري حياة الشقاء والسعادة، الاستعمار والحرية، التفوق والانحطاط، لكنه لم يستكين يوما إلى الظلم والإستبداد، ولذا لم يتخل أمدا عن المبادئ الثلاثة وهي الحرية والعدل والمساواة. كما أن هذا الكتاب لا يركز على الجانب السياسي مثلما هو موجود في معظم كتب التاريخ، وانما يدرس كل الجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، لأن تاريخ الأمم لا يبنى فقط

من طرف الساسة وإنما يشترك فيه الشعب كله باعتباره هو صانعه الحقيقي. ولا يمكن أن يكون إيجابيا الا إذا كان مثقفوه هم محركوا المجتمع وقدوته.

جزائر ما قبل التاريخ

مرت الجزائر كغيرها من دول العالم بأطوار ما قبل التاريخ. ورغم ان هذه الفترة لازال يسودها غموض لقلة المصادر المكتوبة عليه و هي معظمها اجنبية، اعتمدت بالدرجة الأولى على الاكتشافات التي توصل إليها علماء الاثار من بقايا الأدوات التي كان يستخدمها سكان تلك الفترة، مثل القطع الحجرية والنقوش والهياكل البشرية. وقد اجتازت الجزائر بالعصر الحجري القديم Paléolithique الذي يعتد الى حوالي 12 ألف سنة ق.م و ينقسم العصر الباليوليتي إلى ثلاث فترات الاسفل والأوسط والأعلى، ثم العصر الحجري الأوسط Mésolithique الذي اعتمد فيه الانسان على الأدوات الحجرية كأسلحة أو سكاكين وهي عبارة عن قطوس ذات وجهين، يستعملها في تجزئة لحوم الصيد، وانسكن في الهواء الطلق وفي المغارات. واخيرا العصر الحجري الحديث Néolithique الذي عرفت فيه الحضارة الانسانية تطورا نسبيا يمثل فترة انتقال نحو المدنية ليس في الجزائر فقط ولكن في معظم بلدان العالم، ففي هذه الفترة عرف الانسان الاستقرار والتجمع وبناء القرى الأولى والتبادل التجاري و استخدام النار و الزراعة لمعاشة بعد أن كان يعتمد على التمار البرية والصيد. وتدجين الحيوانات الأليفة كالحصان والبقر والغنم والكلاب، ونقش الرسوم وصناعة الخزف والأواني من الطين، ونسج ثيابه بعد أن كان لباسهم من قبل لا يتجاوز ستر العورة بجلود الحيوانات. وقد عثر في الجزائر وفي بلدان المغرب العربي عن جماجم بشرية يعود اصلها الى العصر الحجري من بينها انسان الأطلس بمنطقة تغسيف بالقرب من معسكر، هذا بالإضافة إلى النقوش التي لازالت موجودة إلى يومنا في البقار والتاسيلي وعين الناقة بولاية الجلفة. والتي ترجع إلى ثمانية الاف سنة خلت تعبر عن نمط الحياة التي كان يعيشها الشخص البدائي، مما يدل على ان هذه الارض سكنها الانسان منذ القدم والدوافع التي أدت به الى الاستقرار في الجزائر هو مناخها المعتدل الجميل و خصوبة ارضها وتوفرها على الانهار و الوديان مما سهل له المعيشة فيها. كما أن الصحراء على خلاف يومنا كانت منطقة خصبة و اهلة بالسكان، وذلك لما كان يوجد فيها من وديان و انهار وبحر وحيوانات مفترسة وأليفة. وذلك ما يتجلى في الرسوم المنقوشة في الصخور

من خيل وبقر وابل وزرافات وأسود وفيل اختفت هذه الحيوانات المفترسة في بداية العهد الروماني. وفي تلك الفترة التي دامت مدة طويلة من الزمن لم تكن توجد حدود بين الدول مثلما هو الحال عليه في يومنا حيث كان الأشخاص يتنقلون من منطقة لاخرى بدون صعوبة ويستقرون أين وجدوا الجو ملائما. ومن الحضارات التي ظهرت في الشمال الإفريقي في العصر الحجري القديم نذكر الحضارة الأشولية والعاترية نسبة لبئر العاتر قرب تبسة وهي امتداد للموستيرية التي ظهرت بفرنسا و ذلك لتشابه الأدوات المستعملة بينهما، من بعدها ظهرت حضارتي الأيروموريـة و عاش فيها إنسان مشتى أفالو وحوطنها السواحل المتوسطية، والقفصية نسبة لمدينة قفصة لتونسية حيث تم اكتشاف بعض آثارها في هذه المنطقة وامتدت للشرق الجزائري. ويعود ظهورها إلى حوالي 8000 سنة. وتنتسب للإنسان ما قبل المتوسطي، وتمركزت بالمناطق الداخلية. لم يعرف فيها الإنسان الزراعة. ولا يعرف إن كان سكانها في تلك الفترة هم من البربر أم لا. وفيما يخص المعتقدات فإن السكان قد لجأوا إلى تعظيم الظواهر الطبيعية كعبادة الشمس والقمر، وكانوا يدفنون موتاهم في قبور ينحتونها في الجبل و يركبون فيها عدة جثث، كما يدفنون معهم بعض أمتعتهم و حليهم. كما ان سكان الجزائر عرفوا الحياة الاجتماعية منذ القدم، أي ما قبل التاريخ. حيث كانت الأسرة في الخلية الأساسية في المجتمع وكان الأب هو المسؤول عنها، فمنهم الرعويون الذين اعتمدوا على الترحل من مكان لآخر لبحث عن الكلأ لمواشيهم، ومنهم من استقر بالمدن حيث الفلاحة. وبانتهاء العصور الحجرية دخل الانسان مرحلة العصور المعدنية (النحاس والبرنز والحديد) وفي هذه الأزمنة قفز الإنسان الجزائري كغيره من سكان العالم قفزة نوعية حيث اصبح يجيد استغلال المعادن ويصنع منها العربات و الأسلحة لحماية نفسه و الدفاع عن وطنه.

البربر

أما سكان افريقيا الشمالية حسب المؤرخ هيرودت Herodote فانهم كانوا يسمون بالليبيين، وسماهم الإغريق والمصريون والرومان من بعد بالبربر وبقيت هذه التسمية إلى يومنا. وتعني كلمة بربر الأشخاص الذين لا يمكن التفاهم معهم وهذا لاختلاف لغاتهم ولهجاتهم وبمعنى آخر شعب غير متحضر، وهي كلمة غير لائقة فرضها الطرف القوي على سكان شمال إفريقيا. وتقول بعض الروايات التي ذكرها المؤرخون العرب "أن افريقس بن قيس بن صيفي من ملوك التبابعة اليمنية. لما غزا إفريقية التي سميت نسبة اليه وقتل جرجيس وبني المدن، لما رأى هذا الجيل من الأعاجم وسمع رطاناتهم ووعى اختلافها وتنوعها تعجب من ذلك وقال: "ما أكثر بربرتكم !". ما المؤرخ الأوروبي بوسكي Rouscurt فيقول بأنها كلمة من أصل لاتيني Barbarus وتعني الشخص الذي لا ثقافة له و الذي ينتمي الى الشعوب المتخلفة التي تعيش خارج نطاق روما "أما البربر فيسمون أنفسهم بالأمازيغ أي الرجل الأحرار.

ومن المؤكد أن الجنس البربري لا يشكل جنس خاص بذاته، وذلك على خلاف الأجناس الأخرى مثل الجنس الآري. فهو متولد عن تزاوج وتلاقح عدة أجناس. فنجد فيه عناصر مختلفة في شكلها و نمط معيشتها حيث نجد البربري الابيض اللون و الأسمر والأشقر الشعر. ورغم هذا الاختلاف الا أن لهجاتهم تنتمي الى عائلة واحدة رغم اختلافها من منطقة لأخرى. وتنتسب لغة اللغة الليبية القديمة، وهي وثيقة الصلة باللغات السامية والحامية مثل اللغة المصرية القديمة، واعتمد التوارق في كتابتها على مفردات " تفيناغ " وقد تم اكتشاف كتابات ليبية هي رموز اللغة البربرية القديمة في منطقة سبنا ودلتا النيل بمصر. كما ان للهجات البربرية الرئيسية ثلاث وهي . زناتة، ومصمودة، وصنهاجة وتتكلم بها بعض المناطق المتواجدة في كل من المغرب والجزائر وتونس.

وقد اختلف المؤرخون الأوروبيون والعرب حول أصل البربر، إلا أن الأغلبية منهم متفقون على أنهم قدموا إلى الشمال الافريقي عن طريق مصر وليبيا مهاجرين من موطنهم الأول بجنوب اسيا الغربي، مما يدل على ان البربر ليسوا هم سكان المغرب الأولين، ورغم ذلك فانهم يعتبرون هم السكان القدماء لشمال الافريقي.

فيذكر المؤرخ الأوروبي بروكوب Procope " بأن عدة قبائل هاجرت من المشرق الأوسط إلى مصر، ونظرا للكثافة السكانية بمصر انتقلوا نحو ليبيا وعندما

وصلوا إلى هيكل هرقل أسسوا عدة مدن واستقروا بها ومن معدهم ولادهم، وكانوا يتكلمون اللغة الفينيقية، وشيدوا ميناء بنوميديا".

أما الروقنصل الروماني على افريقيا سالوست Sallust فيذكر حسب ما قرأه عن كتاب هيمبسال الملك النوميدي" أن إفريقيا اسنعمرت من الجيتول Getules الجزوليون ، وكذلك الليبيون وهم شعب بربري متوحش يعيش من لحوم حيوانات، وبعد هجرة هرقل وموته باسبانيا، تفرق جيشه، المور والأرمينيون والفرس انتقلوا إلى إفريقيا واندمجوا بالأهالي السكان الاصليين وسموا بالنوميديين والمور، وأصبح النوميديون هم الشعب المسيطر".

ويختلف كذلك المؤرخون العرب حول جذور البربر فمنهم من يذكر أنهم من عمل يعني ومنهم من ينسبهم إلى سيدنا براهيم ومنهم من يقول أنهم من غسان ومنهم من يذكر أنهم من قبائل شتى من حمير وقريش والعمالقة والقبط، أما لطبري فيقول أن البربر خليط من العمالقة والكنعان، ونقض المؤرخ الكبير ابن خلدون كل هذه الأقوال ونظريته هي الأقرب إلى الحقيقة حيث يقول " أن البربر هم أبناء كنعان، ابن سام، ابن نوح، أجدادهم سموا بمازيغ، من أصل اسيوي عاشوا في بلاد ما بين النهرين ثم هاجروا إلى الشمال الإفريقي عن طريق مصر، وفي الأخير يقول أنهم بمعزل عن العرب إلا ما تزعمه نسابة العرب في صنهاجة وكتامة، وعندي أنهم من إخوانهم ".

وقسم البربر إلى قسمين . البتر وهم أبناء ماديغيس الابتر بن بر بن مازيغ، والبرانس وهم ابناء برنس بن بر بن مازيغ، فمنهم من عاش حياة البداوة والتنقل، ومنهم من استقر في المدن وتاقلم مع الحضارات القرطاجية والرومانية، ويعتبر البرانس أكثر احتكاكا بالحضارات القديمة من البتر.

ومن قبائل البتر نذكر: مديونة ولواتة ورذتة وزواوة ونفوسة ومطغرة وطماطة وزواغة ومغيلة ونفزة

أما البرنس فمنهم: كتامة وأوربة وصنهاجة ومصمودة ولمطة وهزولة وعجيسة وهسكورة.

وأغلبية القبائل التي لازالت إلى يومنا تتكلم باللهجة الأمازيغية تقطن بالمملكة لمغربية حيث تبلغ نسبتها 45 %، مقابل 30 % بالجزائر، و2 % في تونس ومن المؤكد أن هذه اللهجة تقلص مستعمليها مع مرور السنين لسبب اعتمادهم على

الثقافية أما المعربون من سكان الشمال الإفريقي فحسب اعتقادي انهم من أصل أمازيغي عربهم الإسلام، وذلك ما يتبين من خلال الفترات التاريخية التي مرت بها دول الشمال الإفريقي منذ الفتح العربي الاسلامي فكيف نفسر مثلا انقراض اللهجة الأمازيغية في بعض الجهات من الوطن، وفي نفس الوقت فإن العرب المسلمين على خلاف الرومان والفرنسيين من بعد لم تكن لهم سياسة استيطان، كما أن رسالتهم كانت روحية، وماعدا غزو عرب بنو هلال للشمال الافريقي لاسباب سياسية، والاستقرار به في عهد الصنهاجيين لم تعرف اي هجرة من المشرق الى المغرب، ومع هذا فلابد من الاعتراف بالجميل للفاتحين العرب المسلمين، فعن طريقهم دخلت الجزائر والمغرب العربي كله في عصر الأنوار، بعد ان كان قرونا من قبل يتخبط في ويلات الاضطهاد والضغط الروماني والوندالي والبيزنطي، وفي هذه الفترة التاريخية الاسلامية تمكنت شعوبها من استرجاع سيادتها وبناء دول تصافي بها اتعاله في كل الميادين السياسية والاقتصادية والثقافية من امتثال الدولة الرستمية والحمادية والمرابطية والموحدية والزيانية التي أنجبت قادة عظماء أمثال يوسف بن تاشفين وعبد المؤمن وبلكين ويغمرسن، وفي هذا الوسط ترعرع علماء كبار ساهموا في تطور الحضارة العربية الاسلامية ومن بعدها الاوروبية التي اعتمدت على مؤلفاتهم في رقيها، كابن خلدون والادريسي الخ. هذا ناهيك عن الدين الإسلامي وهو أعز ما تملكه شعوب هذه المنطقة.

العهد الفينيقي
1200 – 146 ق. م

ينتسب الفينيقيون إلى العنصر السامي الذي ينتمي اليه العرب و هم من نسج الكنعاني، هاجر اجدادهم من موطنهم الاول الواقع في تخوم الجزيرة العربية الى شمال بلاد الشام، واستقروا منذ عهد قديم في لبنان الحالية وسواحل سوريا، وسمي وطنهم بفينيقيا. وقد ساعدهم على المنطقة بثروتها من خشب الأرز الذي كانت أشجاره تغطي لبنان، على الاستقرار. وصناعة السفن. وهذه الثروة هي التي جعلت هذه المنطقة تعيش في صراع دائم مع الدول المجاورة لها مما جعلها عاجزة عن تحقيق الوحدة السياسية، فكانت كل مدينة من المدن الفينيقية مستقلة عن الأخرى، ومن أهم المدن التي أنشأوها طرابلس، وأرواد جبيل وصيدا وصور وبيروت وعكا وهي كلها مدن ذات موانئ بحرية، وتعتبر مدينة صور من اهم المدن الفينيقية الواقعة على الساحل، فهي التي شجعت وساعدت ماليا حملات التوسع والبحث عن محطات قصد ممارسة التجارة، ومنها تمت هجرة البشر إلى الجزء الغربي لبحر المتوسط. وكان النزاع والتنافس شديداً بين المدن الفينيقية قصد احتكار الأسواق التجارية، مما ادى بهم إلى البحث عن اسواق خارج ديارهم وبفضل احتكاك الفينيقيين بالشعوب الأخرى، وخاصة المصريين، تفوقوا في ميدان التجارة، وهكذا كان منهم تجار وبحارة وصناع. وبما ان الفينيقيين كانوا تجاراً ماهرين يهدفون إلى الربح اشتاقوا ليم استطلاع بشريا سنده جابو به معظم شواطئ العالم القديم وقد وصلوا في مغامراتهم التجارية إلى البحر الاسود والقوقاز. وكان ضمن العود التجارية التي يصدرونها التماثيل والحلي والثياب الأرجوانية والفخار والزجاج والأخشاب، ويستوردون بالمقابل المعادن، واعتمد التبادل التجاري في عهدهم على المقايضة.

وكان مجتمعهم مقسم إلى عدة طبقات ياتي في أول الهرم الحكام ويليها طبقة الكهنة والأرستقراطيون واخيرا مجلس عامة الشعب، واهم حدث تاريخي قام به الفينيقيون هو اختراعهم للخط الذي تفرعت عنه مختلف الخطوط العالمية من عربية ولاتينية وعبرانية وغيرها. وعلى خلاف الحضارات التي سبقتها لم يوجد من التراث الفينيقي الا العدد القليل وهذا راجع لضياعه ومحوه من طرف الغزاة وخاصة الرومان ومعظم ما كتب عن تاريخ الفينيقيين تم عن طريق المورخين الإغريق والرومان ولكن هؤلاء كانت كتابتهم متحيزة نحو روما ومدنية

لكل ما هو سامي. وكان للفينيقيين أدب يتضمن على الخصوص اشعارا ملحمية ودينية وهذا ما يتجلى في النقوش المكتشفة في قرطاجنة أما ديانتهم فكانت تتمثل في تقديس مجموعة من الآلهة وتقديم القربان لها تحت اشراف الكهنة.

ومن العوامل الأخرى التي أدت بالفينيقيين للتوسع في البحر المتوسط نجد: الصراعات السياسية والعسكرية مع الدول المجاورة التي كانت تريد الاستيلاء على ارضيها ومنها الدولة المصرية والاشورية والامبراطورية الحثية في آسيا الصغرى" هذا إلى جانب الصراعات السياسية الداخلية بين المدن الفينيقية والتنافس بين الأمراء على الحكم، مما جعل الساحل الفينيقي عرضة لأطماع الشعوب المجاورة. وكذلك قلة مساحات الأراضي الزراعية مما أدى بهم للاعتماد على التجارة البرية والبحرية وساعدهم في ذلك وجودهم بالقرب من الساحل وتوفرهم على الأخشاب لبناء السفن فتعرفوا على الطرق البحرية البعيدة، ولبيع منتوجاتهم تطلب منهم البحث عن أسواق خارجية يمكن من خلالها بيع سلعهم للشعوب. فأسس الفينيقيون عدة محطات تجارية في كل من سواحل الشمال وقادس التي تقع في شبه جزيرة ايبيريا والتي كانت غنية بمعادن الفضة والنحاس والقصدير، كما أسسوا مستوطنة ايبزا بجزر البالبار، وقبرص، وردوس، وصقلية التي استقروا على كامل سواحلها الشرقية والغربية، وساردينيا، ومالطة من بعدها مستوطنة ليكسوس الواقعة على الشاطئ الغربي لشمال افريقيا ومدينة أوتيكا على خليج تونس وأخيرا قرطاجنة بتونس. وكان الغرض من تأسيس هذه المدن منه ما هو تجاري ومنه ما هو استراتيجي. وهذا ما يذكره المؤرخ ديودري (Diodore) "بأن الفينيقيين الذين كانوا منذ عهد قديم يبحرون بدون هوادة لممارسة التجارة، أسسو العديد من المستعمرات على شواطئ ليبيا، وفي جهات أخرى من أوروبا الغربية" وكانت هذه المستوطنات حسبه سابقة على تأسيس مدينة قادس". وأدى تأسيس هذه المستوطنات إلى هجرة الفينيقيين من موطنهم الأم إلى الحوض الغربي للبحر المتوسط واختلاطهم بالسكان المحليين. وهذا ما يذكره المؤرخ سترابون (Strabon) "أن التجار الفينيقيين الذين اجتازوا أعمدة هرقل كانوا قد أسسوا مدنا على شواطئ عرب البحر المتوسط، وأيضا بالغرب من وسط الساحل الليبي بعد وقت قصير من نهاية حرب طروادة". كما يقول "بأن الفينيقيين كانوا يملكون أفضل ما هو موجود في شبه جزيرة ايبيريا وفي ليبيا قبل عصر هوميروس". ومن مميزات التجار الفينيقيين أنهم كانوا

سنين يتأقلمون بسهولة مع أي وضع سياسي في المناطق التي ينزلون بها، ولا يتدخلون في الشؤون السياسة الداخلية لأي دولة. فربطوا مع السكان المحليين علاقات تجارية وصداقة سمحت لهم فيما بعد بتأسيس عدة محطات تجارية. وكان الفينيقيون في بداية الأمر يهتمون بالتجارة البحرية ولما أصبحت مدينة قرطاجة بعد ذلك تهيمن على الحوض الغربي للبحر المتوسط بدأوا يعتنون بأسطولهم الحربي حتى يضمنوا لأنفسهم السيطرة الكاملة على المنطقة. عبدات الدويلات الاغريقية تنافس قرطاجة في جنوب إيطاليا وصقلية للتوسع التجاري، فعملت قرطاجة على تحطيم الأسطول الاغريقي وطردهم من بعد من جنوب إسبانيا.

وفي حروبها مع الإغريق والرومان كانت بحاجة إلى جيش، فاعتمدت إلى جانب مواطنيها على تجنيد المرتزقة من السكان المحليين. واستطاعت مدينة قرطاجة بحكم موقعها الاستراتيجي أن تتزعم كل المستوطنات الفينيقية. وكانت في بداية الامر قرطاجة مرتبطة بالوطن الأم مدينة صور التي كانت تمدها بالعون ولم تتحول إلى دولة مستقلة إلا بعد أن كثر عدد المهاجرين الفينيقيين إليها وسقوط مدينة صور في أيدي الأشوريين في القرن السادس ق.م. وبذلك تحول مركز الحضارة الفينيقية إلى قرطاجة. وحل الفينيقيون بسواحل شمال إفريقيا حوالي القرن الثاني عشر ق.م. وشملت المحطات التجارية الفينيقية كامل سواحل بلاد المغرب الشرقية من الحدود الشرقية لخليج السرت إلى مدينة قرطاجة غربا، فعلى طول المسافة الساحلية بين سوسة و قرطاجة أنشئت على التوالي : سوس (Sousse)، نابلس (Néapolis)، طبركة (Tabarca) وكيركوان (Korkouane)، محطة بنزرت (Hippo-Zarit)، عنابة (Regius)، وسكيكدة (Rusicada)، قسنطينة (Cirta) وجيجل (Igilgili)، بجاية (Saldae)، وبلس (Rusuccru)، الجزائر العاصمة (Icosium)، تيبازة، شرشال (Iol)، تنس (Kartennae) و مليلة (Rusadir)، وواصلت حتى المغرب الأقصى تطوان (Tamuda)، طنجا (Tingi)، أغادير، وكانت كلها محطات تجارية. و من هذه المحطات بدأ الفينيقيون يمارسون نشاطهم التجاري مع الأهالي، يتبادلون مختلف السلع. واكتفوا في البداية ببناء المستوطنات والمحطات التجارية على السواحل دون محاولة التوغل داخل الشمال الإفريقي، وكانت تسود علاقة طيبة بين الفينيقيين والسكان المحليين مبنية على المصالح المتبادلة.

نشأة قرطاجة
814 ق.م - 146 ق.م

يرجع تاريخ تأسيس مدينة قرطاجة الى سنة 814 ق. م. من طرف المهاجرين الفينيقيين الذين خرجوا افواجا متتابعة من مدينة صور متوجهين الى إفريقيا حيث أسسوا مدينتهم العظيمة قرطاجة والتي تعني المدينة الجديدة ويرجع الفضل في تأسيسها الى اسطورة اليسا (Elissa). وتذكر الأسطورة بأنه بعد وفاة الملك متان بقي الحكم لابنته الاميرة أليسا وابنه الأمير بغماليون، و كانت اليسا على غاية كبيرة من الجمال فتزوج بها خالها عاشر باس الكاهن الاكبر لمعبد الاله ملقرت الذي كان موفور الثروة. فقتل بغماليون زوج أخته بغية الحصول على ماله. فخافت أليسا على حياتها، وفي غيابه حملت أموال زوجها وأبحرت بها صحبة مؤيديها الى قبرص وهناك نظم اليها كاهنها يونو (Juno) كما حملت معها ثمانين فتاة من قبرص ليكن ازواجا للشباب الذين كانوا معها ومن ثم الى شمال افريقيا فنزلت دلقرب من مدينة اوتيكا وقد رحب بها سكان المنطقة من البربر الذين اباعت منهم قطعة ارض مقدار جلد ثور، قطعت الجلد الى اشرطة صغيرة احاطتها بمساحة تكفي لبناء مدينتها الجديدة. فوسعتها بتشييد بنايات وموانئ ومعابد لممارسة الطقوس الدينية. وساعدها في هذا التسروع السكان الاصليون من النوميديين بمنحهم لها اراضيهم واليد العاملة. وهكذا شيئا فشيئا اصبحت قرطاج عاصمة للمستعمرات الفينيقية.

وتقع مدينة قرطاجة في خليج تونس في موقع استراتيجي مما سمح لها بالهيمنة على البحر المتوسط فأصبحت اول قوة بحرية وتجارية في المنطقة ، فتقاطرت عليها افواج الفينيقيين، مما جعل سكانها يتكاثرون حتى اصبحت تكون امبراطورية. و لى جانب قرطاجة أسس الفينيقيون العديد من المدن من اهمها أوتيك وحضرموت وهي سوسة الحالية بتونس، وذحيتي مضيق جبل طارق قادس ولكسوس. وتمكنت قرطاج من التغلب على منافستها الاغريق حتى قضى عليها الرومان.

وقد وصف لمؤرخ بيان (Appien) مدينة قرطاجة "بانها تشبه السفينة الرسية". اما المؤرخ بوليبيوس (Polybe) فقد ذكر بان "قرطاجة تمتد

من شاطئ خليج وسط شبه جزيرة محاطة بالبحر من جهة، وبالبحيرة من جهة الاخرى. ولا يزيد عرض البرزخ الذي يربطها بليبيا عن خمسة وعشرين ستاد. وعلى مسافة غير بعيدة من قرطاجة عبر التلال، كانت تقع وتيكا بينما تقع تونس على الجانب الاخر من البحيرة".

وكانت مدينة قرطاجة مقسمة الى أحياء حسب الطبقات الاجتماعية التي يتكون منها المجتمع القرطاجي. وفي أول نشأة قرطاجة كان القرطاجيون يدفعون ضريبة سنوية للقبيلة البربرية التي كانت تملك الارض التي أقيمت عليها المدينة. ثم أوقفوا هذه الضريبة لما بلغت دولتهم مركز القوة واعلنوا الحرب على القبيلة وبسطوا سلطتهم على الأراضي الساحلية المجاورة، وشرعوا باستعمارات فلاحية لغرس أشجار الزيتون و الكروم و زراعة القمح والشعير الماشية. وقد نبغ البربر طرق الفلاحة القرطاجية، كما استطاعوا الاندماج في المجتمع البوني فتبنوا لغته ومعتقداتهم. وتعلموا اولادهم في المدارس القرطاجية. كما كانت قرطاج تعتني بصناعة البواخر والنسيج والجلود والفخار والزجاج وتتبادلها مع السكان المحليين بمقابل مواد أخرى. واستمرت الرفاهية القرطاجية حتى الحرب البونيقية الثالثة (149-146 ق. م.) السنة التي حسمت فيها عدوتها روما على تحطيمها واستبدالها في منطقة شمال افريقيا. ولم ينجح النوميديون في السكان الأصليون الوقوف في وجه القرطاجيين لانهم كانوا لازالوا يعيشون على النظام القبلي، كما كانوا يفتقدون إلى الوحدة السياسية. هذا ولابد ان نشير الى ان علاقة سكان المغرب القديم بالوافدين الجدد من الفينيقيين كانت مبنية على التعاون السلمي، ولم يكن التأثير السياسي لقرطاج في البداية جد محدود على السكان المحليين فبالمقابل كان تاثيرها الاقتصادي يتجلى من خلال الممارسات التجارية على مختلف الموانئ والتي تركت أثرا كبيرا على البربر.

واعتمدت سياسة قرطاج على ربط علاقات ودية مع الأمراء البربر المحالفين لها. ولم تحاول التدخل في شؤونهم الداخلية، هذا ولم تكن سلطة قرطاج في بداية الأمر تمارس بصفة مطلقة على كامل شمال افريقيا، فبسطت نفوذها فقط على الساحل لممارسة التجارة ولم تحاول التوغل، واستلزم سنين عديدة لاحتلال باقي الأراضي النوميدية، وساعدها في ذلك المرتزقة من البربر.

نظام الحكم و الإدارة

كان القرطاجيون يخضعون في البداية للملكية الوراثية ثم حلت مكانها الملكية الانتخابية. وتساعد الملوك حكومة تتكون من كبار الموظفين المنتمين الى العائلات الغنية. وكان الحكام يدعون ب Suffètes اما الحكومة فكانت تتألف من مجلسين: مجلس شيوخ يضم ثلاث مئة عضو ومجلس دائم ينتقي أعضاءه من بين أفراد مجلس الشيوخ ينتخبهم الشعب والذي كان له الحق في إعلان الحرب أو السلم. كما كان مجلس الشيوخ يقرر الضرائب ويصدر التشريعات القانونية ويشرف على تعمير المدن وإنشاء الموانئ، وفي حالة ما اذا لم يصوت المجلس حول قرار ما بالأغلبية يعمد الى الشعب لأصدار القرار النهائي. ويقول المؤرخ الألماني المعاصر Beloch " أن نظام الحكم في قرطاجنة قد مر بمراحل تاريخية وسياسية حسب التسلسل التاريخي، ألا وهي أولا مرحلة الحكم المقدس ثانيا مرحلة الحكم الأرستقراطي. وأخيرا مرحلة الحكم الديمقراطي". أما البربر فقد عاشوا في العهد القرطاجي يشكلون إمارات مستقلة الواحدة عن الأخرى ترتكز على النظام القبلي، حيث لا حكم ولا قرار الا للجماعة. اما الرئيس فكان دوره يتمثل في التوجيه والنصيحة والتوفيق بين الاراء. في مسألة الجيش فعلى خلاف الرومان لم يكن القرطاجيون محاربين بطبيعتهم. فقد كان استعمارهم للبلاد تجاريا اقتصاديا، ولم يكن سياسيا أو حربيا. ففي البداية اعتمدوا في الدفاع عن أرضهم على أبناء وطنهم وحلفائهم البربر ولما توسعت رقعة امبراطورياتهم حشدوا في صفوفهم المرتزقة في الأراضي التي ضموها اليهم ولكن يسرحونهم حالما تنتهي الحرب، ولهذا لم يكن لهم جيش نظامي. وعلى العموم لم يتجاوز جيش قرطاج المئة ألف جندي، ويقول ديودوري Diodure "أن من مجموع 75000 جندي لا يوجد إلا 2500 قرطاجي". وكانوا يعتمدون كثيرا على الغزو البحري نظرا لتفوقهم في هذا الميدان. ويلجأ عادة مجلس الشيوخ إلى حل النزاعات الحربية بالوسائل السلمية ولا يدخل في الحرب إلا مرغما. وكان الجيش القرطاجي متكون من المشاة والخيالة، يستعمل في حروبه السيوف والرماح والمقاليع والأحصنة والفيلة والمدافع، وهذه الأخيرة عبارة عن مجانيق تقذف الحديد والحجر. ومما لاشك فيه أن البحرية القرطاجية كانت الأقوى في تلك الفترة بفضل مهارة الحرفيين القرطاجيين وجودة الخشب. حيث كان أسطولهم البحري يتكون بين مئة ومئتي سفينة تمكنوا بها من توفير الازدهار لشعبهم و توسيع رقعة مملكاتهم.

الحياة الاقتصادية و الاجتماعية

اهلها موقعها الاستراتيجي لأن تلعب دورا هاما في الميدان الاقتصادي، ولم يكن القرطاجيون في أول الأمر يهتمون بالصناعة والزراعة بقدر ما كانوا يعتنون بالتجارة التي كانت تدر عليهم أرباحا طائلة. فكانوا يحلبون معادن الفضة والقصدير والرصاص من الدول المصنعة في شرقي المتوسط ثم ينقلها بحولة من هذه الدول الأخيرة ويبيعها للشعوب المتأخرة عن طريق المقايضة. وقد كان القرطاجيون يحصلون على هذه المعادن من مواطنها الأصلية في كل من مقاطعة كرنوبل في جنوب انجلترا، وجزر كاسيتريدس التي كانت تحتوي على معادن القصدير، واسبانيا التي وجدت بها مناجم الفضة والرصاص والنحاس. كما كانت تجارتهم تتم عن طريق البر بواسطة القوافل، وإلى جانب هذه التجارة كان الفينيقيون يتعاطون تجارة الرقيق. وكان القرطاجيون يصنعون ويصلحون السفن وينتجون الملابس وأنواع الالات الزجاجية والفخار والخزف والتماثيل الصغيرة والعاج والحلي وصبغة الأنسجة وصناعة الأخشاب والنقش على الحجارة الكريمة، كما أصبحوا يقلدون مصنوعات الشعوب المصنعة، إضافة إلى هذا كانوا يصنعون الأسلحة الحربية كالسيوف والرماح. وقد برع القرطاجيون في الزراعة، ومن أشهر علمائهم في هذا الميدان ماغون الذي الف العديد من الكتب في الفلاحة من أشهره " دراسة في علم الزراعة ". وقد اهتموا بغرس أشجار الزيتون والكروم والرمان والتين وزراعة القمح والشعير وإنتاج الخمور وزيت الزيتون بالإضافة إلى أنواع مختلفة من الفواكه والخضروات، كما اعتنوا بتربية المواشي كالغنم والبقر والأحصنة و الحمير و البغال و الصيد البحري الذي أسهم إسهاما كبيرا في تموين سكان قرطاج. و تشير كتب التاريخ بأنه في أواخر القرن الرابع ق.م. عندما غزا أجاثوكليس بلاد شمال إفريقيا. ونزل مجنوده في طرف شبه جزيرة اسبونة وجد في المنطقة الريفية المحيطة بقرطاجة بساتين جميلة ومروجا خضراء مليئة بالقطعان والأبقار والخيل. ولتأمين الاحتكار التجاري ارتبطت قرطاجة مع روما بمعاهدتين كانت أولاهما سنة 509 ق.م. والثانية سنة 348 ق.م. وقد نص في هاتين المعاهدتين على حق قرطاجة في احتكار تجارة الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط، وألزمت الرومان وحلفاءهم بعدم تعاطي التجارة على شواطئها قبل أخذ إذن من قرطاجة وبقي الامر هكذا حتى فقدت قرطاجة سيادتها تدريجيا عن صقلية وإسبانيا. فوفرت التجارة الخارجية لقرطاج

أموال طائلة بحيث لم يعرف ميزانها التجاري العجز أبدا. ومن صادراتها زيت الزيتون والخمر والحبوب والأرجوان والسموم المقدرة بالإضافة إلى المنتوجات المصنعة الأخرى مثل الأثاث والأنسجة المطرزة والخزف والحلي والمعادن الخام التي تستخرجها من مناجم الفضة باسبانيا والقصدير من كورنواي والذهب من بامبوك. كما كانت خزينة الإمبراطورية تمول من الرسوم المفروضة على السفن الراسية في موانئ قرطاج.

وكانت عادات و تقاليد القرطاجيين ترفية في مظهرها و جوهرها، فكان الأب سيد الأسرة و له السلطة الكاملة عليها. كما كانت للمرأة مكانة محترمة في المجتمع القرطاجي استطاعت من خلالها أن تتولى بعض المناصب الدينية و السياسية ومن هذه النساء نذكر أليسا وسوفونيسب امرأة هسدروبال. وكان القرطاجيون يبعثون أبناءهم لتعلم التجارة، وسمح لهم الاحتكاك مع الشعوب الأخرى تعلم عدة لغات أجنبية. وقسم المجتمع في عهدهم إلى طبقات يأتي في المرتبة الأولى طبقة الحكام والأرستقراطيين والكهنة ثم عامة الشعب المكونة من التجار والصناع والعمال، ويعدها العبيد، الذين لا يتمتعون بالحقوق السياسية، ولكن كانوا يعاملونهم معاملة حسنة. كما كان المجتمع القرطاجي متفتح بحيث عاش فيه الأجنبيون من اليونانيين والعالميين والصقليين بكل حرية وتمكنوا من الحصول على الجنسية القرطاجية في مدة قصيرة بعد ان برهنوا عن جدارة ونجاح استماجهم في المجتمع. كما تزوج القرطاجيون بالنساء الأجنبيات. وكانوا يحرمون اكل لحم الخنزير، ويرسمون بدا بشرية على أبوابهم لتقيهم من العين. كما كان لباسهم يتكون من قميص طويل وطربوش يوضع على الرأس بالإضافة إلى برنوس في بعض الأحيان، أما شعر رؤوسهم فكان قصيرا ولحاهم متوسطة الطول. وكانو يستعملون الكحل والحناء للزينة، و تركت هذه العادات والتقاليد آثارا لدى السكان الأصليين من البربر. كما كانوا يمضون أوقاتهم الترفيهية في السيرك حيث يستمتعون بمشاهدة الحيوانات المفترسة التي تزخر بها المنطقة كالضبع والأسد والفيل والزرافة وابن اوى

الحياة الفكرية والدينية

أن حياتهم الفكرية فتمثلت فيما تركه علماءهم من مؤلفات شعرية وفلسفية وتاريخية وعلمية، ومن أشهر علمائهم في ميدان الفلاحة ماغون Magnn الذي كتب الكثير في هذا الاختصاص، ومن المؤرخين سلينوس Silénos، ومن فلاسفتهم أسدروبال) Asdrubal. ومن أهم المؤثرات البونية في البربر هي اللغة الفينيقية التي انتشرت انتشارا واسعا بينهم، واستمرت لغة التخاطب إلى وقت متأخر من الحكم الروماني. ومن أعظم أثر عمراني تركه الفينيقيون هي مدينة قرطاجة التي لا تزال أطلالها شاهدة على هذه العظمة إلى يومنا هذا. وكانوا يقلدون في بناء مساكنهم وأوانيهم الخزفية الفن الإغريقي والمصري.

أما حياتهم الدينية فكانت تتمثل في عبادة الآلهة، وتمتاز بتضحيات قاسية، فكان لكل مدينة الهها و هو تمثال يقدم إليه القرطاجيون الذبيحة من الحيوانات وأولادهم قربتا اذ ألزم الأمر ليكفروا عن خطاياهم، ومن أشهر آلهتهم "بعل" وهو أكبر الهة قرطاجنة، وقد أسس القرطاجيون العديد من المعابد لآلهتهم نذكر منهم معبد أشمون وبعل حمون وتانيت يقيمون من أجلهم أعيادا ويشرف عليها كهنة كما كانوا يعتنون بدفن أمواتهم إذ يقيمون من أجلهم احتفالات تحفظهم من شر العالم الآخر، لأنهم كانوا يعتقدون بخلود النفس البشرية، والقبر عبارة عن بيت تحت الأرض مبني بالحجارة الجميلة المزخرفة، وقد يدفن الميت مع جواهره وبعض الأنية الفخارية وأدوات زينة ومصباح وأباريق، وقد سادت منذ القرن الرابع قبل المسيح عادة حرق الأموات وحفظ رمادهم في وعاء داخل القبور. وتركت ديانتهم تأثيرا لدى السكان المحليين، فقد كانت بعض آلهتهم موضع تقديس من البربر، خصوصا بعل وتانيت وبعل حمون الذي هو إنه مزدوج يمثل البربر والفينيقيين.

حـــروب قـرطـاجـــة

الحـروب البـونـيقـية الإغـريـقـية

بينما كان الاغريق يحتلون الجزء الشرقي من جزيرة صقلية، كان القرطاجيون يحتلون الجهة الشمالية والغربية، وكان الاصطدام محتمل بينهم، لأن الاغريق كانوا ينافسون قرطاجة في منطقة نفوذها بجزيرة صقلية. فدخلت قرطاجة في حرب مع الإغريق، استطاعت خلالها التغلب عليهم، ثم انهزمت في معركة هيمر سنة 648 ق. م انتصر على إثرها القائد القرطاجي همبلكار. وفي سنة 395 ق م قاد القائد القرطاجي ماغون Magon حملته في صقلية. ووقع دونيس طاغية سرقوسة عدنة مع قرطاجة ثم نكثها واندلعت الحرب من جديد فخسر على إثرها القائد القرطاجي. ثم استانفت الحرب بين القرطاجيين والإغريق في صقلية ولم يحصل أي الطرفين على النصر، فنقلت الحرب إلى شمال إفريقيا، وتولى الحملة ضد قرطاجة القائد الإغريقي أغاطوكل (Agathocle) فحاصر قرطاجة سنة 310 ق.م بينما كان القرطاجيون يحاصرون بدورهم سرقوسة. وعاد القائد أغاطوكل ليخلص سرقوسة ثم عاد من جديد إلى شمال افريقيا وألحق بالجيش القرطاجي شر الهزيمة فاستولى على العديد من المدن، ودامت هذه الحروب أربع سنوات، وعند ما لم يصل أغاطوكل إلى هدفه وخسر المعركة في نهاية الأمر، اضطر في الأخير إلى عقد هدنة مع القرطاجيين أعاد بموجبها اي قرطاجة كل المدن التي استولى عليها واستمرت هذه الهدنة إلى وفاته سنة 289 ق. م. ثم استأنفت الحرب من جديد ضد القرطاجيين دون أن يفسح الإغريق.

الحـروب البـونـيقـية الرومانية

الحرب البونيقية الأولى (264 - 241 ق.م)

دامت الثلاثة حروب بين قرطاجنة و روما ما يزيد على القرن من سنة 264ق.م إلى 146 ق.م أدت في النهاية إلى سقوط قرطاجنة واحتلال الامبراطورية الرومانية لإفريقيا، وسبب هذه العداوة انتشار نفوذ قرطاجنة في البحر المتوسط وظهور السلطة الرومانية بجنوب إيطاليا.

فوقائع الحرب الأولى كانت تدور بصقلية حيث أصبحت الدولتان وجها لوجه، فبينما كان القرطاجيون يحتلون مسينا كان الرومان موجودين في ريجيوم، وسبب

سمو الحرب بينهم يرجع للمرتزقة المامرتيون الذين كانو جندا مأجورين في س ـ لاعريقي فيرون لتاني Hieron II حاكم صقلية الشرقية عندما أنهو حملتهم عسكرية وكانوا متوجهين إلى بطالب احتلو مدينة مسانا وقاموا بقتل سكانها. سجن ليهم فيرون وحاصرهم ثم تدخل الاسطول القرطاجي الذي كان متواجدا ساحل فاستولى على مسينا و ارعم المرتزقة على الرحيل، فاستنجدوا بروما التي سمحت معاهدة السلم المنعقدة مع قرطاجة واعدت لهم حيثا كبيرا. ودارت المعركة بينهم بعيليس Mylès سنة 260 ق.م ثم ايكونوموس Ecnomus سنة 256 ق.م وكان النصر فيها للرومان، فتشجعو بعده الانتصارت و بعثوا بجيش إلى افريقيا وتم يتم لهم النصر حيث وقع قائدهم ريغولوس Regulus وجنده سأيدي قرطاجيين و الحقو بهم هزيمة نكراء سنة 255 ق.م، ثم بعثوا سجينهم ريغولوس ني روما لطلب الصلح وإملاء شروط قرطاجنة، لكن مجلس الشيوخ رفضها. تم تحددت الحرب بينهما ثانيا بصقلية بقيادة القائد عملقار فحسرتها قرطاجنة وركنت ني الصلح والتسليم في صقلية لعدوتها روما سنة 241 ق.م

ولم تكد تنهي الحرب البونيقية الأولى اوزارها حتى تهددت قرطاجنة ثورات جندها المأجور من النوميديين بقيادة ماتو والمرتزقة بزعامة سبيندیوس لسوء معاملتها بإهم والتقاعس في دفع مرتباتهم، وتمكنوا من حصارها وكادت قرطاجة تسقط لولا تدخل عملقار Amilcar لإخماد تمرد الثائرين، فحصارهم بمضيق بين جبلين يقال له طريق الفأس، وقطع مواصلاتهم حتى هلكوا على اخرهم جوعا وعطشا وقتلا، وكانوا حوالي عشرين ألف. وانتهى هذا التمرد سنة 238 ق.م بعد ان دام حوالي ثلاث سنوات، وبينما كان القرطاجيون مشتغلين بثورة جندهم المأجور انتهزت روما هذه الفرصة واستولت على سردانيا وكورسيكا.

الحرب البونيقية الثانية (219 ق.م- 201 ق.م)

بعد انتصاره على تمرد المرتزقة الثائرين عظمت شعبية عملقار فحاول إصلاح نظام الحكم القرطاجي ولكن الأسر المهيمنة على الحكم عارضته، وللتخلص منه عينوه لفتح إسبانيا وهناك سيتولى على عدة مدن وبدأ يشرع في محاربة الرومان إلا أن الظروف لم تسمح له حيث توفي سنة 229 ق.م دون قتال الرومان، فخلفه زوج ابنته أسدروبال Asdrubal الذي اسس مدينة قرطاجنة الجديدة جنوب شبه الجزيرة الإيبيرية، ومن بعده خلفه سنة 220 ق.م حنبعل ابن عملقار الذي كان يبغض الرومان فترك أخوه الأصغر أسدروبال بإسبانيا وسير جيشا ضخما متوجها به لاحتلال روما ناقضا بذلك المعاهدة التي تمت بين أسدروبال والرومان عام

230 ق.م والمتعلقة بحدود الدولتين فاستولى به على عدة مدن ثم تقدم في فصل الشتاء فاحتاز جبل البيريني وقطع جبال الألب بعد مشاق وصعوبات هلك على إثرها الكثير من جنوده وفيلته جراء البرد والثلوج ولم يبق معه الا حوالي ستة وعشرون ألف جندي تمكن بفضلهم من الانتصار على الرومان في عدة معارك بالجنوب الشرقي من إيطاليا وقتل حوالي سبعين ألف من الرومان سنة 216 ق.م واستمر في انتصاراته حتى كاد أن يقضي على روما لولا تقاعس قرطاجنة من امداده بالمال والجنود، فسرع إليه أخوه أسدروبال بقوة عسكرية متكونة من الإسبان والغاليون. لكنه قتل قبل أن يصل إليه. وفي تلك الفترة سنة 205 ق.م عين القائد العسكري سيبيون قنصلا عاما لروما، فتحصل على ترخيص من مجلس الشيوخ الروماني بتنظيم حملة عسكرية ضد قرطاجة في شمال إفريقيا، ونظرا لتخوفة من قرطاجنة التي كانت في ذلك الوقت تهدد روما وعدم معرفته بالأرضية الإفريقية اتصل بملك نوميديا الشرقية ماسينيسا Massinissa وملك نوميديا الغربية سيفاكس Syphax لمساعدته، ولكن سيفاكس المتزوج من بونيقية فضل التحالف مع قرطاجنة.

فنزل الجيش الروماني بقيادة سيبيون الإميلي Scipion Emilien ومساعدة ماسينيسا بإفريقيا ودخلوا في معركة مصيرية ببلدة زاما بتونس سنة 202 ق.م استطاعوا من خلالها القضاء على الجيش القرطاجي الذي كان يقوده حنبعل، وانتهت هذه الحرب بتوقيع معاهدة سنة 201 ق. م تم بموجبها تنازل قرطاجنة عن ممتلكاتها خارج افريقيا وتسليم أغلبية سفنها وتسريح جيشها ومنعها من انشاء أية حرب د خل وخارج افريقيا دون إذن من روما، وأن تدفع غرامة مالية حربية لروما، وأن تحتفظ قرطاجة باستقلالها وممتلكاتها في إفريقيا، كما نصت في نفس الوقت على حق ماسينيسا في المطالبة بأراضيه. بعد ذلك حاول حنبعل اصلاح حال البلاد والجند بتحقيق العدل وتقوية قرطاجنة، فلم ينجح بسبب معارضيه الأرستقراطيين خوفا على امتيازتهم فدبروا له مؤامرة اضطرته الى مغادرة بلاده متوجها نحو سوريا وهناك انضم إلى قوات ملكها أنطيوخس، وحاول تنظيم حلف لمواجهة روما لكنه لم يفلح فطارده جواسيس روما، ولما اكتشفوا مخبأه حاصروه فتجرع كأس من السم كان يحوزته ومات مسموما بمدينة أنطاكية بالشام سنة 183 ق.م .

ماسينيسا

وفي أثناء هذه الحروب اليونيقية عمل ماسينيسا على التوسع لحسابه الخاص بضم بعض مستعمرات قرطاجة إلى نفوذه. وهذا بعد انتصاره على منافسه سيفاكس ملك نوميديا الغربية وضم أراضيه إلى ملكه، وكانت فكرة ماسينيسا تهدف من البداية إلى التخلص من كل سيطرة أجنبية. فكانت طموحاته كبيرة في تصبح كل نوميديا مستقلة تحت حكمه. ومن الدوافع التي أدت بماسينيسا إلى انقلاب على قرطاجنة بعد ان كان من قبل حليفاً لها، هو تدخل هذه الأخيرة رفقة سيفاكس في شؤون مملكته. هذا بالاضافة إلى إغراء القائد سيبيون له في حالة تحالف معه باستعادة أجزاء مملكة والده من مغتصبيها القرطاجيين. ولهذا الغرض تحالف مع الرومان للقضاء على قرطاجة. وكان شعاره آنذاك "إفريقيا للافريقيين" وكنت تعني إفريقيا في وقته بالمغرب العربي حاليا. ودامت الحروب التي خاضها ماسينيسا ضد قرطاجة طيلة حكمه أي خمسين سنة. والغريب في الأمر حسب نموذج أبيان (Appien) أن ماسينيسا تربى في أحضان قرطاجة و زوج إحدى بناته إلى قرطاجي بوني. وقد استطاع ماسينيسا استرجاع مملكته وتوسيع أراضيه التي كانت تابعة للدولة القرطاجية في خلال فترة تاريخية تمتد من 201 ق. م. إلى 150 ق. م. فوحد مملكة نوميديا الشرقية والغربية، ونظمها حسب النموذج القرطاجي. فعم الازدهار الاقتصادي في عهده. وكان يعمل ماسينيسا على دفع النوميديين إلى الارتباط بالأرض والتخلي عن حياة الترحال، فشجعهم بذلك على العمل الزراعي، فتعلم النوميديون كيفية استغلال الأراضي الخصبة وممارسة الزراعة حتى أصبحوا يصدرون الحبوب من قمح وشعير إلى روما. وسبب نجاحهم في الميدان الزراعي هو استفادتهم من التجربة القرطاجية في استصلاح الأراضي ووسائل الإنتاج. كما أنشأ أسطولا بحريا وكون جيشا منظما واعتمد في تمويل خزينة مملكته على الجباية التي فرضها على مواطنيه من النوميديين. وربط مملكته بعلاقات تجارية مع كل من قرطاجنة وروما وإسبانيا واليونان. وتوفي ماسينيسا سنة 148 ق. م. عن سن يفوق مائة سنة ودفن في عاصمة مملكته مدينة سيرتا (قسنطينة).

الحرب البونيقية الثالثة (149 - 146 ق.م)

على اثر هزيمة زاما انتهز البربر فرصة ضعف قرطاجنة فأخذوا يهددون سلطتها و يشنون عليها الغارات و في مقدمة هؤلاء ماسينيسا. و كانت روما تساعد البربر خفية على إيقاع الثورة ضد قرطاجنة بعد كانت هذه الاخيرة تطالب روما بعث لجنة تحقيق لدراسة الوضع و كانت تبعث اليها لجنة ماسينيسا و في احدى المرات ارسلت روما حد سانيبا وهو قنصل للبحث عن اموال فريقيا وأثناء تجواله شهد له وصلت الله قرطاجنة من بهجة وما تزخر به من خيرات فلاحية وما يتمتع به شعبها من رخاء، فلما رجع طلب من مجلس الشيوخ الروماني مهاجمة قرطاجنة و على في مجلس الشيوخ "لابد من تخريب قرطاجنة" من هذه الصخرة قرطاجنة الى إعلان الحرب ضد ماسينيسا منتهكة معاهدتها مع روما بعد حصر هذه الاخيرة على اعلان حرب ضدها سنة 149 ق.م فحاصرت قرطاجنة ثلاثة سنوات خلالها القرطاجيون الجوع والوباء ركعوا في النهاية الى الاستسلام وقبلوا جميع الشروط مع كتب تاسية عليهم فسلموا اسلحتهم وسفن حربيتهم لكن لما رأوا عزم الرومان على تدميرهم ثاروا ثورة قاسية وقاوموا مقاومة عنيفة واستعدوا لكل الوسائل المتوفرة لديهم فبدؤوا في صنع الاسلحة حيث استعملوا سقوف معابدهم وقصورهم العالية وصنعوا من النحاس الاسلحة لكن تفاعل عدد الاسلحة في الجوهر من الرومان الذين كانوا مزودين بها، وفي الأخير كانت عودة أعداد الرومان يقدرون بثلاثين ألف جندي مجهزة في انتظام امام مدينة قرطاجنة سنة 147 ق م بعد ان احتفظت هذه الاخيرة بقيادة القرطاجيين بقيادة (اسدروبال) المعتدين داخل المدينة التي حاصرها الرومان وعانى سكانها الجوع الى ان سقطت قرطاجنة في أيديهم سنة 146 ق م وعندما تمكنت المدينة ان تسقط في يد سيبيون حاول (اسدروبال) الذهاب الية لكنه يبطئ العقوبة، وعندما علمت زوجته بعد فعل زوجها صعدت الى سطح المعبد مع ولدها وبادت الفاتح الروماني سيبيون مشهد الكئيب الذي رحمت ايه الروماني لكن التجرع لاتت تتصرف بالحقوق التي تستحقها الحرب، لكني اطلب من الية قرطاج وعدت ان تعاقبوا زوجي (اسدروبال) لأنه خان وطنه وأنهته وأمرأته واولاده "ثم رمت بنفسها مع ولدها في نار اشعلتها لهذه الغاية ولمجد ان القرطاجيين لم الابد ان يروه الرومان قرطاجنة تدمر وحولوها الى بقاطعة رومانية وهكذا سقطت اقوى قرطاجنة بعد ان دام ملكها و شعبها اربعة عشر ستة قرون.

العهد الروماني
146 ق. م - 430 م

... لحيرات التي دفعت روما لاحتلال شمال افريقيا الوجود الفينيقي الذي ... يدعيها في البحر المتوسط. فعملت على تقليص نفوذه شيئاً فشيئاً حتى ... حصرت نفوذها على حوض البحر الأبيض المتوسط كله. وتمكنت من ... الفلاحة ... التي كانت تزخر بها افريقيا. وبعد تحطيم قرطاجة سنة 146 ق م تم ... احتلال ... مستعمر لروماني الشمال الافريقي مباشرة وكلية. وانما تم تدريجيا واكتفوا ... في البداية بالنواحي المجاورة لقرطاج أي تونس وحولت أوتيك الى عاصمة ... ية. وفصلت المستوطنات الرومانية عن المملكة النوميدية بحدود. وفي نفس ... وقت كانت روما تتحسس أوضاع لنوميديين و تفتعل المؤامرات ضد حكامها.

حكم الملوك النوميديين

يوغورطا

ترك ماسينيسا أولاداً كثيرين ومن أبرزهم ثلاثة وهم ستمبعل Mastanabal ... وعدربعل Gulussa وميسيبسا Micipsa. وحسب ما يقول بعض المؤرخين خوف من ... حصول أولاده في صراع على العرش النوميدي أوصى ماسينيسا قبل موته القنصل ... روماني سيبيون الايميلي بتسوية امر الخلافة بين أبنائه. الا انه حسب رأيي فان ... سيبون قام بهذا التقسيم لاضعاف مملكة نوميدية وخلق الفرقة بينهم ومن ثم ... سهل سيطرة روما على الاراضي النوميدية وهذا ما تم فعلا. فقسم هذا الاخير ... سؤولية فيما بينهم فاسند قيادة الجيش الى غولوسا والادارة الى ... ميبسا وكلف ستمبعل بمهمة القضاء. وبعد وفاة احدهما تولى ميسيبسا جميع ... سؤوليات في بلاده. و صبح ملكا لنوميديا كلها وتولى حكمه الى سنة 118 ق م ... ولم يكن الشبع ميسيبسا فقد كان يحب الحياة السهلة ولا يهتم بشؤون مواطنيه، ... يمضي وقته في لمطالعة. ولهذا كانت السلطة الحقيقية في يد الرومان. فكانت

تقتصر مهامه على تمثيل دور الحليف المخلص لروما يزودها بما تحتاجه من قمح، وما تطلبه من جنود للدفاع عن امبراطورية روما. وكان هذا التصرف لا يعجب السكان النوميديين. وفي هذه الفترة ظهر يوغورطا حفيد ميسيبسا الذي ربي في بلاط ملكه وكان الشعب النوميدي معجبا بذكائه وشجاعته. ووصفه المؤرخ الروماني سالوست Salluste كالاتي . "كان يوغورطا لامعا بقوته وجماله. وعلى الأخص بقوة شخصيته. فلم يسمح لنفسه أن يفسده البذخ والميوعة، كان يمارس كل انواع الرياضة التي كانت معروفة في بلده، يركب الخيل، ويمارس لعبة الرماح، ويسابق الشبان أمثاله وبالرغم من أنه كان ينتصر عليهم جميعا، فإنهم كانوا يحبونه، وفي الصيد الذي كان يشغل أكثر وقته. كان دائما أولهم في ضرب الأسد وغيره من الحيوانات المفترسة، وعلى الرغم من أنه كان أكثر أصدقائه نشاطا، فانه كان أقلهم كلاما". ولهذه الخصال كان عمه الملك ميسيبسا معجبا به، وفي نفس الوقت يكرهه خوفا من أن يستبد بالعرش بعد وفاته دون بني عمه، وللتخلص منه أرسله إلى إسبانيا ليحارب هناك مع الجيش الروماني رفقة الجنود النوميديين بعد أن استنجد به الرومان، فلمع اسمه في المعركة واكتسب شهرة نظرا لانتصاراته وشجاعته الفائقة التي نالت اعجاب القائد الروماني سيبيون Scipion فقد أوعز هذا الأخير إلى ميسيبسا بأن يشاركه في ورثة العرش النوميدي مع ولديه وهذا ما تم فعلا. وبوفاة ميسيبسا قسمت المملكة بين ابنيه أدربال Adherbal وحيمبسال Hiempsal وابن عمهم يوغورطا Jugurtha، وكان هذا الأخير يرفض تجزئة نوميديا ويطمح لتحريرها من كل القيود، ولهذا إقترح إلغاء المراسيم التي وضعها ميسيبسا لصالح الرومان فاتضح ليوغورطا أن لا مجال للتفاهم مع ابني عمه، فاشتدت الأزمة بينهم ودخل يوغورطا في حرب ضدهم فقتل حيمبسال، ولما سمع أدربال بمقتل أخيه استنجد بالرومان فتدخلوا سياسيا مبعث وفد يمثل مجلس الشيوخ الإيطالي برئاسة أوبيميوس Opimius لحل النزاع القائم بينهم، فأعادوا أدربال إلى حكمه ومنحوه المنطقة الشرقية من نوميديا أما يوغورطا فقد تحصل على المنطقة الغربية، غير أن يوغورطا كان يهدف إلى توحيد نوميديا تحت حكمه والتخلص من السيطرة الرومانية، فاستولى فيما بعد على القسم الباقي والذي كان بحوزة ادربال فدخل إلى مدينة سيرتا Cirta وقتل فيها أدربال والايطاليين الذين دافعوا عنه، وقد أغضب قتل الجالية الرومانية حكومة روما فأعلنت سنة ١١١ ق.م الحرب على يوغورطا وأعدت له جيشا كبيرا، إلا أن قادة الجيوش الرومانية كالبورنيوس باستيا Calpurnius Bastia وscaurus سرعان ما عقدوا الصلح أو صلحا مع

يوغورطا يطلب من هذا الأخير الذي التزم بموجبها بدفع الذهب لهم كرشوة. وبه يوافق مجلس الشيوخ الروماني على هذا الصلح. واتهم خصوم باستبا هذا الاخير بالرشوة فاستؤنفت الحرب من جديد، رغم أن يوغورطا ذهب بنفسه إلى روما لأداء الشهادة و يحتذر، فغادرها قائلا كلمته المشهورة "في روما كل شيء يباع". وعند عودته إلى سيرتا أعلن يوغرطة الحرب على روما وألحق بالجيش الروماني الذي كان يقوده ألبينوس Albinus هزيمة سنة 110 ق.م. وفي سنة 109 ق.م أسندت روما المهمة للقائد الروماني ميتيلوس Metellus فأخرج هذا الأخير انتصاراً على يوغورطا في معركة زاما فخارب وخرب المدن التي خرجت عن طاعته. وانظرا للتفوق الروماني من حيث العتاد والعدة استنجد يوغورطا بصهره باخوس Bocchus ملك موريطانيا فانضم إلى صفوفه. وكان القائد الروماني أثناء هذه المواجهة ماريوس Marius فدمر هذا الأخير القبائل الموالية ليوغورطا وأحرق بيوتهم ومزارعهم وقتل سكانها. وأمام المقاومة الشديدة ليوغورطا لم يجد القائد الروماني ماريوس الحل إلا ببعث مساعده المسمى سيلا Sylla في مفاوضات مع باخوس لتسليم يوغورطا. ولما شعر باخوس هذه المرة بالخطر يحدق بمملكته قبل العرض ودبر مؤامرة ليوغورطا الذي سلم إلى أعدائه ثم حمل إلى روما فأودع في السجن حتى مات جوعا سنة 104 ق م و هكذا تخلصت روما منه بعد حرب دامت ست سنوات. وكمكافأة لتحالف باخوس مع روما أضافت إلى نفوذه جزءا من المملكة النوميدية.

هيامبسال الثاني و هيرباص

وبمقتل يوغرطا قسمت نوميديا إلى قسمين : جزء منها أعطوه إلى باكوس جزاء تحالفه مع الرومان والجزء الآخر أعطوه إلى غودة Gauda شقيق يوغورطا ولكن هذا الأخير لم يعيش طويلا. فخلفه في ملكه الأمراء هيامبسال الثاني Hiempsal II حفيد ماسينيسا وهيرباص Hierbas ابن غودة وتحصل كل واحد منهم على جزء من المملكة. وسرعان ما دخلوا في حرب جراء انحياز كل طرف منهم الى قادة الحرب الأهلية التي كانت مشتعلة في روما بين الجمهوريين والملكيين يقودها كل من ماريوس وسيلا. استطاع في الأخير هيرباص ان يخلع هيامبسال من حكمه، وبمجيء الحاكم الروماني بومبي Pompee إلى إفريقيا عاد هيامبسال إلى ملكه وقتل هيرباص.

يوبا الأول

وعندما توفي ميبسال الثاني خلفه ابنه يوبا الأول (Juba I). وكان النزاع لازال قائما بين الجمهوريين والحلكيين. فناصر يوبا الأول حزب بومبي الملكي بينما أيد باخوس الثاني ملك موريطانيا حزب قيصر (حزب الجمهوري). وسرعان ما استطاع القيصر الانتصار على جيوش بومبي في معركة تابسوس (Thapsus). فبقي يوبا الأول لوحده يحارب عساكر القيصر فطارده هذا الأخير ونزل بإفريقيا بمدينة سوسة فدخلها في حرب شرسة انتصر على إثرها القيصر الروماني. وتم هزيمة انتصار يوبا الأول. وفي سنة 46 ق. م ألغى القيصر المملكة النوميدية وضمها إلى المستعمرات الرومانية. وسمها بإفريقيا الجديدة ومنح الجزء الشمالي الغربي منها إلى مرتزقة سيتيوس (Sittius) جزاء مشاركته مع القيصر في الحرب ضد بومبي مما تخلف عن سيرتا عاصمة الأمير تبه وهي كرتاجينية تضم مدن سكيكدة وتفل وميلة، وأضاف جزءا من الأراضي النوميدية إلى مملكة موريطانية بقيادة الملك باخوس، وشجع القيصر سياسة الاستغلال والاستيطان فوزع الأراضي الفلاحية على جنوده وأخضع الشمال الإفريقي لحكمه المباشر. أما روما. من بعدها وقع نزاع بين الولايتين الإفريقيتين الجديدة والقديمة فطلب سيكتيوس (Sextius) الحاكم المعين من طرف مجلس الشيوخ من النوميدي أربيون (Arbion) مساعدته للقضاء على كوريليوس (Cornelius) حاكم إفريقيا القديمة الموالي لمجلس الشيوخ والذي أصبح بفعل مجلس الشيوخ حاكما لولايتين، فدعم أربيون رفقة جنوده النوميديين إلى جانب الحاكم الجديد لإفريقيا الجديدة سيكتيوس فتمكن النوميدي أربيون من القضاء على سيتيوس رئيس المرتزقة وأخرج أنصاره من مدينة سيرتا وطرد جيش باخوس من الجزء الغربي من نوميديا والذي منحه له سابقا القيصر. وبهذا الانتصار الكبير ستطاع أربيون توحيد نوميديا من جديد فجاء له هذا العمل عبرة جعلته يرضي سيكتيوس الذي خاف أن يستحوذ أربيون على نوميديا بكاملها فدبر بقتله

يوبا الثاني

وتمكن باخوس الثاني نجيب روما يوبا الثاني ملكا على الشمال الإفريقي (نوميديا الشرقية و الغربية) وهذا نظرا للاستعداد الذي وجدوه لديه في التعاون مع روما وكان على قسط كبير من العلم. فتلقى في صغره العلوم بمدينة روما وألف العديد من الكتب في تاريخ الرومان وجغرافية إفريقيا وجزيرة العرب وفي الموسيقى وقد توج من سيبتيمي بنة كليوباترة المشهورة. فكان يحكم تحت

حماية الرومانية كموظف في خدمتها. و نفذ من مدينة شرشال عاصمة له واستمر حكمه حوالي نصف قرن عرف فيه المملكة نوميدية الاستقرار والهدوء حتى وفاته سنة 23 م

بطليموس

ومن بعده تولى الحكم ابنه بطليموس Ptolemée، وفي عهده ظهر ثائر نوميدي اسمه تاكفاريناس Tacfarinas الذي فر من الجيش الروماني ثم أعلن الحرب ضدهم وتحالف مع قبائل المور والكيتانيين ضد سياسة روما التوسعية مساعدة نائبه مازيبا Mazippa، وكانت من الدوافع الأساسية لهذه الثورة مطالبة الامبراطور الروماني تيبريوس بمنحة سنوية كانت مواطنة لأصحابها النوميديين وقد حشد معركته الأولى ضد بروقنصل افريقيا فيريوس كاميلوس Furius Camillus سنة 17 م ثم غير تاكفاريناس أسلوبه الحربي معتمدا على الكر والفر بمهاجمة الحصون و القلاع الذي ارهقت الجيش الروماني المتعود على الحرب النظامية وتمكن من إحراز عدة انتصارات عليهم. وتوسيع نار الثورة في العديد من مناطق نوميديا، وبقي الحال هكذا إلى أن هاجم القائد الروماني بويلا بيلا في حصنه بمنطقة صور العرلان وانقض على جنوده ورمى تاكفاريناس كل قواه في هذه المعركة التي قتل اثناءها. وهكذا بعد مقاومة دامت سبع سنوات من 17 م الى 24 م تمكن الرومان من اخمادها. وخلال هذه الفترة اتسم حكم بطليموس اتجاه روما بالمسالمة متبعا سياسة يوبا الثاني وبالرغم من ذلك قتل على يد الامبراطور كاليكولا Caligula حسد وبغضا سنة 40 م. وبموته انتهى نظام الحماية ودخلت نوميديا تحت الحكم المباشر الروماني فاصبحت اقليما تابعا لها.

الحكم المباشر

وفي سنة 42 م قسم الامبراطور الروماني كلود Claude شمال إفريقيا إلى قسمين . موريطانيا القيصرية وعاصمتها شرشال وموريطانيا الطنجية وعاصمتها طنجة. ثم قسموها إلى عدة مقاطعات منفصلة فيما بينها يحكمها ولاة ذو سلطة واسعة يخضعون كلهم للسلطة المركزية بروما. وقسموا هذه المقاطعات إلى نوعين. مدنية وهي التي يسود فيها الهدوء، وعسكرية المناطقة لروما، وتعاقب على حكمها عدة أباطرة أقاموا فيها نظاما تمييزيا استغلاليا طيلة حكمهم الذي دام أربعة قرون من سنة 42 م إلى 430 م. مستعينين في مهماتهم ببعض القواد النوميديين مثلما كان الباشاغات في عهد الاحتلال الفرنسي. وعاشت نوميديا فترة طويلة من الهدوء Pax Romana ولكن نظرا لتسلط الرومان على الأهالي كان لا مفر من الدخول في مواجهة اندلعت على إثرها ثورات في مختلف المدن الجزائرية من أشهرها ثورة الثائر النوميدي فرموس Firmus بجرجرة سحق الجيش الروماني خلال عامين متواليين ابتداءً من سنة 369 م. وانضم إلى صفوف المعارضين المسيحيين الدوناتيين وعلى رأس قوة مقدرة بعشرين ألف ثوري استولى على مدينة الجزائر وشرشال والتنس، واستطاع أن يهزم القائد الروماني رومانوس Romanus لكنه خسر المعركة من بعد عندما اصطدمت قواته بالجيش الروماني الذي كان يقوده تيودوس Theodose فأعاد له مفاتيح مدينة الجزائر وانسحب منها. وعلى إثر المؤامرة التي دبرها له أخوه غيلدسون Gildson الموالي للرومان ألقي القبض على فرموس وزج به في السجن أين انتحر. اجتاحت من بعدها الإمبراطورية الرومانية فوضى عارمة وتسبب ذلك في ضعف السلطة الرومانية. وهكذا انتهى الحكم الروماني بشمال إفريقيا على يد القائد العسكري لروماني بونيفاس Bonifacc انتقاما من الحكومة المركزية بروما في عهد الامبراطور Valentinien III، فاستنجد بالوندال الذين كانو مقيمين في اسبانيا وسلم لهم شمال إفريقيا سنة 429 م.

الحياة الاقتصادية والاجتماعية

لم يستفد النوميديون شيئا كبيرا من الاحتلال الروماني رغم أنه استغرق مدة قرون. فكان عهدهم يتسم بالطابع العسكري والاقتصادي، بهدف من ورائه الاستيلاء على ثروات شمال إفريقيا دون رقيب لخدمة مصالح سكان روما وسياسة "فرق تسد" اتجاه الأهالي، وهي نفس السياسة التي انتهجتها فرنسا قرونا من بعد في الجزائر. ولهذا الغرض اهتم الإيطاليون بالفلاحة منذ أن وطئت أقدامهم أرض افريقيا، وبلغ عددهم في المرحلة الأولى اثني عشر ألف معمر، اشتغلوا بالزراعة ونزعت أخصب الأراضي من أصحابها الشرعيين بالقوة وقسمتها إلى حصص متناسبة ووزعتها على المواطنين الرومان من الأرستقراطيين والموظفين العامين والضباط والجنود اعتبارا أن الأرض ملك للامبراطورية الرومانية و تدخل ضمن أملاك الدولة والمقابل قامت بترحيل النوميديين إلى الأراضي القاحلة والبورية. ومن أجل الاستيلاء نهائيا على هذه الأراضي الفلاحية قامت روما بمسحها وتنظيمها وتشجيع المواطنين الرومان للهجرة والاستيطان بها، فأنشأوا مستثمرات فلاحية كبيرة وشرعوا في شق الطرق وتعبيدها لتسهيل المواصلات بخلية وطورو وسائل النقل لخدمة مهمة التصدير فوسعوا من الأراضي الفلاحية. وكرس الرومان مجهوداتهم في زراعة القمح التي كانت له شهرة كبيرة، ولهذا الغرض نشأوا مخازنا لتخزين الحبوب والمطاحن لطحنها. وفي القرن الثاني ميلادي تقلصت زراعة الحبوب بسبب موجات الجفاف التي أجلت بإفريقيا فعوضها الرومان بزراعة أشجار الزيتون وساعدهم في ذلك مناخ إفريقيا. كما اهتموا بزراعة الكروم وتربية المواشي وكانت معظمها تصدر إلى إيطاليا، كما اعتنى الرومانيون بنظام الري لخدمة الفلاحة واعتمدوا في هذا الجانب بالتجربة الفرطاجية للخبرة الكبيرة التي كانت تمتلكها. فأنشأوا السدود والآبار والصهاريج وطوروا قنوات نقل المياه والخزانات وقنوات التوزيع وكانت تؤدي وظائف مزدوجة حيث تموّن الأرياف والمدن وأنشأوا مصانع كمعاصر الزيتون ونسج الملابس ودبغ الجلود وكانت كلها موجودة بالمدن.

وأخضع الرومان سكان إفريقيا لنظام ضريبي متعدد الوجوه وهذا ما نص عليه أبيانوس Apianus "أن الرومان أخضعوا الأرض والأشخاص لضريبة المهزومين".

وبالتالي أصبحت الأرض والشعب النوميدي في عداد الغنائم، وكانت أموال الضرائب ترسل الى خزينة الدولة مروبة وتكلف بجمعها الادارة القائمة تحت سلطة الوالي، وهي إجبارية تفرض على الرجال والنساء، أما المزارعون الرومان فكانوا معفيين من دفع الضريبة. وبين أنواع الضرائب المفروضة على النوميديين ضريبة التموين وضريبة المركوشات في الحمل. هذا الى جانب الرسوم الجمركية على المبيعات.

أما من الناحية الاجتماعية، فكان معظم الأهالي يشتغلون بالفلاحة لدى الملاك الكبار من العائلات الأرستقراطية الرومانية وكانت وضعيتهم الاجتماعية جد سيئة. كما أن القانون الروماني كان يرفض احتكام النوميديين للقانون الروماني لانهم يعتبرون غرباء، ولهذا كانوا يعتقرون الى قانون يحميهم من جور الرومان. كما اصدرت الامبراطورية قرارا يحق بموجبه للنوميديين الحصول على حق المواطنة ولكن كانت شكلية أكثر منه واقعية لم يستفد منه إلا القليل من المواطنين النوميديين من الطبقة المثقفة والأغنياء وكانت إجراءاته جد معقدة وطويلة ولا تعفي صاحبها من دفع الضريبة المستحقة للشعب الروماني.

هذا، وعرفت إفريقيا طيلة الاحتلال الروماني هجرة كبيرة من الوافدين الإيطاليين اشتغلوا بالفلاحة والتجارة والتعليم والطب واستقر معظمهم بالمدن. هذا بالإضافة إلى العبيد الذين جلبوا من المستعمرات الرومانية واستخدموا في مختلف الخدمات ذات الطابع الحضري والريفي. كما كانت المدن تحتوي على فنادق وحمامات وأسواق. وكان سكان نوميديا يشاركون في الالعاب الرياضية مثل المصارعة. هذا وبالرغم من دخول عادات رومانية في حياة البربر إلا أنهم لم يتأثروا كثيرا بها.

الحياة الفكرية والدينية

انتشرت اللغة اللاتينية انتشارا واسعا بين البربر وهذا بالطبع راجع لطول مدة الاستعمار الروماني في شمال افريقيا، وبالرغم من ذلك بقيت اللغة البونية في جانبهم الى جانب اللغة اللاتينية لغة تخاطب وكتابة لدى بعض السكان كما انتشر في عهدهم النشاط المسرحي وكان جل النشاط الثقافي متمركزا في روما وعلى خلاف الحضارة الاغريقية لم تساهم الحضارة الرومانية كثيرا في الحضارة الانسانية ما عدا الدور الذي لعبته في نعاش الفكر السياسي عن طريق تزويده بمشرعين بارعين وفقهاء قانونيين برعوا في تنظيم وتدوين القوانين. اما سياستها الخارجية فكانت تعتمد على السيطرة العسكرية تهدف من ورائها لاستيلاء على أراضي الشعوب المجاورة لها واستغلال ثرواتها.

أما من حيث العمارة فقد ترك الرومان اثارا كبيرة بالجزائر لازالت أطلالها باقية الى يومنا في كل من مدينة جميلة وتيبازة وشرشال في غرب الجزائر العاصمة وتيمقاد بباتنة.

في بداية الاحتلال الروماني بقي النوميديون محتفظين بديانتهم الوثنية من عبادة الشمس والقمر وآلهات قرطاجنة مثل تانيت وبعل وحمون، كما كان الكثير منهم يؤمنون بالسحرة والمنجمين، وحاولت روما نشر ديانتها الرسمية المتمثلة في عبادة الامبراطور وأقامت لأجلها كهانا يسهرون على نشرها ومادب ومهرجانات يحتفلون بها، الا أن هذه الديانة لم تستطع التغلغل في نفوس النوميديين وظلوا محتفظين بمعتقداتهم القديمة. وفي حوالي القرن الثاني الميلادي دخلت الديانة المسيحية إلى شمال افريقيا عن طريق تجار المشرق وبالضبط من مدينة أرشليم، فلسطين حاليا ثم مصر ثم ليبيا ونشرتها البعثات التبشيرية، وحظيت باقبال شديد فاعتنقها الكثير من سكان البربر المحرومين، خاصة سكان المدن، ولم تستطع هذه الديانة التوغل في الأرياف والجبال بدليل ان الكثير من سكان البربر بقوا على ديانتهم الأولى وهي الوثنية، ووجد النوميديون في الديانة المسيحية مخرجا لالامهم التي كانوا يعانون منها جراء الاضطهاد الروماني، وفي بداية الأمر لم تعتنق الطبقة البورجوازية الرومانية المسيحية على اساس أنها دين الضعفاء، واضطهدتهم الامبراطورية الرومانية اشد اضطهاد، فعذبتهم وقتلتهم وزجت بهم في

السجون فالتزم أتباعها بالسرية والكتمان. وأمر الإمبراطور بتصفية الإدارة والجيش من معتنقي المسيحية. ولم تعتنق الإمبراطورية الرومانية الديانة المسيحية رسميا إلا في عهد الإمبراطور قسطنطين الأكبر (306 م- 337 م) فشجع حركة لتنصر وشيد كنائس وأقر يوم الأحد عطلة رسمية للمسيحيين وبهذا أصبحت الكنيسة حليفة الإمبراطور واستفاد القساوسة من امتيازات لا تحصى. فاشتغلوا في القضاء والمجالس البلدية وأصبحوا يشكلون طبقة خاصة بهم مما دفع الرومانيين المترددين من الأرستقراطيين والمواطنين إلى اعتناق هذه الديانة حبا في احتلال المناصب والحصول على امتيازات. وهذه الوضعية التي آل اليها رجال الكنيسة من بذخ في المعيشة هي التي أدت بهم للإنحراف عن المبادئ الأولى للمسيحية وشكلت نقطة انفجار وشقاق بينهم وبين المسيحيين التوحيديين من الدوناتيين Donatistes، وبالتالي ظهر حزبان حزب الكنيسة الكاثوليك المؤيد للامبراطورية، وحزب مناهض للسلطة والكنيسة وهو حزب دونا نسبة لزعيمهم دوناتوس Donatus فرفضوا الخضوع للإمبراطور ولم يعترفوا بأسقف قرطاجنة. والحقيقة أنهم لمسوا أن الإمبراطور يستغل هذه المسيحية لأغراض سياسية لخدمة مصالح ملكه. وفي البداية اعتمدت حركة دونا على الطرق السلمية في نشر مبادئها. ولكن الإمبراطور الروماني سنة 316 م قرر توحيد المسيحية في إفريقيا ولكن الدوناتيين رفضوا ذلك ودفعوا ضريبة كبيرة جراء ذلك في الأرواح والممتلكات. ورغم تدخل القسيس أغسطس Augustin سقف مدينة عنابة لحل هذا النزاع بين الكاثوليك والدوناتيين إلا أنه لم يفلح في ذلك. ومن ثم دخل أتباع الدوناتية في مواجهة عنيفة ضد السلطة والكنيسة المؤيدة لهم وذلك ابتداء من سنة 347 م. ولهذا الغرض تحالف الدوناتيون مع الثوار الريفيين في مواجهة السلطة والكاثوليك والأغنياء. ولكن استطاعت روما إخماد هذه الثورة. هذا وللعلم أن لديانة اليهودية سبقت المسيحية في شمال إفريقيا بحيث جاءت بمعن الفينيقيين.

واستمر من بعد البربر في عدائهم للمسيحية. وخلاصة القول: أن لديانة المسيحية لم تؤثر كثيرا في البربر بدليل دخولهم قرونا من بعد في الإسلام والذي استطاع أن يمحو الآثار المتبقية من الاستعمار الروماني.

عهد الوندال

429 م – 534 م

هاجرت شعوب الوندال وهي من أصل جرماني من سواحل البلطيق حوالي القرن الأول الميلادي وزحفوا إلى اوروبا واستولوا على بلاد الغال وإسبانيا سنة 409 م واستقروا بها. وأثناء استعدادهم للحملة على الشمال الإفريقي قتل ملكهم Gandéric فخلفه في الحكم أخوه Geiséric سنة 428 م الذي استولى في نفس هذه السنة على إفريقيا الرومانية وأسس بها مملكة دامت إلى غاية عام 534 م. وأثناء اكتساح الوندال لشمال افريقيا كان الصراع قائما بين الرومان على عرش الامبراطورية، وكان النوميديون ينتظرون دخول الوندال بلهف ليخلصوهم من الاستعمار الروماني، كما وجد الدوناتيون Donatistes فرصة للانتقام من الكاثوليك الذين اضطهدوهم. ودخلوا إلى إفريقيا الشمالية كما ذكرنا سابقا من بجاية تلبية لنداء القائد الروماني بونيفاس حاكم سبتة عن طريق مضيق جبل طارق (طنجة) سنة 428 م بجيش عدده ثمانين ألفا من رجال ونساء وأطفال من بينهم 15000 عسكري بقيادة الملك جزيريك Geiséric، وأثناء دخولهم للشمال الافريقي خربوا كل ما وجدوه في طريقهم، من مزروعات ومباني وطردوا أتباع الديانة الكاثوليكية. وعندما أعيد بونيفاس إلى الحكم من طرف الإمبراطور الروماني طلب الوندال بالرحيل من شمال إفريقيا فكان جوابهم الرفض، فأعلن الحرب ضدهم وخسر المعركة ثم لجأ إلى مدينة عنابة Hippone واستطاع أن يصمد أمام قوة الوندال التي حاصرته مدة عام وفي الأخير دخلوها عنوة سنة 431 م وجعلوها عاصمة لهم، ففر بونيفاس إلى إيطاليا وندم على خيانته حين لا ينفع الندم، وأثناء هذا الحصار توفي الفيلسوف والقسيس الجزائري المشهور أغسطوس Augustin. وفي سنة 435 م انعقدت معاهدة بين روما والوندال تم بموجبها الاتفاق على بقاء الوندال في الأراضي النوميدية مقابل دفعهم لضريبة الأرض، ولكن سرعان ما خرق الوندال هذه المعاهدة، وبينما كانت روما تتخبط في مشاكل داخلية استولى الوندليون على قرطاجنة سنة 439 م بدون مقاومة، ثم صنعوا أسطولا ضخما و شنوا به حملات على جزر البليار وسردينيا وكورسيكا وصقلية واستولوا عليها ثم استطاعوا من بعد مقتل الامبراطور فالنتينيان الزحف إلى روما واحتلوها سنة 455 م ومكثوا فيها حوالي نصف شهر وبعد تخريبها رجعوا منها إلى إفريقيا بغنائم وافرة، وأخيرا اعترفت الإمبراطورية الرومانية بسيادة الوندال على الشمال الافريقي. وأثناء وجودهم

بشمال افريقيا استولى الوندال على أخصب الأراضي الزراعية وطردوا ملاكها من البربر وفرضوا عليهم ضرائب فادحة، كما طردوا واضطهدوا رجال الكنيسة. وأصبحت في عهدهم الديانة الآرية هي الديانة الرسمية. واحتفظ حكم الوندال على النظام الإداري الذي كان سائدا في عهد الرومان. وتمت هذه الاستعمارات على يد مالك الوندال المشهور جنسيريك الذي توفي سنة 477 م. ثم خلفه ابنه هونيريك Hunéric ولكن حكمه لم يدم طويلا وكان خصما عنيدا للكاثوليكيين وقد توفي سنة 484 م. ومن بعده حكم الوندال كونطامون Guntbamund وفي عهده رد الاعتبار لرجال الكنيسة وعرفت نوميديا ثورات خصصه لبربر ضد حكم الوندال وتوفي سنة 496 م. فخلفه ترزامون Thrasamun وكان شخصا متقفا واتسم عهده بالبذخ واضطهاد رجال الكنيسة الكاثوليكية وانهزم جيشه امام ثوار البربر فمات غما من أجل ذلك سنة 523 م. فخلفه ابنه هيلديريك Hildéric الذي تزوج ابنة امبراطور القسطنطينية الذي كانت تربط بينهم علاقة جيدة وكان متسامحاً جدا مع رجال الكنيسة وخلع من منصبه إثر ثورة البربر ضده فاعتقل ونصبوا جيليمير Gélimer مكانه. فاستنجد هيلديريك بالامبراطور البيزنطي جوستينين Justinien الذي طالبهم بارجاعه إلى عرشه ولكن الوندال رفضوا، فاعلن عليهم الحرب وشن حملة كبيرة تتكون من 14000 عسكري تحملهم 500 سفينة حربية بقيادة القائد البيزنطي بليزار Bélisaire واستطاع ان يحتل قرطاجنة سنة 534 م دون مقاومة تذكر لأن الاسطول الوندالي كان موجودا في السواحل الايطالية محاصرا جزيرة سردينيا الثائرة. ثم تبع بليزار فجومه على جيوش الوندال المتبقية، واثر هذا الانهزام فر جيليمير من قرطاجنة واختبأ في الجبال ولشدة قساوة الحياة هناك استسلم إلى القائد بليزار، وبعد حوالي قرن من احتلال نوميديا انتهى عهد الوندال في الشمال الافريقي دون ان يترك اثر حضاري، واكثر ما كتب عنهم انهم شعب همجي لا يعرف معنى للحضارة. عتر حكمهم بالظلم والاستبداد.

وكان الحكم في عهدهم ملكيا وراثيا استبداديا يساعده مجلس عيّن يتكون من القادة الكبار في الجيش والموظفين السامين في المملكة، وقسمت في عهدهم نوميديا إلى خمس مقاطعات يحكم كل منها حاكم يتولى الشؤون الإدارية والقضائية واحتفظ الوندال باللغة الاتينية في معاملتهم الإدارية مع الأهالي.

واتسم المجتمع الوندالي بالطابع العسكري، وكانوا كغيرهم من الشعوب السابقين مقسمين إلى طبقات تأتي في المرتبة الأولى طبقة النبلاء المنتمية من

قدرة العسكريين والموظفين السامين ومنحت لهم أوسع وأجود الأراضي الفلاحية وبيهم طبقة الجنود المحاربين وتضم كل المواطنين الوندال وزعت عليهم قطعة رض. هذا بالإضافة إلى المرتزقة الذين كانوا يحاربون معهم واحير الرقيق حدوهم معهم من إسبانيا واستخدموهم في الفلاحة.

وفي عهدهم تقلصت الحياة الاقتصادية في نوميديا لسبب أعمال القرصنة تي كانوا يقومون بها في البحر المتوسط وهذا خاصة في العهد الأول لم تكن تكفي إلا لسكان نوميديا وركزت على صناعة النسيج والحرير والأثاث وصناعة لأسلحة الحربية والسفن. وقد استولى الوندال على أخصب الأراضي الزراعية وترك لأقل جودة للأهالي وكبلوهم بالضرائب بينما كان الونداليون معفيين منها، هذا وبقيت الفلاحة على حالها مثلما كانت عليه في عهد الرومان من إنتاج الحبوب والأشجار المثمرة و تربية المواشي من الأغنام والخيول. وكانوا يتاجرون بهذه لخيرات مع الدول الأجنبية.

العهد البيزنطي
534 م - 647 م

حلت الامبراطورية البيزنطية عام 330 م محل الامبراطورية الرومانية واتخذت ن القسطنطينية عاصمة للمسيحية ويرجع الفضل في تسميتها إلى قسطنطينيوس لدي نقل مقر الحكم من روما إلى القسطنطينية، ولسبب في ذلك أن هذه البلاد لم تعرف حملات غزو كما عرفتها روما ولم تتلق ضربات قوية مثلها.

وبانتصار بليزار كما ذكرنا سابقا على جيوش الوندال أصبحت افريقيا الشمالية خاضعة للحكم البيزنطي. واستولى من بعدها على جميع الأراضي التي كانت بحوزة الوندال سواء في نوميديا أو سردينيا أو جزر البليار، ثم بنى حصونا في الأراضي المحتلة من الشمال الافريقي لحمايتها من العدوان الخارجي. وعند رحيله عين مكانه مساعده سليمان Solmon حاكما على نوميديا واتخذ من قرطاجنة عاصمة له. ولم يحسن البيزنطيون كغيرهم ممن سبقوهم معاملة البربر فرضوا عليهم ضرائب فاحشة مما جعلهم يستنفرون منهم، فعرف عهدهم عدة ثورات بربرية متتالية وعنيفة عمت كل أرجاء الشمال الافريقي. لم تتوقف إلا

برحيل البيزنطيين، وقادها كل من الأمراء النوميديين كوتسينات وسطوراس وابيداس وانطالاس وميناس وأورثابس في فترات متقاربة ضد الحكم الذين تعاقبوا على الشمال الإفريقي من البيزنطيين أمثال سليمان الخصي وجرجيوس وأريو نتوس وأرتبان وجان طروكليتا. ووقعت أغلب هذه المعارك في الجزائر في كل من مناطق الأوراس وتبسة واستطاع القادة النوميديون التغلب عليه في الكثير من المعارك، حتى أن القائد البيزنطي سليمان الخصي قتل أثناء معركة، واستطاع البربر سنة 593 م محاصرة مدينة قرطاج لمدة من الزمن. ورغم ان الحاكم البيزنطي جان طروكليتا استطاع في نهاية الأمر التغلب على البربر و حماد ثورتهم لمدة معينة حتى استأنفوا من جديد بعد وفاة الامبراطور البيزنطي جستينيان سنة 565 م فخلفه جوستين justin الذي دام حكمه حتى سنة 578 ق.م. وفي سنة 596 م استدعى القائد البيزنطي على شمال افريقيا جرناديوس Gernadius رؤساء قبائل البربر إلى قصره للتفاوض معهم ثم قتلهم جميعا فزادت هذه العملية الشنيعة من إصرار البربر على المضي قدما في الكفاح. وفي سنة 610 م اعتلى على العرش البيزنطي هرقل Heraclius وفي عهده شهدت إفريقيا فترة من السلم والرخاء وبعد موته خلفه ابنه Constant II والذي عرف عهده فترة انحطاط الامبراطورية البيزنطية. وبينما كان العرب يكتسحون الامبراطورية البيزنطية أعلن حاكم شمال افريقيا جرجير Gregoire سنة 646م انفصاله عن الحكومة المركزية ونصب نفسه امبراطورا و تخذ من مدينة سبيطلة المتواجدة بالقطر التونسي في الجنوب الغربي من القيروان مقرا له. هذا وحارب البيزنطيون في عهدهم أتباع Dona واليهود والأريين حربا دينية عنيفة، كما أن البربر رفضوا دفع الضرائب والخضوع لسلطة البيزنطيين، وكانت الجزائر في عهدهم مقسمة إلى عدة إمارات يحكمها أمراء من البربر مستقلين عن الحكم البيزنطي، وهذا ما يفسر الصعوبات والعقاوبة الشديدة التي واجهت الفتوحات الإسلامية في الشمال الإفريقي، ولم يترك البيزنطيون آثارا عمرانية تذكر تمجد مرورهم بافريقيا الشمالية و ذلك على خلاف الرومان فكان اهتمامهم منصبًا على بناء القلاع والحصون وتعبيد الطرق وتشجيع الفلاحة لخدمة وطنهم الأم.

الفتح العربي الإسلامي للشمال الإفريقي

في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه ثاني الخلفاء الراشدين استطاع عمر بن العاص فتح مصر وذلك سنة 20 ه. ومن ثم توجه إلى برقة فصالح أهلها مقابل دفع جزية سنوية مقدارها ثلاثة عشر ألف دينار، ثم تمكن من فتح طرابلس عنوة وقضى على الروم الذين كانوا متواجدين بها وغنم بما كان موجوداً في المدينة، ثم فكر في اجتياح شمال إفريقيا فكتب إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه . "إنا قد دلفنا طرابلس، وبينها وبين إفريقية تسعة أيام، فإن رأي أمير المؤمنين ان يأذن لنا في غزوها فعل "فكتب إليه عمر" لا... إنها ليست بافريقية ولكنها المفرقة، غادرة مغدور بها، لا يغزوها أحد ما بقيت".

وبتولي عثمان بن عفان رضي الله عنه الخلافة الإسلامية عزل عمر بن العاص عن مصر وولي مكانه عبد الله بن سعد بن أبي سرح سنة 24 ه، فكتب إلى عثمان بن عفان يستأذنه في فتح شمال إفريقيا، فأذن له سنة 27 ه من الهجرة الموافقة لعام 647 م وأمده بجيش كبير قوامه عشرين ألفا من الجند شارك فيه سبعة من الصحابة وهم : عبد الله بن سعد بن أبي سرح، عبد الله بن الزبير بن العوام، عبد الله بن جعفر، عبد الله بن عباس بن عبد المطلب، عبد الله بن عمر بن الخطاب، عبد الله بن مسعود وعبد الله بن عمر بن العاص، وانتصر عبد الله بن سعد على قوات جرجير الحاكم البيزنطي على الشمال الافريقي المتكونة من مائة وعشرين الف فارس من البيزنطيين والبربر وقتل القائد جرجير في المعركة، وتحصل الجيش الإسلامي على غنائم كبيرة في هذه المعركة، ثم أسرع الروم والبربر إلى طلب الصلح، فأمنهم عبد الله بن أبي سرح على مقدار من المال ثلاثمائة قنطار من الذهب، وعاد إلى مصر عام 29 ه.

وبمقتل الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه سنة 35 ه بايع المسلمون مكانه علي بن أبي طالب كرم الله وجهه فشب خلاف بينه وبين معاوية بن أبي سفيان الذي طلب الخلافة لنفسه نتجت عنها فتن داخلية ظهر خلالها الخوارج وهي طائفة من المسلمين نقضت بيعة علي ولم تعترف بالبيعة لمعاوية وانقسمت فيما بعد إلى عدة طوائف كالاباضية والصفرية والأزارقة والإسماعلية، ولم تتوقف الفتنة الا بمقتل علي على يد متعصب خارجي عام 40 ه. وفي تلك المدة نسي المسلمين

الفتوحات ولم تستأنف إلا باستقرار الحكم في يد الخليفة الأموي معاوية بن أبي سفيان فعين معاوية بن حديج الكندي والياً على إفريقيا، وبينما كان يتنقل يعيش صراعاً حول الخلافة انتهز امبراطور بيزنطة هذه الفرصة وبعث بجيش لاحتلال شمال إفريقيا من جديد. فطرد حاكمها الذي التجأ إلى الخليفة معاوية طالبا منه النجدة، فكلف الخليفة القائد معاوية بن حديج وأمده بجيش كبير بغزو إفريقيا فاستطاع هزم الجيش البيزنطي بسهولة وسمحت هذه الحملة بفتح العديد من المدن التونسية مثل بنزرت وسوسة، ثم عاد معاوية بن حديج إلى مصر وما هذه الحملات التي قام بها كل من عبد الله بن سعد ومعاوية بن حديج إلا تمهيدا سمح للقادة المسلمين فيما بعد ومن بينهم عقبة بن نافع التعرف على غريب ومن تم الفتح الأكبر للشمال الإفريقي.

وفي سنة 50 ه عين معاوية بن أبي سفيان عقبة بن نافع الفهري والياً على إفريقيا وهو قرشي تابعي وليس صحابيا لأنه ولد أثناء حياة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ولم يشارك في الجهاد إلا بعد وفاته، وكان لهذا القائد تجربة كبيرة في الحروب التي خاضها المسلمون في إفريقيا. فواصل الفتح و سس مدينة القيروان بتونس واتخذها مقرا له ولجيشه. ولما استدعى عقبة من طرف الخليفة، عين مكانه سمعة بن مخلد الأنصاري على إفريقيا، فعين هذا الأخير أبو المهاجر دينار حاكما على الشمال الإفريقي عام 55 ه وكانت بينه وبين عقبة عداوة. فدمر القيروان وأسس بالقرب منها مدينة جديدة وواصل أبو مهاجر الفتح ونشر الدعوة الإسلامية في القطر الإفريقي بالطرق السلمية والإقناع وأسلم الكثير من قبائل البربر ومن بينهم القائد كسيلة وقبيلته أوربة التي كانت على دين النصرانية وأصبح من أحسن أو قادته وأنصاره نظرا للصداقة والمحبة التي كانت تربطهما. وتوغل من بعد إلى الجزائر وتغلب على خصومه من البربر والبيزنطيين حتى وصل الى مدينة تلمسان.

وفي عهد الخليفة يزيد بن معاوية سنة 62 ه وبطلب منه أعيد عقبة بن نافع إلى حكم إفريقيا نظرا للدور الفعال الذي لعبه في فتحها، وكانت علاقته بأبي المهاجر سيئة جدا، فجدد بناء مدينة القيروان وواصل زحفه إلى الشمال الإفريقي لنشر الإسلام. وأثناء غزوه سحب معه أبي المهاجر وكسيلة مقيدين بالحديد وتغلب على البربر والبيزنطيين حتى وصل إلى المغرب الأقصى ففتح مدينة طنجة ولم يوقفه عن تقدمه إلا البحر فقال قولته المشهورة: "اللهم أشهد أني قد بلغت المجهود، ولولا هذا البحر لمضيت في البلاد أقاتل من كفر بك حتى لا يعبد احد

ـن "ونك". ولما بلغ هذه المدينة بعث جيشه إلى القيروان ولم يبق معه إلا عدد قليل من الفرسان حوالي ثلاثة مائة. وأثناء العودة مر كسيلة من قبيلته فجمع حوله عددا كبيرا من قومه والبيزنطيين. وعندما وصل عقبة حصن تهودة بالزاب الحزانري استغل كسيلة هذه الفرصة الثمينة وحاصر عقبة الذي وقع في كمين وقضي عليه، فاستشهد معه كل اصحابه بما في ذلك الأسير ابو المهاجر ودلك سنة 64 ه. ولازال قبره إلى يومنا هذا في قرية سيدي عقبة التي سميت باسمه والمتواجدة بمدينة بسكرة. ثم توجه كسيلة إلى القيروان واستولى عليها سنة 65 ه و تخذها مقر لاقامته وعاصمة لمملكته وبسط نفوذه على معظم القبائل وتحالف مع الروم، وانسحب زهير بن قيس البلوي منها والتجا إلى برقة ومكث بها مدة خمس سنوات بقيت افريقيا خلالها بدون حاكم اسلامي. ثم بعث له الخليفة الاموي عبد الملك بن مروان سنة 67 ه جيشا زحف به إلى مدينة القيروان ففر منها كسيلة والتجاء إلى الأوراس فتبعه زهير بن قيس وهناك وقعت معركة حاسمة بينه وبين كسيلة وتم النصر لزهير وقتل كسيلة وأنصاره. ولم يواصل زهير زحفه لأن مدينة برقة كانت مهددة من البيزنطيين، فسار نحوها واشتبك معهم ونظرا لقلة عدد جنوده لم يستطيع الصمود كثيرا فقتل زهير وأصحابه جميعا.

وفي سنة 73 ه عين حسان بن النعمان حاكما على افريقية فأمده الخليفة بجيش كبير قوامه أربعين ألفا. فزحف به على قرطاجة وحاصرها ثم استولى عليها وقضى على البيزنطيين الذين كانوا متواجدين بها، فدمرها حتى لا يعود الروم اليها ثم اشتبك مع جيش الكاهنة واسمها الحقيقي دهيا الذي كان متواجدا بالأوراس فهزمته، فاضطر حسان بن النعمان إلى التراجع نحو مدينة برقة ينتظر المدد الذي دام ثلاث سنوات. وخلال تلك المدة عملت الكاهنة على تحطيم القرى واتلاف المحاصيل الزراعية وقطع الأشجار وحرق الغابات لكي لا يعود إليها توهما منها بأن العرب حاولوا للشمال الإفريقي كغيرهم ممن سبقوهم للاستيطان فيها واستغلال ثرواتها، فزاد هذا العمل من استياء البربر ضدها وكان سببا في انهزامها ، أصبح البربر يعدون يد المساعدة لحسان ويستفحلونه في الانقضاض عليها. ولما وصلت الإمدادات من الشرق اتجه إليها حسان وقتلها بجبال الأوراس سنة 84 ه. وأصبح أبناؤها من أكبر دعاة الإسلام في المنطقة فأصلحوا ما أفسدته الكاهنة. وانعم عهد حسان بن نعمان في المنطقة بالرخاء والاستقرار والعمران وتنظيم التنوين الادارية والمالية والعسكرية.

ولما عزل حسان بن النعمان خلفه في حكم افريقيا موسى بن النصير سنة 85 هـ. ولم يجد هذا الحاكم أي صعوبة في بلاد الشمال الإفريقي لأن الطريق مهد له من سبقه. ولما وصل إلى المغرب الأقصى عين طارق بن زياد حاكما على طنجة، ففكر موسى في فتح الأندلس بابعاز من جوليان البيزنطي حاكم سبتة بمواجه لجنوبي جزيرة الأندلس والذي كانت له عداوة مع ملك إسبانيا لذريق الذي اعتدى على ابنته التي كانت تتربى في قصره، وعموما كانت إسبانيا تعيش حالة تمزق جراء الصراعات السياسية بين أمرائها من أجل الحكم. مما شجع موسى على فتحها. فأمر طارق بن زياد بغزو الأندلس بعد استشارة الخليفة الأموي، فجمع جيشا كبيرا متكونا من البربر والعرب قوامه 12 ألفا عبر به البحر وانتصر على جيش الملك لذريق Rodriguez الذي قتل أثناء هذه المعركة التي دامت ثمانية أيام. ثم استولى على الأندلس سنة 90 هـ بما فيها قرطبة وطليطلة ومالقا واشبيلية ثم تحقه من بعد موسى بن النصير وأكمل فتح باقي المدن الإسبانية حتى وصل إلى جبال البيريني، وتحصل المسلمون خلال غزوهم على العديد من الغنائم من بينها مائدة سليمان والتي قدرت قيمتها في دمشق بمائة ألف دينار. ثم استدعى الخليفة الأموي موسى بن النصير وطارق إلى دمشق، ودام حكم المسلمين في هذه المنطقة ثمانية قرون عرفت بالعصر الذهبي وصلت خلالها الحضارة العربية الإسلامية إلى قمة مجدها ولاسيما في المجالين العلمي والمعماري. بينما كانت أوروبا آنذاك تعيش الجهل وسط الحكم الإقطاعي الرجعي المستبد.

وعندما استدعى موسى بن النصير إلى المشرق، تولى العديد من الولاة على الشمال الإفريقي وكانوا يتمتعون بنفوذ كبير في ولايتهم، ولو أن ادارتهم لشؤون المغرب العربي لم تختلف عن الأساليب التي استعملها الأمويون في بقية أجزاء العالم الإسلامي، فقد ارتكبوا أخطاء فادحة كانت لها نتائج خطيرة في حياة المغرب. فشهد عهدهم اضطرابات وفتن قادها الخوارج بالمغرب مثلهم مثل إخوانهم خوارج المشرق العربي ولو أن دعوة الخوارج اتخذت طابعا دينيا إلا أنها في الحقيقة مقاومة باسمه ضد السياسية الاقتصادية والاجتماعية الأموية، ولم يسترجع الاستقرار والهدوء إلا بمجيء الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز الملقب بخامس الخلفاء الراشدين واعتمد في دعوته لنشر الإسلام على الطرق السلمية بالإقناع والحجة وحسن السيرة وتطبيق مبادئ الإسلام. فقام بعزل محمد بن يزيد القرشي وعين مكانه إسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر حاكما على إفريقيا سنة 100 هـ

فكان حسن السيرة، وأرسل له عشرة فقهاء يفقهون أهل الشمال الإفريقي في أمور الدين فأسلم البربر جميعهم في أيامه.

وفي عهد الخليفة يزيد بن عبد الملك عين تلميذ الحجاج بن يوسف يزيد بن أبي مسلم حاكما على افريقيا سنة 101 ه فحاول تطبيق السياسة التي اتبعها سلفه في العراق، فأساء معاملة البربر ففرض عليهم الجزية مع أنهم مسلمون، فثاروا عليه وقتلوه سنة 102 ه دون خلع الطاعة للخليفة الأموي، ثم ولي بشر بن صفوان، وعند وفاته خلفه عبيدة بن عبد الرحمن.

وفي عهد هشام بن عبد الملك عين سنة 116 ه عبيد الله بن الحبحاب واليا على الشمال الافريقي، فولى عمر بن عبد الله المرادي حاكما على طنجة فأساء السيرة وتعامل مع البربر بمنتهى القساوة، فكان عمله الذميم هذا سببا في وقوع الفتن، فثاروا عليه سنة 122 ه تحت قيادة ميسرة المطغري وقتلوه، ثم خلفه عبد الأعلى بن حديج واليا على طنجة ثم قتلوه، ثم بايعوا ميسرة وله يحسن السيرة في البربر، فثاروا عليه وقتلوه، وولوا عليهم خالد ابن حميد الزناتي، وتفاقمت الاضطرابات في تلك الفترة، فبعث إليهم بن الحبحاب جيشا كبيرا بقيادة خالد بن حبيب الفهري واشتبك معهم في طنجة، وقتل خالد الفهري مع مجموعة من أصحابه، ولما سمع هشام بن عبد الملك بهذه الحادثة عزل الحبحاب عن ولاية افريقيا عام 123 ه وحل مكانه كلثوم بن عياض القشيري، وزحفت جيوش كلثوم على طنجة وجابهت البربر بقيادة خالد الزناتي، فانهزم العرب والتجأوا إلى سبتة، وعندما بلغ خبر الهزيمة الخليفة هشام أرسل امدادات بقيادة حنظلة بن صفوان سنة 124 ه وتمكن هذا الأخير من القضاء على ثورة عكاشة بن أيوب الفزاري الخارجي، ولما اضطر حنظلة لمغادرة الشمال الافريقي سنة 127 ه، عاد عبد الرحمن بن حبيب الفهري من الأندلس فولاه مروان بن محمد آخر خلفاء الأمويين في مكانه، فاستبد بالحكم ولم يستطع إخضاع البربر، واستمرت الفوضى ثم في عهد أسرته.

وفي عهد الخلافة العباسية استمرت الثورات في الشمال الإفريقي بين الجيوش العربية والخوارج، وتمكن أبو الخطاب من هزم جيوش العباسيين واستولى على القيروان وعين الإباظي عبد الرحمن بن رستم حاكما عليها، ثم عاد إلى طرابلس، وفي سنة 144 ه بعث القائد محمد بن الأشعث حملة من مصر بأربعين ألف فارس زحف بها إلى افريقيا، وتمكن من قتل أبو الخطاب ثم وصل إلى تونس واستولى

على القيروان، فغادرها بن رستم. وتوجه إلى تاهرت بالجزائر. وهناك أسس الدولة الرستمية التي لعبت دورا هاما في تاريخ الشمال الافريقي.

وتعاقب من بعد محمد بن الأشعث العديد من الولاة على المغرب العربي أمثال الأغلب بن سالم التميمي وعمر بن حفص ويزيد بن حاتم المهلبي وياصر بن حبيب المهلبي، فأساءوا معاملة البربر واهملوا شؤونهم، فثار عليهم الخوارج وقضى على ايديهم. وتدريجيا بدأت تظهر دول في المغرب العربي منفصلة عن الخلافة العباسية أمثال الدولة الإدريسية بالمغرب الأقصى والدولة الأموية بالاندلس والأغلبية بتونس والرستمية بالجزائر

ويقول ابن خلدون في كتابه "تاريخ البربر"، "بأن اعتناق البربر للاسلام لم يتم كلية إلا في سنة 101 هـ. وأثناء غزو العرب للشمال الإفريقي من لم يكن منهم يعتنق النصرانية أو اليهودية كان يعبد الشمس والقمر والأصنام".

الدولة الرستمية

160 هـ - 296 هـ

776 م - 909 م

عبد الرحمن بن رستم من أصل فارسي ولد في العراق، وفي صباه رافق والده لأداء فريضة الحج فمات أبوه اثر مرض أصابه في مكة. وبقي عبد الرحمن بقية به فصادفت حاجاً من القيروان تزوجها، وعاد بالابن عبد الرحمن وأمه إلى مدينة القيروان أين نشأ على الأخلاق الاسلامية الفاضلة وقضى صباه وشبابه وتلقى علوم الشريعة الإسلامية، فحفظ القران وتعلم السنة في مساجد القيروان، وفيها تلقى بدعاة الإباضية، وكان شخصا تقيا ومتقشفا وفي هذه الفترة كان الكثير من سكان الجزائر يعتنقون المذهب الإباضي الذي وجدوا فيه ملجا من ظلم الأمويين وسموا بالخوارج والواقع أن اعتناق المذهب الخارجي كان يهدف من ورائه تطبيق الشريعة الإسلامية بحذافرها بما ينتج عنها من مساواة سياسية واقتصادية واجتماعية وحق المسلمين في الثورة على الحكام عندما يتعدون على شرع الله. ولما نضج عبد الرحمن بن رستم بعثه داعية الاباضية سلمة بن سعيد في بعثة علمية إلى العراق، وفي البصرة تتلمذ على يد شيخها إمام الإباضية أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة مدة خمس سنوات من سنة 135 هـ حتى سنة 140 هـ وكان يدرس في مدرسة سرية لأن المذهب الاباضي لم يكن مسموح بتدريسه، وتخرج ـ عية حمل علمه إلى المغرب العربي وتوثى نشره وتخرج على يديه الكثير من لدعاة، وهذه الخصال الحميدة من أخلاق وعلم وذكاء هي التي أهلته فيما بعد بناء لدولة الرستمية. ولما وصل إلى المغرب العربي كانت الثورات مشتعلة ضد جور الحكام الأمويين فوجد جوا مناسبا لنشر أفكاره لأن سكانها قد اعتنقوه من قبل مجيئه وذلك بمجهود السالف من الدعاة الإباضيين. واستطاع الإباضيون خلال مدينة طرابلس وعقدوا الإمامة لأبي الخطاب ومن ثم سار أبو الخطاب حاكم طرابلس إلى القيروان، في ثورته ضد العباسيين ودارت بينهم حرب عنيفة انتهت بانتصار الاباضيين، ولما دخل أبوس الخطاب القيروان سنة 141 هـ عين عبد الرحمن بن رستم الاباضي واليا عليها ودام حكمه أربع سنوات أصلح امورها، أما ابو الخطاب فعاد إلى طرابلس وواصل مواجهته للجيوش العباسية واستطاع أن يهزم كل من قوت العوام بن عبد العزيز البجلي ومن بعده القائد أبا الأحوص عمر بن الأحوص وحين علم المنصور بنبأ الهزيمة بعث بجيش إلى محمد بن الأشعث والي مصر وأمره بالخروج لاسترداد طرابلس والقيروان في جيش قوامه أربعين الف

جندي فطلب أبو الخطاب معونة بن رستم ووقع نزاع في صفوف جيشه بين زناتة وهوارة ولما التقى الجيشان سنة 144 ه قرب مدينة طرابلس هزم وقتل أبو الخطاب والعديد من أصحابه على يد جيش بن الأشعث، وحيث كان في طريقه لنجدة أبو الخطاب علم عبد الرحمن بن رستم بهزيمته وعاد إلى القيروان لم ير جدوى من الاستمرار في محاربة الجيش العباسي، وفضل جمع قوته وبذل مجهوداته في بناء الدولة الرستمية.

فانسحب من القيروان واتجه إلى الجزائر وواجهته صعوبات عديدة في طريقه، ولما وصل إلى واد أجج و هو جبل منيع تحصن به فلحق به ستون شيخا من شيوخ الاباضية من طرابلس كما وفد اليه عدد كبير من بعض القبائل المجاورة وشرعوا في تشييد المساجد والمساكن والمرافق الضرورية الحياة الاجتماعية، وعندما اكتملت المدينة نظروا لمن يولونه حكمها، فلم يجدوا خيرا من عبد الرحمن بن رستم لتوفر جميع الشروط فيه من علم وأخلاق وقدرة على الحكم، فبايعوه إماما للدولة الرستمية سنة 160 ه وبذلك تحققت أمال الاباضيين في تأسيس أول دولتهم في المغرب الأوسط، وانكب عبد الرحمن بن رستم على تنظيم شؤون الدولة فأسس الإدارة ودار الزكاة ودار القضاء والجيش وشرع في العمارة والبناء والفلاحة حتى أصبحت دولته مفخرة المغرب العربي. و عتمد في سياسته على الشورى وتطبيق القرآن و السنة فكان يصرف أمور الخاصة في المسجد واقتدى في ذلك بمسلك الخلفاء الراشدين، فكان إماما عادلا وحاكما محبوبا على الفقراء وعرف عهده الاستقرار والهدوء لم يعرفه من قبل المغرب الأوسط ساده الرخاء والعدل والعلم وسلك مع جيرانه سياسة السلم وحسن الجوار، ولما شاعت شهراتها في ربوع الأقطار الاسلامية استبشر بها الاباضية فتدفق جموا، فأعانوه بأموالهم وتوافد إليها الزوار من شتى الأقطار الاسلامية. وتبقى هذه الدولة التي دامت قرنا وثلاثين سنة إسهاما كبيرا في تطوير الحضارة العربية الاسلامية شهد خلالها المغرب الأوسط ازدهارا كبيرا في ميادين العلم والعمران والاقتصاد والثقافة والفلاحة والتجارة

وبوفاة عبد الرحمن بن رستم سنة 171 هـ خلفه ابنه عبد الوهاب. ن عبد رحمن فواصل مسيرة أبيه إلى حين وفاته سنة 190 هـ. ثم تعاقب على حكمها كل من الائمة التالية أسماؤهم : أفلح بن عبد الوهاب، أبو بكر بن أفلح، أبو اليقظان بن أفلح، أبو حاتم بن أبي اليقظان، يعقوب بن أفلح وأخيرا اليقظان بن أبي يقظان. وساد في أغلب فترت عهدهم الأمن والهدوء. وأصلحوا شؤون الراعية وكرسوا حياتهم في العمران و لنشاط الاقتصادي ونشر الثقافة الاسلامية حتى صبحت دولتهم مركز اشعاع يتوفد عليها طلاب العلم من شتى الأقطار الاسلامية. دنجبت الكثير من علماء الدين والفكر والأدب أمثال الشاعر والفقيه بكر بن حماد تاهرتي، والأديب الحسن بن علي بن ظريف التاهرتي والفقيه أبو يعقوب يوسف براهيم الورجلاني وأبو عبد الله محمد بن سليمان النفوسي وكثيرون لا يتسع لوقت لذكرهم جميعا، وأصبحت تيهرت عاصمة المغرب الأوسط، امتد نفوذها من مدينة الزاب حتى تلمسان وضمت إليها مجموعة من المدن تنس ومليانة والشلف وهران ومستغانم ومعسكر وجزء من تلمسان، وربطتها بدول القيروان والمشرق والأندلس وخصوصا إفريقيا السوداء علاقات تجارية هامة، وكانت مدينة تيهرت مزودة بمكتبة كبيرة يقصدها طلاب العلم و يجتمعون د خلها في حلقات حول لعلماء، كما كانت المدينة مفتوحة على العلماء، من غير الإباضيين يأتونها من مختلف الأقطار الإسلامية.

ومن النقاط السلبية للدولة الرستمية أنها لم تعتني بالجانب العسكري وهذا ما سهل سقوطها بسرعة على يد الشيعة العبيديين الفاطميين والاستيلاء على عاصمتها تيهرت سنة 296 هـ، وأرغم سكانها على الهروب واللجوء بصدرته لموجودة بضواحي مدينة ورقلة ومنها توجهوا إلى مدينة غرداية وجزيرة جربة بتونس، ولازالت هذه المدن إلى يومنا هذا يقطن بها الإباضيون، كما أنهم بقيت محافظة على عمرانها ومذهبها بعد عشرة قرون من ظهورها.

الحياة السياسية و الاقتصادية و الاجتماعية في عهد الرستميين

للاباضية سياسة شرعية تختلف عن الشيعة والخوارج فهم يؤمنون بشرعية الخلفاء الراشدين، وبالتالي يرون ن الإمامة حق لكل مسلم تتوفر فيه الشروط الشرعية من فقه وأخلاق وعدل ومساواة، فإن رأوا منه انحرافا أثناء حكمه أوجبوا عزله وتتم مبايعته من طرف الشعب يساعده في حكمه مجلس شورى، هذا من الجانب النظري أما في الحقيقة فإن نظام الحكم طيلة فترتهم له يخرج من عائلة الرستميين ولم يسمح لعامة المسلمين تولي الإمامة فكانت وراثة بيعة ورثية، وهذا الأسلوب في الحكم الوراثي هو الذي سبب لهم خلافا في صفوف الإباضيين، فانتشرت الفرق بينهم وظهرت النكرية والوهابية والخلفية وغيرها من الاتجاهات المذهبية داخل الدعوة.

وماعدا فترة السلم والرخاء التي عرفها عهد عبد الرحمن بن رستم وابنه عبد الوهاب، ظهرت بعض الاضطرابات والنزاعات أثناء حكم الإمام الأفلح بن عبد الوهاب (190 - 241 ه) فحاولت بعض القبائل معارضة حكمه ولكن خبرته السياسية والعسكرية مكنته من السيطرة عليهم وقضى طيلة فترة حكمه في الهدوء وعرف عهده الرخاء و الرفاهية. ولما ولي الحكم من بعده أبو بكر بن الأفلح (210 241ه) ساءت أحوال سكان تيهرت سياسيا واقتصاديا فكان حاكما سيئ الأخلاق انغمس في الملذات والترف ففسد حكمه وعرف عهده الفتن والحروب فعاش سكان تيهرت جوا من الاضطرابات والعنف لم يعرفه من قبل ولما وافته المنية خلفه أبو اليقظان بن الأفلح (241 - 281 ه) وكان شخصا متدين زاهدا مثقف وله خبرة سياسية مكنته من استرجاع الهدوء في تيهرت وساعده في حكمه أشخاص من مختلف القبائل انضموا إلى مجلسه الشوري، وانتشر الرخاء وازدهرت الحياة الاقتصادية والعلمية في عهده حتى وفاته. فخلفه ابو حاتم بن ابي اليقظان (281 - 282 ه) وكان يشغل قبل ولايته بالتجارة فكان رجلا عنيد يفتقر للجانب الديني لم يلتزم بالمذهب الإباضي، فنافسه في الحكم عمه يعقوب بن الأفلح (282 - 296 ه) وعقدت المعارضة لولاية له فدارت حرب بينهم انتهت لفوضى مدينة تيهرت وقام بنو اليقظان بقتل عمهم وإمامهم أبو الحاتم سنة 294 ه وولوا

الامامة لوالدهم اليقضان بن ابي اليقضان واستمر حكمه حتى سقوط الدولة الرستمية على يد ابي عبد الله الصنعاني سنة 296 هـ.

وقد سلكت الدولة الرستمية اتجاه الدول المغاربية الاسلامية سياسة المسالمة وحسن الجوار سواء مع القيروان التي كانت تخضع للدولة العباسية او الاندلس التي كان يحكمها الأمويون او سلجماسة او الأدارسة بالمغرب الاقصى وهذا رغم اختلاف انظمتهم السياسية. وعاش المغرب العربي طيلة هذه الفترة في هدوء واستقرار. كما ربطت مع هذه الدول علاقات جيدة خاصة في الجانب الاقتصادي والفكري ففتحت مدينة تيهرت ابوابها للعلماء. فوفدوا إليها من مختلف الأقطار الاسلامية وانتشرت حرية الفكر وتعددت حلقات الجدل والمناظرة وتوسعت التجارة مع هذه الدول فجاءت قوافل تيهرت مختلف هذه الأقطار ووصلت حتى اعماق الجنوب الصحراوي، اي الى السودان رغم أن هذه الأخيرة لم تكن تدين بالاسلام.

وكان المجتمع الرستمي متكون من طبقة الأغنياء، والطبقة المتوسطة من الحرفيين والمزارعين والعبيد السود، وضم مجتمعهم مختلف الأجناس والاديان من بربر وعرب وفرس ومسيحيين ويهود. وكانت مدينتهم تيهرت متعددة الأسواق محاطة بسور لا يمكن دخولها إلا عن طريق أبواب.

دولـــــة الأدارســـــة

172 هـ - 375 هـ

788 م - 1018 م

عرفت الخلافة العباسية ثورة العلويين التي قادها الحسن بن علي وأشياعه، ومفادها أن الخلافة حق لآل علي ولكنهم لم يتمكنوا منها وقتل علي بمكة أثناء المعركة، فنجا ادريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي وأخوه يحيى الذي توجه إلى خرسان ثم بلاد الديلم ووقع في نهاية الأمر في قبضة الخليفة العباسي هارون الرشيد الذي قتله بالسم. أما ادريس فقد توجه رفقة مولاه الراشد إلى مصر ومنها إلى بلاد المغرب الأقصى وعندما وصل إلى بلدة وليلا استقبله اسحاق بن محمد بن عبد الحميد حاكم قبيلة أوربة الذي كان معجباً بالمذهب الشيعي فرحب به وطلب قومه مبايعته وتمت البيعة سنة 172 ه وكان طموحه كبيرا في انشاء خلافة علوية، فزحف على القبائل التي كانت لاتزال تؤمن بالمجوسية وتمكن من نشر الإسلام بين القبائل البربرية التي كانت تدين بالنصرانية واليهودية. ولما بسط نفوذه على المغرب الأقصى اتجه إلى مدينة تلمسان فبايعه أميرها محمد بن خزر المغراوي، فأقام بها مدة ثلاث سنوات وبنى بها مسجدا سنة 174 ه ثم رجع إلى المغرب الأقصى. ولما سمع الخليفة هارون الرشيد بالتقدم الذي أحرزه إدريس الأول في بناء دولة المغرب، فكر في شن حملة عسكرية عليه ولكن لبعد المسافة بين بغداد والمغرب غير رأيه، فأرسل إليه سليمان بن جرير الذي تقرب منه وتمكن من التوغل في حاشيته، وفي غياب مولاه راشد الذي كان لا يفارق ادريس قدم له سما في صورة عطر توفي على اثره، فطارده راشد ولحق به ولم يتمكن من قتل سليمان لكن استطاع قطع يده وفر إلى المشرق، وتوفي ادريس الأول سنة 177 ه ولازال ضريحه إلى يومنا هذا بمدينة فاس المغربية. فخلفه ابنه إدريس الثاني الذي بايعته قبائل البربر وكان سنه عشر سنوات، ووفد في عهده العرب من إفريقيا والأندلس واستقروا بدولته واستعان بهم وتخلى عن البربر الذين لم يعد يطمئن إليهم وعرف مشاكل مع الدولة الأغلبية التي كان يحكمها ابراهيم بن الأغلب التي كانت تثير البربر ضده، ثم شرع في التخطيط لبناء مدينة فاس، وامتد نفوذه من السوس الأقصى إلى واد الشلف الحد الجغرافي الفاصل بين دولة الأدارسة والأغالبة، وتعاقب عل حكم دولة الأدارسة التي دامت من سنة 172 ه إلى

375 ، الأمراء التالية اسمائهم . 1) إدريس الأول 2) إدريس الثاني 3) محمد بن ادريس 4) علي بن محمد 5) يحي بن محمد و ولده يحي 6) علي بن عمر 7) يحي بن القاسم بن إدريس 8) يحيى بن ادريس بن عمر 9) حسن بن محمد الحجام 10) موسى بن أبي العافية 11) القسم كنون بن محمد بن القاسم ابن ادريس 12) أبو العيش أحمد بن كنون 13) الحسن بن كنون.

ولم يقع في عهدهم أي تقدم يذكر ماعدا بعض الهدوء النسبي الذي ساد دولتهم. وبناء مدينة فاس ومسجد القرويين. ولما قسمت الدولة بين امراء العائلة الحاكمة في عهد محمد بن ادريس بدات السلطة تضعف إلى حد أنهم فقدوا نفوذهم تدريجيا على بعض اقاليم مملكتهم. فأساء حكامها السيرة واشتد الصراع بينهم على السلطة إضافة إلى الاضطرابات التي أحدثها الخوارج في عهدهم وعدم تمكنهم من بناء دولة قوية وإهمالهم للجانب العسكري مما شجع العبيديين الفاطميين بالزحف عليهم بقيادة جوهر الصقلي فقضى على جيش زناتة واستولى على مدن سجلماسة وفاس وبسط نفوذ الفاطميين على المغرب. إلا أن هذا لا يقلص دور الادارسة وفضلهم في نشر الاسلام في بعض القبائل التي كانت لا تزال تدين بالمسيحية والمجوسية وتعميم اللغة العربية. كما امتاز حكمهم على خلاف الدول الإسلامية الأخرى بالامركزية في تسيير شؤون دولتهم. وسلكوا سياسة المرونة وحسن التعامل مع الاهالي. وساد في عهدهم رخاء اقتصادي نسبي. أما الحياة الفكرية فكانت ضعيفة جدا عدا البعض لقليل من الفقهاء في الدين والأدباء والشعراء ومن بينهم الشاعر ادريس الثاني.

الدولة الأغلبية
184 هـ - 296 هـ
800 م - 909 م

تأسست الدولة الأغلبية على يد ابراهيم بن الأغلب وضمت كل من تونس وجزءاً من قسنطينة وطرابلس، وتعد بذلك اول دولة افريقية استقلت في شؤونها الداخلية عن الخلافة العباسية مع الاعتراف بالسيادة لها، ويرجع السبب في تأسيسها إلى سؤ تسيير محمد بن مقاتل العكي أخو هارون الرشيد من الرضاعة والذي عينة حاكما على القيروان عام 181 هـ. فعرف عهده الظلم و الطغيان مما دفع الأهالي للثورة عليه فلم يستطع مقاومتهم واستنجد حينئذ بابراهيم بن الأغلب حاكم اقليم الزاب الذي استطاع إخماد الثورة واسترجاع الهدوء والأمن، ولما سمع الهارون بما جرى عزل العكي عن ولاية تونس. وعين ابراهيم بن الاغلب مكانه سنة 184 هـ إرضاءً لأهالي إفريقيا وبطلب منه. بشرط دفع خراجا للخليفة قدره أربعون ألف دينار ذهبي في كل عام. فقبل الشرط ومنذ ذلك العهد أصبحت الإمارة مستقلة وراثية

فأسس بن الأغلب مدينة العباسية بالقرب من القيروان و تخذها مقراً لامارته واستقبل بها شرلمان أحد أكبر ملوك فرنسا في ذلك الوقت والذي كانت تربطه بهارون الرشيد علاقة صداقة متينة. وتوفي سنة 196 هـ. فخلفه ابنه ابو العباس عبد الله سنة 197 هـ والذي كان عاملا بطرابلس عند وفاة أبيه. فكان عكس خلاف أبيه رجلا طاغيا سلك سيرة الجور و العنف و أثقل الأهالي بالضرائب وتوفي سنة 201 هـ. وتولى الإمارة من بعده أخوه زيادة الله الأول وفي عهده عرفت إيطاليا صراعات سياسية على السلطة فاستغل الفرصة وجهز أسطولا بحريا بقيادة قاضي القيروان أسد بن الفرات غزى به جزيرة صقلية واستولى على العديد من الحصون والمدن الموجودة بها وألحق بجيشها هزيمة نكراء. كما ساد حكمه الهدوء والرخاء الاقتصادي، وانتشار العمران. وتوفي سنة 223 هـ. وفي عهد ابو ابراهيم أحمد الذي ولي لحكم سنة 242 اعتنى الأغلبيون بتطوير وسائل الري وبنوا من أجل ذلك عدة صهاريج تخزن كميات كبيرة من الماء. وفي ولاية محمد الثاني الملقب بابي الغرانيق تم فتح جزيرة مالطا سنة 255 هـ وضمت إلى الإمارة الأغلبية. وفي عهد ابراهيم الأصغر بلغت الإمارة الأغلبية قمة مجدها فشيد العديد

من القصور والحدائق وبنى مدينة رقادة التي تبعد عن القيروان بثمانية أميال وانتقل إليها من العباسية واتخذها مقرا لدولته، كما تمكن من فتح سرقوسة والاستيلاء عليها بعد حصار دام تسعة شهور. وتم ذلك عام 264 ه. وعاد إليها مرة ثانية سنة 289 ه في أسطول كبير قاصدا فتح مدينة روما واستولى على العديد من مدن إيطاليا الجنوبية ولما نزل مدينة كسنته أصابه رمح أثناء المعركة فقتل على اثره ودفن ببلرم عاصمة صقلية. وفي فترة حكم أبو العباس عبد الله ظهرت بالمغرب الأوسط (الجزائر) دعوة الفاطميين على يد أبي عبد الله الصنعاني التي أدت إلى سقوط الدولة الأغلبية ولقيت تأييدا كبيرا من قبيلة كتامة فحاول زيادة الله الأخر الذي تولي الحكم بعد مقتل أبيه أن يقضي عليهم فالتقى الجيشان سنة 296 ه في معركة الأربس وكان النصر حليف الفاطميين. ولما وصل نبأ الهزيمة زيادة الله الهزيمة جمع أمواله وعائلته وفر متوجها إلى المشرق طالبا النجدة من الخلافة العباسية فلم يتم له ذلك

وتعاقب على حكم الدولة الأغلبية منذ تأسيسها الأمراء التالية أسماؤهم

1 - ابراهيم بن الأغلب 184 ه- 196 ه

2 - أبو العباس بن عبد الله الأول : 197 ه- 201 ه

3 - زيادة الله الأول : 201 ه- 223 ه

4 - أبو عقال الأغلب : 223 ه- 226 ه

5 - أبو العباس محمد الأول : 226 ه- 242 ه

6 - أبو ابراهيم أحمد 242 ه- 249 ه

7 - زيادة الله الثاني : 249 ه- 250 ه

8 - محمد الثاني الملقب بأبو الغرانيق : 250 ه- 261 ه

9 - ابراهيم الأصغر : 261 ه- 289 ه

10 - أبو العباس عبد الله الثاني : 289 ه- 290 ه

11 - زيادة الله الثالث 290 ه- 296 ه

وخلاصة القول: عرفت الدولة الأغلبية طيلة وجودها الذي دام قرنا وتسع سنوات الاستقرار و الأمن عدا بعد الاضطرابات التي ظهرت في عهد ابراهيم بن الأغلب وزيادة الله الأول وتمكنوا من القضاء عليها بسرعة. ويرجع لهم الفضل في فتح جزيرة مالطا والتوسع في فتح جنوب ايطاليا والاستيلاء نهائيا على جزيرة صقلية ،التي تاثرت كثيرا بالحضارة العربية الإسلامية وانتشرت من خلالها فيما بعد سائر العلوم العربية إلى أنحاء أوروبا بعدما كانت من قبل تعيش في عصر الظلام، اضافة إلى دورهم الفعال في تحريك النشاط الثقافي والاقتصادي وبالخصوص مشاريع الري الكبرى التي أنجزوها والتي وفرت لهم عوامل الرخاء والرقي.

الدولة العبيدية الفاطمية

297 هـ - 362 هـ

910 م - 973 م

دخلت الدعوة الفاطمية من المشرق إلى المغرب بواسطة الداعية أبو عبد الله الصنعاني ويقال أنه من أصل يمني كان مقيما بالكوفة عاصمة الشيعيين يمتاز بالذكاء والبلاغة وكان عالما بعلمي الظاهر والباطن ومعتنقا للمذهب الشيعي الاسماعيلي وأثناء تأديته لفريضة الحج في عهد الخلافة العباسية التقى في مكة بجماعة من أفراد قبيلة كتامة من بينهم حريث الجميلي وموسى بن مكارم فسحرهم بقوة شخصيته وفصاحة لسانه وغزارة علمه ثم أخذ يستفسرهم عن أحوال بلادهم وعلاقتهم بابن الأغلب و لم يبين لهم قصده ثم رافقهم إلى بلاد المغرب الاوسط واستقر بمنطقة ليكجان ببلد كتامة قرب بجاية سنة 288 هـ وهناك تظاهر أمامهم بالزهد والتقشف وأنه من أنصار اهل البيت فاستغل سذاجة وحماس البربر فشرع في نشر مذهبه الشيعي الاسماعيلي يدعو للمهدي المنتظر بين بربر كتامة ومناهجة مدة سبع سنوات، ولقت دعوته أتباعاً وأنصاراً كثيرين فعظم شأنه بين القبائل. ولما تيقن من خلاصهم لدعوته والخضوع لطاعته شرع في تنظيمهم سياسيا وعسكريا وبدأ بمهاجمة الجيوش الأغلبية في الشرق الجزائري، فاستولى على مدينة ميلة وسطيف وطبنة وغنم غنائم كثيرة. ولما بسط نفوذه عليها كون جيشا كبيرا وزحف به على دولة بني الأغلب وهزم زيادة الله الثالث اخر أمراء بني

الأغلب واستولى على القيروان، واستطاع أن يقضي على الأغالبة في رقادة ويعلن قيام الخلافة الفاطمية سنة 296 ه، وحقق بذلك ما لم يستطع تحقيقه دعاة الشيعة في المشرق العربي. ولما دخل رقادة أمن سكانها على أنفسهم وأموالهم وعهدهم بنشر العدل والمساواة، وشرع في تنظيم أمور الدولة سياسيا وإداريا وفرض المذهب لشيعي الاسماعيلي. ثم راسل عبيد الله المهدي الذي كان متواجدا بمصر وحثه على انتصاراته، وعندما كان هذا الأخير متوجها إفريقيا قبض عليه حاكم سلجماسة بالمغرب الأقصى ووضعه في السجن ثم أعلم صديقه أمير الأغالبة لأن عبيد الله كان محل بحث من طرف الخليفة العباسي. ولما وصله نبأ اعتقاله سير له عبد الله الصنعاني جيشا كبيرا وتوجه به إلى هذه المدينة وفي طريقه دخل تاهرت بدون مقاومة حيث قضى على حاكمها اليقضان بن أبي اليقضان آخر أمراء الدولة الرستمية وولى عليها حاكما. ثم واصل زحفه على سلجماسة جنوب المغرب الأقصى وطلب من أميرها اليسع بن مدرار المنتصر إطلاق سراح المهدي لم يلب دعوته فحاصر مدينته يوما واحدا ولم يستطيع أميرها مقاومته ففر منها وقضى الصنعاني على دولة سلجماسة وحرر المهدي وابنه من السجن وسلم له الملك. فقام هذا الأخير بتعيين حاكم عليها لكن بمجرد خروج المهدي منها متوجها إلى رقادة ثار سكان سلجماسة على حاكمها وقتلوه هو ومن معه من حامية الجيش الفاطمي. ثم قام أبو عبد الله من بعد بتحرير أخوه أبو العباس المتواجد بسجن طرابلس. ويعتبر عبيد الله المهدي أول أمير للدولة العبيدية الفاطمية بافريقيا سميت نسبة اليه. واختلف المؤرخون في نسبه فمنهم من نسبه إلى سلالة فاطمة زوجة علي وبنت النبي محمد صلى الله عليه وسلم ومنهم من ذكر خلاف ذلك. وفي سنة 297 ه باشر المهدي سلطاته في بداية حكمه بمدينة رقادة بتونس ولقب نفسه بامير المؤمنين. ولما استقر الحكم في يديه وبايعه الناس بالخلافة أمر الأئمة بإقامة الدعوة له بذكر اسمه في خطب يوم الجمعة وبعث الدعاة الفاطميين إلى مختلف مناطق المغرب العربي للتبشير بمذهبه، فحارب المذاهب المالكية والإباضية وأتباعهم وأضفى على نفسه صفات الجلالة والتقديس فركز السلطات الروحية والدنيوية في يديه فاستبد في حكمه تجاه الأهالي فثاروا عليه لكن تمكن من اخمادها وتبخرت آمال البربر في الدولة الفاطمية وخاصة بعد قتل داعيته عبد الله الصنعاني وأخوه أبو العباس سنة 298 ه خوفا على نفوذه. وشيد بتونس مدينة المهدية نسبة إليه، ولما اكتمل بناؤها انتقل إليها سنة 308 ه رفقة عائلته واتخذها مقرا لدولته. ولما بسط الفاطميون نفوذهم على المغرب العربي توجهت أنظارهم إلى مصر فجهز عبيد الله المهدي جيشه واتجه به رفقة ابنه القائم بأمر الله

واستولى في طريقه على العديد من المدن حتى بلغ مدن الاسكندرية والفيوم. ثم عاد إلى إفريقيا أين توفي سنة 322 ه. فخلفه ابنه القائم بأمر الله فسار على سيرة أبيه والتي اتصفت بالقسوة والصرامة. وفي عهده استولى المسلمون بقيادة يعقوب بن اسحاق على جزيرة سردانية Sardaigne وكرسيكا Corse الواقعة في البحر المتوسط بالقارة الأوروبية. وبسبب سوء سيرته وقسوته ثار عليه سنة 326 ه رجل بجبال الأوراس يسمى أبا يزيد مخلد بن كيداد من قبيلة رناتة ويدعى بصاحب الحمار استطاع أن يجند أنصاراً كثيرين حول دعوته وتظاهر أمامهم بالدفاع عن المذهب السني المالكي فكون جيشا يقارب مئتي ألف جندي وزحف به على الدولة العبيدية وأثناء فتوحاته ارتكب جيشه أبشع الأعمال من نهب وتهديم وقتل ولما بلغ المهدية وحاصرها استنجد القائم بأمر الله بقبيلة صنهاجة وكتامة بالمغرب الأوسط. فلبوا نداءه ورفع أبا يزيد الحصار عنها وعاد إلى المغرب الأوسط. وبوفاة القائم بأمر الله سنة 334 ه خلفه ابنه اسماعيل المنصور و في عهده تم القضاء نهائيا على ثورة أبا يزيد. وتوفي هذا الأخير متأثرا بجرحه عام 336 ه. فعرف المغرب العربي هدوءًا نسبياً فاستفاد المنصور من هذه التجربة وحسن سيرته مع الأهالي من بعدها أسس مدينة المنصورية على نصف ميل من القيروان وباشر فيها حكمه ودفن بها سنة 341 ه. فخلفه ابنه المعز لدين الله وفي عهده أرسل أشهر قواده جوهر الصقلي على رأس جيش واجه جيش رناتة ثم زحف على سلجماسة فاستولى عليها، واستمر في فتحه للمغرب حتى اقتحم فاس ورجع إلى المهدية بعد أن نكل بالزناتيين اشنع تنكيل واتسعت رقعة مملكته من المحيط الأطلنطي بالمغرب الاقصى إلى مدينة طرابلس عاصمة جمهورية ليبيا حاليا. وعندما توفي حاكم مصر كافور الأخشيدي تدهورت الأوضاع في هذا البلد وكثرت الفتن فاستغل المعز هذه الفرصة، وفي سنة 358 ه شن حملة عسكرية على مصر بقيادة جوهر الصقلي وتمكن من دخولها بدون مقاومة. فرحب به أهلها وشيد بها مدينة القاهرة سنة 358 ه والجامع الأزهر. فأصبحت بذلك خاصة للسلطة العبيدية الفاطمية، فرحل إليها المعز سنة 361 ه ونقل معه أمواله ورفاة آبائه واجداده واتخذ من القاهرة عاصمة لمملكته. واستخلف على شؤون إفريقيا الأمير بلكين بن زيري الصنهاجي وواصل قائده جوهر الزحف على المشرق واستولى على مدينة الرملة بفلسطين ثم دمشق سنة 359 ه. وتوفي المعز بمصر سنة 365 ه. وبعد ذلك أخر خلفاء الدولة العبيدية بإفريقيا. وتولى من بعده الخلافة الفاطمية بمصر عشرة خلفاء من سنة 365 إلى 567 ه. وتربع على عرش الخلافة العبيدية الفاطمية في إفريقيا أربعة خلفاء وهم :

1 - عبيد الله المهدي : 297 هـ - 322 هـ

2 - القائم بأمر الله 322 هـ - 334 هـ

3 - اسماعيل المنصور : 334 هـ - 341 هـ

4 - المعز لدين الله : 341 هـ - 362 هـ

و خلاصة القول أن الخلافة الفاطمية في إفريقيا لم تقم بدور حضاري كبير إذا ما قرناها بالدول التي سبقتها الأغالبة والرستمية وهذا راجع بالطبع لكثرة الثورات الداخلية التي ظهرت في عهدهم مما جعلهم يعتمدون كثيرا على الجانب العسكري فطوروا جيوشهم البرية والبحرية وزودوها بمختلف الأسلحة حتى أصبحت سيدة إفريقيا والبحر الأبيض المتوسط. هذا بالاضافة إلى أنهم كانوا يتطلعون منذ نشأة دولتهم بالمغرب الأوسط إلى الرحيل عن هذه المنطقة وذلك ما تم فعلا بمصر. كما أن سكان إفريقيا السنيين لم ينسجموا مع مذهبهم الشيعي الإسماعيلي الذي اعتبروه غريبا عنهم، ولكن هذا لم يمنع الفاطميين من الاهتمام بالجانب العلمي ولو أنه كان يخدم بالدرجة الأولى مذهبهم، فلقد ازدهرت الحياة الثقافية في عهدهم فكثرت حلقات العلم وانتشرت حركة التأليف وظهر الكثير من المؤلفين في الفقه الشيعي الإسماعيلي والأدب واللغة والطب ورغم أن الحياة الاقتصادية تقلصت نوعا ما، إلا أن سكان افريقيا كانوا يعيشون حياة رخاء وهذا بشهادة مؤرخي تلك الفترة فقد اعتنى الفاطميون بالفلاحة والصناعة والتجارة.

الدولة الصنهاجية

362 هـ - 543 هـ

973 م - 1152 م

تولى بلكين بن زيري الصنهاجي شؤون افريقيا (تونس) والمغرب سنة 362ه بعدما انتقل المعز بالخلافة الفاطمية لمصر وعهد له بالإمارة وكناه بأبي الفتوح يوسف واختاره نظرا للخصال التي كان يتميز بها من شجاعة وعزم وللدور الفعال الذي لعبته قبيلة صنهاجة بقيادة أبيه زيري بن مناد في التمكين للدعوة الفاطمية بالمغرب الأوسط ومساندته في القضاء على ثورة قبائل زناتة المعادية والموالية للخلفاء الأمويين بالأندلس وثورة أبا يزيد الملقب بصاحب الحمار. وفي عهد بلكين بن زيري باعت له قبيلة مزغنة قطعة أرض جدد ووسع فوقها بناء مدينة الجزائر العاصمة على إنقاذ مدينة ايكوسيوم القديمة في أسفل بلدية القصبة حاليا وكذلك مدينة مليانة والمدية.

فغادر بلكين مدينة أشير بالمغرب الأوسط متوجها الى مدينة المنصورية بالقيروان ليستقر بها ليس كملك مستقل وإنما كحاكم برتبة أمير ممثل للفاطميين بالمغرب. وفي سنة 368 ه قام بحملة عسكرية ضد قبيلة زناتة ومغراوة وابفران وأخمد الثورة التي كانت تدبر بداخلها ثم استولى من بعد على تلمسان. وعندما كان يستعد للدخول إلى المغرب الأقصى لمطاردة زناتة الذين فروا. هناك جاءه أمر من المعز بالعودة إلى القيروان. ولما توفي المعز الفاطمي سنة 365 ه بالقاهرة خلفه ابنه العزيز. فبعث له بلكين من إفريقيا قافلة محملة بالهدايا. وحدد الخليفة الفاطمي فيه الثقة. فواصل بلكين بن زيري حربه ضد معارضه وأعداء زناتة بالمغرب الأقصى بعد أن طردهم من الجزائر فقضى على نفوذ الأمويين الأندلسيين هناك. واستولى من جديد على مدينة فاس وهزم قبيلة برغوطة واستولى على سلجماسة فأصبح أمير المغرب الأدنى والأقصى، ورغم ولائه للفاطميين إلا أنه كان يسير المغرب بصفة مستقلة. وفي سنة 373 ه توفي بلكين بالقيروان. فخلفه ابنه المنصور بن بلكين الذي بقي واقيًا للفاطميين وفي عهده اندلعت ثورة زناتة من جديد فأمر أخه حماد بالقضاء عليها وتمكن هذا الأخير من اخمادها. فعقد له ولايتي اشير والمسيلة. وفي عهد باديس بن المنصور الذي يويع سنة 388 ه خرج مع عمه حماد للمغرب الأقصى للقضاء على ثورة زناتة واشترط حماد بالمقابل أن يمتلك المدن التي يفتحها فقبل باديس هذا الشرط وتم النصر لهما. وعند عودته إلى المغرب

لاوسط اتجه حماد إلى مدينة اشير والمسيلة وشيد بها قلعته التي سميت نسبة اليه واتخذها مقر لدولته واستقل عن سلطة إفريقيا وانقسمت من يومئذ دولة صنهاجة إلى إمارتين الأولى شرقية وعاصمتها المنصورة والثانية غربية وعاصمتها قلعة بني حماد.

وفي عهد المعز من باديس اندلعت بالقيروان ثورة دموية بين الشيعة الفاطميين والسنيين العقاربة تسببت في مقتل الكثير من الاهالي. وساند المعز أتباع السنة وقطع علاقته بالخلافة الفاطمية سنة 435 ه ودعا للعباسيين السنيين ببغداد وأمر الأئمة بأن تخطب في المساجد للخلافة العباسية. ولما بلغ لفاطميون بمصر نبأ انفصال صنهاجة عنها، أشار البارزي الوزير على الخليفة الفاطمي أن يسرح العرب إلى إفريقيا حتى يقضوا على الصنهاجيين ويحل محلهم في الدعوة للعبيديين. فسلطوا عليه سنة 440 ه أعراب بني هلال وبني سليم وهم بدو قطنوا بصعيد مصر. فخرج إليهم المعز ولم يتمكن منهم فعاد الى المنصورية وتحصن بها. ولما رأى ما فعلوه في مدينة القيروان من تخريب وفساد ونهب واضطهاد لسكانها بادر إلى صلحهم. وأصل بنو هلال وبنو سليم من شبه الجزيرة العربية (المملكة العربية السعودية) ثم انتقلوا الى البحرين وعمان ودخل قسم منهم في دعوة الفاطميين فنقلوهم إلى صعيد مصر. ولما خلفه ابنه تميم بن المعز قسمت الدولة الصنهاجية إلى عدة مملكات وكانت أشبه بالأندلس في عهد ملوك الطوائف مما أدى الى ضعفها وتسلط الزمان عليهم فانتزعوا منهم جزيرة صقلية سنة 484 ه بعد أن دام فيها حكم المسلمين ثلاثة قرون ثم استولو على المهدية سنة 532 ه وفر منها الحسن بن علي آخر أمراء صنهاجة الشرقية والتجأ الى ابن عمه يحي بن العزيز آخر ملوك بني حماد. وتعاقب على حكم الدولة الصنهاجية منذ تأسيسها الى يوم انقراضها الأمراء التالية أسماؤهم .

1 - بلكين بن زيري . 362 ه - 373 ه
2 - أبو الفتوح المنصور : 373 ه - 386 ه
3 - باديس بن منصور : 386 ه - 406 ه
4 - المعز بن باديس : 406 ه - 453 ه
5 - تميم بن المعز 453 ه - 501 ه
6 - يحي بن تميم 501 ه - 509 ه
7 - علي بن يحي : 509 ه - 515 ه
8 - الحسن بن علي . 515 ه - 543 ه

الحماديون

408 هـ - 552 هـ

1018 م - 1152 هـ

بعد الاتفاق الزيري الحمادي شرع حماد بن بلكين في تأسيس عاصمته القلعة سنة 398 هـ والموجودة بالقرب من مدينة أشير جنوبي غربي برج أبي عريريج وشمال شرقي مدينة المسيلة وشيد بها مباني ومساجد وأحطاها بسور وأبواب وأقبل عليها المسلمون من إفريقيا والمشرق كالتجار والحرفيين والفقهاء حتى أصبحت مدينة كبيرة ومزدهرة. فبعث له الأمير باديس رسولا يطلب منه التنازل عن مدينة قسنطينة لابنه المعز فرفض حماد وأعلن الطلاق مع الدولة الزيرية واستعدل الخلافة الفاطمية بالخلافة العباسية، فبادر باديس بالهجوم عليه وألحق به هزيمة نكراء ففر حماد إلى قلعته وتحصن بها إلى أن توفي باديس أثناء حصاره سنة 406 هـ فواصل المعز بن باديس حربه ضد حماد انتهت في آخر المطاف إلى الصلح بينهما والاعتراف بحكم الدولة الحمادية على المغرب الأوسط. وعاش حماد بقية حياته في قلعته إلى أن وافته المنية على اثر مرض أصابه. فخلفه ابنه القائد سنة 419 هـ فولى أخاه يوسف حاكما على المغرب ووغلان على حمزة ودام حكمه خمس وعشرين سنة مرت خلالها الدول الحمادية بأحداث كثيرة منها انقطاع العلاقات الفاطمية الزيرية وغزو القائد بن الحماد على قبيلة زناتة وإخضاع مدينة فاس لسلطته. وفي سنة 432 هـ توجه الأمير الزيري المعز بجيشه إلى قلعته وحاصرها سنتين فطلب منه القائد بن حماد العفو ففي عنه ورجع المعز عائدا إلى إفريقيا ثم انقطعت من بعد العلاقات الزيرية - الحمادية وتوفي القائد بن حماد سنة 446 هـ. فخلفه ابنه محسن بن القائد على رأس الدولة الحمادية ولم يدم حكمه إلا تسعة أشهر عرفت خلالها الدولة الحمادية اضطرابات كثيرة جراء سوء تصرفه فعزل أعمامه من حكم ولاياتهم فثار عليه عمه يوسف حاكم المغرب ولم يتمكن محسن من السيطرة عليهم حتى قتل من طرف ابن عمه بلكين بن محمد الذي خلفه في الحكم. وكان بلكين شخص شجاعا صارما سافكا للدماء، في عهده دخل بنو هلال لمغرب الأوسط عنوة واسم بطشهم وقوتهم لم ير بلكين سبيلا إلا مصالحتهم فاتفق معهم على أن يحافظ الحضر يون بالمدن ويتركوا الأرياف لبنو هلال. وفي سنة 450 هـ تحالف بلكين مع بني هلال لمحاربة قبيلة زناتة وانتصر عليهم وفي نفس السنة ثار

عليه سكان بسكرة ثأرا لقتل قائدهم جعفر بن أبي رمان فاستطاع الأمير بلكين اخمادها ودخل المدينة عنوة فألقى القبض على شيوخ بني رمان وقتلهم جميعا. هذا ولما بلغ بلكين سنة 454 ه نبأ اجتياح المرابطين بقيادة يوسف بن تاشفين على المضامدة سير لهم جيشا كبيرا غزى به مدينة فاس وفتحها وعند رجوعه من المغرب الأقصى وهو في طريقه لوحده قتله الناصر بن علناس ثأرا لاخته التي قتلها بلكين ظنا منه أنها هي التي قتلت أخاه مقاتل، وكانت زوجة لهذا الأخير. فبايعت صنهاجة الناصر بن علناس حاكما على الدولة الحمادية سنة 454 ه وكان شخصا صارما أسس سنة 460 ه مدينة بجاية واستقر بها سنة من بعد فنظم شؤون الدولة الحمادية وولى إخوانه وأبناءه على المغرب وقسنطينة ومليانة والجزائر وأشير. وفي عهده ثار من جديد سكان بسكرة بنو رمان على الحماديين فسير لهم جيشا بقيادة وزيره خلف بن أبي حيدرة فقمع ثورتهم ودخل مدينة بسكرة عنوة ومن بعدها استولى سلميا على مدينة صفاقس وتونس وخضع حكامها لطاعته واندلعت حرب بينه وبين تميم الأمير الزيري لكن هذا الأخير تمكن منه وألحق بجيشه شر الهزيمة ففتح تميم مدينة تونس إلا أن الناصر أعاد الكرة مرة ثانية سنة 460 ه وتمكن من استرجاع تونس وفتح القيروان عنوة ووقع من بعد الصلح بين الأميرين الحمادي والزيري، وتوفي الناصر سنة 481 ه بعد أن دام حكمه سبع وعشرين سنة. فخلفه من بعده ابنه المنصور وكان عمره انذاك احدى عشر سنة فسلك سيرة أبيه وبقي على رأس الدولة الحمادية مدة سبع عشرة سنة تمكن خلالها من قمع ثورة عمه بلبار الذي كان حاكما على قسنطينة وبونة وولى مكانه أبي يكني لكن هذا الأخير ثار على المنصور سنة 487 ه وتآمر مع تميم امير المهدية وطلب المعونة من المرابطين لكن المنصور تغلب عليه واستولى على قسنطينة وبونة وقتل أبي يكني. وفي سنة 474 هاجم المرابطون بقيادة يوسف بن تاشفين الدولة الحمادية وتمكنوا من الاستيلاء على مدن تلمسان وتنس والونشريس والجزائر ثم عادوا إلى المغرب الأقصى وتركوا حامية بتلمسان وفي هذه الأثناء تحالف بنو ومانو وبنوبلومي وهما قبيلتان من زناتة مع المرابطين فتوجه إليهم المنصور بجيش وقضى عليهم واسترجع مدينة تلمسان وأخيرا عقد المرابطون الصلح مع المنصور وذلك سنة 497ه وتوفي المنصور عاما من بعد سنة 498 ه. فخلفه بنه باديس بن المنصور وكان شخصا قاسيا وبعد وفاته تولى أمر الحماديين أخاه العزيز بن المنصور وفي عهده هاجم الحماديون افريقية مرتين استولوا في المرة الاولى على جزيرة جربة واسترجعوا مدينة تونس التي خرجت عن طاعتهم. وفي هذه المدة الزمنية مر على المغرب الأوسط ابن تومرت مؤسس الدولة الموحدية عائدا من رحلته بالمشرق فزار

مدينة قسنطينة واستقر ببجاية فدرس بمساجدها ورأى ماوصل إليه الناس من انحطاط في السلوك فأمر بالمعروف ونهى عن المنكر فأزعجت خطبه وتصرفاته الأمير الحمادي العزيز فأمره بالخروج من بجاية ورحل من هناك إلى قرية ملالة فدرس في مسجدها ومن ثم انتقل إلى المغرب الأقصى أين أتيحت له الفرصة لتأسيس دولة الموحدين رفقة عبد المؤمن وهي التي قضت سنين من بعد على دولة الحماديين في عهد الأمير الأخير للدولة الحمادية يحي بن العزيز وتم ذلك على يد عبد المؤمن سنة 457 ه فاستولى على المغرب الأوسط بما فيها مدينة بجاية وقسنطينة وعنابة وتمكن الموحدون من القبض على الأمير يحي بن العزيز بمدينة قسنطينة وحملوه إلى مراكش. و تسمت خلال هذه الفترة الدولة الحمادية بالضعف والفساد والانحطاط فتكالبت عليها الدولة الافرنجية الصقلية وتمكنت من الدخول إلى مدينة جيجل سنة 537 ه وصدر شرشال وتنس سنة 539 ه فهدموها ونكلو بسكانها أشد تنكيل. وهذه أسماء الأمراء الذين تعاقبوا على حكم الدولة لحمادية :

1 - حماد بن بلكين : 408 ه - 419 ه

2 - القائد بن حماد : 419 ه - 446 ه

3 - محسن بن القائد : 446 ه - 447 ه

4 - بلكين : 447 ه - 454 ه

5 - الناصر 454 ه - 481 ه

6 - المنصور : 481 ه - 498 ه

7 - باديس : 498 ه - 498 ه

8 - العزيز 498 ه - 518 ه

9 - يحي . 518 ه - 552 ه

الحياة الاقتصادية و الاجتماعية

عاشت الدولة الحمادية طيلة حكمها في جو يسوده الرخاء الاقتصادي والاشعاع الفكري وهذا في شتى الميادين، فاهتم الحماديون بصناعة العتاد الحربي والورق والمعادن من حديد ونحاس وفضة ورصاص وشيدوا وراشات على الساحل البحري في كل من مدن بجاية وبونة، مختصة في صناعة السفن الحربية والتجارية وصنعوا أسطولا بحريا كبيرا مكنهم من حماية سواحلهم البحرية ونقل صادراتهم إلى الدول الأجنبية. كما اعتنوا بصناعة النسيج، فكانت ملابس وأفمشة بجاية مشهورة لجودتها، يتضاهى بها سكانها من الرجال والنساء. وكانت مدينة بجاية تحتوي على حرفيين كثيرين مختصين في صناعة الأواني المنزلية والفخار والزجاج والحلي الذهبية والفضية هذا إلى جانب المطاحن التي كانت تطحن الحبوب من قمح وشعير.

أما في الميدان الفلاحي فقد عرفت الزراعة تطورا كبيرا، فاعتنى الحماديون خصوصا بزراعة الحبوب من القمح والشعير، وكانت تسد حاجيات سكان المغرب الأوسط كما زرعوا البقول وأشجار الزيتون. ومن الفواكه الكروم والتفاح واللوز والسفرجل والتين والتمور على مختلف أنواعها كانت هذه الأخيرة مغروسة بمدن بسكرة وطولقة. هذا إلى جانب النباتات النسيجية من القطن والكتان والنباتات الطبية. وكانت مدن بجاية وبونة والقل تحتوي على غابات كثيفة من شجر الصنوبر، يستخرجون منها القطران ويصنعون منها السفن. كما اهتم الحماديون بتربية المواشي من بقر وغنم والخيل والإبل وتربية النحل واشتغلوا في ميدان الصيد، باصطياد السمك والمرجان.

وكانت الحياة التجارية المحلية جد نشطة فانشأ الحماديون عدة أسواق في كل من قلعة بني حماد وبجاية ومختلف مدن المغرب الأوسط يتبادل فيها التجار بضاعتهم، ولتطوير التجارة الخارجية شيدوا موانئ في كل من مدن بجاية والجزائر وشرشال وتنس وجيجل والقل وعنابة يتم من خلالها التبادل التجاري مع الدولة الزيرية بالمهدية والفاطمية بمصر والأندلس والمشرق العربي وايطاليا ومن أهم صادراتهم الخشب والمرجان، وفي مبادلتهم التجارية استعمل الحماديون أثناء حكمهم العملة الفاطمية ثم العباسية وكانت مصنوعة من الذهب والفضة ولتسهيل

واصلات الداخلية قام الحماديون بشق الطرق وتعبيدها وكانت تربط كل من مدينة بجاية وقسنطينة وعنابة وغيرها من مدن المغرب الأوسط .

أما المجتمع الحمادي فكان متكونا من عدة قبائل منها قبيلة تلكاتة وكتامة زناتة وتحيط بمدنهم أسوار لها عدة أبواب، وقسمت المدن الكبرى إلى أحياء، من أحياء بجاية نذكر حي اللؤلؤة وباب البحر والمنسج، تتوفر على مرافق عامة كالحمامات والدكاكين والمساجد والفنادق والقصور والصهاريج والآبار والعيون يستهلك منها السكان المياه

الحياة الدينية و الثقافية و العمرانية

اعتنق المجتمع الحمادي عدة مذاهب فمنهم السنيون والشيعة والإباضيون، فقبيلة زناتة سنية وقبيلة كتامة شيعية وسكان الزاب وورقلة الإباضية إلى جانب هذا كان يقطن بمدينة بجاية وقلعة بني حماد أقلية من الأجانب المسيحيين واليهود لهم كنيسة يؤدون فيها صلواتهم.

وعرفت الحياة الثقافية بفضل اعتناء الملوك الحماديين بها ازدهارا كبيرا في مختلف العلوم فأقبل عليها العلماء من كل جهة وانتعشت بذلك الثقافة في أوساط الجماهير الشعبية فارتفع مستواهم العلمي وأسست بها مدارس علمية وزوايا وأنجبت شعراء وادباء وفقهاء وأطباء كثيرا ومن أفضل شعرائهم نذكر . عبد الكريم النهشلي ومحمد بن حسين الطبني وابي سهل الخشني وابن القضل النحوي وابن رشيق وأبو حفص عمر بن فلفول. ومن الادباء الذين اشتهروا في النقد الأدبي النهشلي وابن رشيق ومحمد بن حماد الصنهاجي أما في النحو واللغة نذكر كل من الشيوخ ابن أبي سهل الخشني وعبد الكريم النهشلي وأبو القاسم يوسف البسكري ويحي بن عبد المعطي النحوي والحسن بن علي التهارتي ومن علماء الفلسفة والدين نذكر الفضل بن سلمة البجاني وأبو عبد الملك البوني وأبو بكر بن يحي الوهراني وأبو علي حسن بن علي بن محمد وأبو مدين شعيب بن الحسين وأبا محمد الأشيري وابن الرمامة ويوسف الورجلاني. هذا بالاضافة إلى الأطباء والفلكيين والرياضيين. كما اهتم الحماديين بالعمران والفنون فشيدوا

لمباني في مختلف المناطق التابعة لدولتهم مثل المسيلة وبجاية وقسنطينة وسطيف وبسكرة ومدينة الجزائر والمدية وملیانة فبنوا المساجد والقصور واعتنوا بزخرفتها حتى أصبحت بجاية عاصمة الحماديين أهم مدينة في الشمال الإفريقي. ومن القصور التي كانت موجودة في ذلك الوقت نذكر المنار والكوكب والرياض وبلارة ومن شهرهم قصر اللؤلؤة وللأسف لم يبقى من هذه المباني الكبيرة إلا بعض الأطلال في مدينة بجاية وقلعة بني حماد التي لازالت شاهدة إلى اليوم على عظمة الدولة الحمادية.

دولة المرابطين
430 هـ - 541 هـ
1038 م - 1147 م

عبد الله بن ياسين

يعود أصل المرابطين إلى قبيلة صنهاجة البربرية استوطنوا الصحراء الكبرى، وتأسست دولة المرابطين على يد قبيلة لمتونة الذين كانوا يستعملون اللثام بحيث لا ينزعونه مطلقا ولهذا اطلق عليهم اسم الملثمين ومن إخوانهم اليوم التوارق، وهم من البدو منهم الرحال والمستقرون اعتمدوا في حياتهم على الابل والماشية والتجارة مع دول إفريقيا السوداء النيجر، السنيغال والسودان. ويرجع الفضل اليهم في نشر الاسلام في هذه البقاع. وبلغ الانحلال الخلقي والفساد منتهى الخطورة عند ما تقلد الأمير يحيى بن ابراهيم إمارة الملثمين فناب ابنه إبراهيم ثم سافر إلى المشرق لأداء فريضة الحج و طلب العلم سنة 427 هـ، وعند عودته مر بالقيروان واتصل بالفقيه ابي عمران الفاسي امام المذهب المالكي فتزود منه علما غزيرا، وطلب منه ان يبعث معه فقيها من تلاميذه ليعلم الملثمين في شؤون دينهم، فلم يقبل أي تلميذ من تلاميذه الرحيل معه، فكتب له رسالة إلى احد تلاميذه القدماء وجاج بنو زلو الذي اسس مدرسة لدارسة العلوم الاسلامية ببلدة نفيس ولما وصلته الرسالة عرضها على تلاميذه وتطوع عبد الله بن ياسين لهذه المهمة وهو من أصل صنهاجي شديد التدين ورجل ميدان يعرف جيدا المنطقة. وعندما وصل إلى قبيلة لتمونة صحبة يحي سنة 430 هـ شرع في مهمة الوعظ والإصلاح، فمنع عليهم الزواج بأكثر من أربعة نساء وأمرهم بالصلاة في وقتها وحارب

العفـــدين من السراق والزناة وكان رجلاً متقشفاً في الملبس والمأكل. ولما رفض الملثمون دعوته، رحل عنهم رفقة الأمير يحي بن إبراهيم وانضم إليهم سبعة من أشراف القبيلة وذهبوا إلى نهر النيجر وهناك أقاموا رباطهم للتعبد ومنه ستمدوا اسمهم بالمرابطين فتدربوا على فنون القتال وقرروا آنذاك بناء دولتهم حسب المذهب المالكي. ولما شاع أمرهم بين الملثمين توافدوا عليهم حتى بلغ عددهم ألف رجل، فشرع ابن ياسين في تعليمهم وتدريبهم حتى تقبلوا دعوته عن اقتناع حينئذ طالبهم بالخروج معه للجهاد. وقبل ذلك وجه ابن ياسين انذاراً للملثمين بعد أن دعاهم للتخلي عن منكراتهم. ولما أعرضوا عن دعوته قرر محاربتهم وخرج رفقة أنصاره سنة 434 ه بجيش قوامه ثلاثة الاف محارب. فبدأ باللمتونيين ثم المسوفيين حتى خضعوا جميعا بالقوة لابن ياسين. وبعد وفاة يحي بن ابراهيم سنة 440 ه خلفه يحي بن عمر اللمتوني. وكانت آنذاك عدة قبائل تعيش المظالم، فكتب إليه سكانها من فقهاء سجلماسة يطلبون منه التدخل لوضع حد لمظالم وفساد حكام بني وانودين الخاضعين لهم فزحف عليهم عبد الله بن ياسين رفقة يحي بن عمر فدخل إلى سجلماسة و قتل أميرها مسعود بن وانودين. ثم استولوا على درعة وواصلوا زحفهم إلى السودان. وعندما توفي يحي بن عمر سنة 447 ه خلفه أخوه أبو بكر بن عمر وفي عهده خرج بجيش كبير و استولى صحبة القائد ابن عمه يوسف بن تاشفين على بلاد السوس وتارودانت ثم أغمات وتادلا وأقروا بها مذهب مالك وحاربوا الشيعة الذين كانوا متواجدين بها. وعندما بسطوا نفوذهم على هذه الأقاليم حاربوا قبائل بورغوطة التي كانت تعتنق مذهبا مخالفا لدين الاسلام ابتدعه رجل يهودي وكانت الحرب عنيفة بين الجانبين أستشهد على اثرها عبد الله بن ياسين سنة 451 ه. وبعد وفاته عين مكانه سليمان بن حدو ولكنه لم يعيش طويلا.

وفي عهد أبو بكر بن عمر وقعت فتنة بين قبيلة لمتونة ومسوفة اضطر من أجلها العودة إلى الصحراء لحل النزاع واستخلف مكانه ابن عمه يوسف بن تاشفين. ولما أخمد بن عمر هذه الفتنة اصبح أحوال الرعية عاد إلى الشمال فاستقبله يوسف بن تاشفين في جيش عظيم تمكن من خلاله السيطرة على عدة أقاليم. فعرف بن عمر قدرة هذا الرجل في القيادة، فتنازل ليوسف بن تاشفين عن ولاية لمغرب وعاد هو بنصف الجيش إلى الصحراء وواصل جهاده في نشر الإسلام وفتح بلاد السودان حتى توفي سنة 480 ه

يوسف بن تاشفين و دور العظمة

ولما تولى بن تاشفين ولاية المغرب سنة 453 ه اتخذ من مراكش عاصمة لدولته، وشرع في تنظيم جيشه الذي بلغ مائة ألف ثم زحف على مدينة فاس وفتحها سنة 455 ه، وواصل جهاده حتى استولى على مدينة طنجة ثم سبتة ولما بسط نفوذه على جزء كبير من المغرب الأقصى ولي عليها ولاة، ثم كلف قائده مزدلي سنة 472 بفتح مدينة تلمسان، ثم خرج يوسف بن تاشفين رفقة جيشه واستولى على وجدة وتلمسان سنة 474 ه ومنها توجه إلى المغرب الأوسط واستولى في طريقه على بلعباس ووهران والشلف وغيرها من مدن الغرب وحاصر الجزائر العاصمة واستولى عليها سنة 1082 م ثم رجع إلى مراكش.

فتح الأندلس

لم يكن فتح الأندلس رغبة يوسف بن تاشفين وإنما بطلب من سكانها لمحاربة النصارى بقيادة ألفونس السادس ملك قشتالة، وللعلم أن الأندلس بعد سقوط الخلافة الأموية كانت تعيش في تلك الفترة فوضى سياسية بحيث كانت مقسمة إلى عدة إمارات تتصارع فيما بينها وكل طائفة منها يحكمها ملك في غير مملكة عرفوا بملوك الطوائف، مما شجع الملك ألفونس وحليفه ساشو الثاني ملك أراغون بفرض سيطرتهم على هؤلاء الملوك وأثقالهم بالضرائب وتوصل إلى احتلال مدينة طليطلة سنة 478 ه وطرد مالكها يحيى بن ذي النون، ورغم نداءات بعض أشراف المدينة ومنهم القاضي أبي الوليد الباجي لتوحيد الصفوف ضد النصارى إلا أنها باءت بالفشل، وأمام هذا الوضع المزري لم يجد المسلمون المخلصون من بني الأندلس "لا الاستنجاد بدولة المرابطين فبعث المعتمد أمير اشبيلية بالتفاق مع بعض أشراف الأندلس وفدا إلى يوسف بن تاشفين طالبا منه التدخل لانقاذ الأندلس فقبل هذا الطلب على شرط تسليمه الجزيرة الخضراء ليتخذها مركزا لجيوشه وذلك ما تم، وعبر بجيشه مضيق جبل طارق وساعده في مهمته المعتمد وعندما نزل بالاندلس توجه للقاء جيش ألفونس وبسهل زلاقة سنة 479 ه اصطدم الجيشان في معركة عنيفة كان النصر فيها حليف بن تاشفين الذي كبد عدوه خسائر كبيرة رغم كثرة عدده و عداته.

ثم عاد إلى مراكش، واستنجد به الأندلسيون من جديد سنة 481 ه وقضى على ما بقي من جيوش النصارى التي كانت تضايق سكان مرسية وبلنسية وغيرها من الأقاليم، ولما واصل ملوك الطوائف عبثهم وصراعاتهم فيما بينهم والتحالف مع

النصارى للاستمرار في حكمهم [illegible] بن تاشفين ابنه علي [illegible]
فقرر نزعهم من حكمه وضم بقية الأقاليم التي كانت خاضعة لحكم [illegible]
الأندلس لحكم المرابطين مباشرة وعين عليها نائبا [illegible]
يوسف بن تاشفين إلى المغرب أين توفي [illegible]
المسلمين سنة [illegible] هـ [illegible]
الله وتوحيد صفوف المسلمين [illegible] تعاليم الإسلام [illegible]
يومنا هذا متواجدا بمدينة مراكش المغربية.

خلفاء بن تاشفين

خلف يوسف بن تاشفين ابنه علي بن يوسف في [illegible]
عدة فواصل عسكرية وقام بإصلاحات كبيرة في شؤون [illegible]
عدة للدخول إلى الأندلس ومجابهة النصارى ففتح مدينة [illegible]
[illegible] البرتغال [illegible] أشبونة وغيرها من المدن [illegible]
[illegible] تاشفين [illegible]
[illegible] يوسف على [illegible]
[illegible] تاشفين بن علي الذي [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

الأعمال الحضارية
لدولة المرابطين

أمّا الميدان الفكري فقد طغى عليه الفقه المالكي لكن احتكاكهم بعلماء الأندلس ساعدهم على البروز في الميادين الأخرى كالأدب والتاريخ رغم أن معظم النشاطات العلمية كانت متمركزة في الأندلس. ومن أبرز علماء ذلك العصر في المغرب العربي الجغرافي المغربي المشهور عالميا أبو عبد الله محمد الإدريسي ولد سنة 494 ه زار الكثير من دول العالم في إفريقيا والمغرب والأندلس وأسيا الصغرى وفرنسا وصقلية وانكلترا. ومن أشهر مؤلفاته الجغرافية "نزهة المشتاق في اختراق الآفاق" الذي كلفه خمس عشر سنة من البحث، وألفه بطلب من ملك صقلية روجر الذي كان معجباً بالحضارة العربية الإسلامية، كما قام بوضع خريطة حائطية للعالم وصنع كرة أرضية من الفضة نقش عليها الأنهار والبحار والمدن الخ، وهو أول من اكتشف منابع النيل.

دولة الموحدين

515 هـ - 668 هـ

1121 م - 1269 م

محمد بن تومرت

يعود الفضل في تأسيس دولة الموحدين إلى الفقيه المصلح محمد بن تومرت. وهو من قبيلة هرغة من المصامدة الموجودة بجبال الأطلس بالمملكة المغربية ولد سنة 485 هـ، تعلم بالمغرب ثم واصل دراسته بقرطبة والإسكندرية والعراق ومن أساتذته الإمام المازري والإمام أبي بكرالطرطوشي وعلي بن المبارك وأبو بكر الشاشي وتأثر خصوصا بشيخه الإمام الغزالي حيث لازمه ثلاث سنين تعلم فيها أصول الدين والحديث وعلم الكلام. وبعد حوالي عشر سنوات بالمشرق عاد إلى بجاية بعد أن مر بالاسكندرية والمهدية وفي طريقه كان يلقي دروسا بالمساجد ويعظ الناس بواجبات الشريعة ويحارب المنكرات في الطرق. وبجاية انكب في التدريس والوعظ فأزعجت أفكاره الإصلاحية أمير الحماديين العزيز ابن المنصور فطرده منها. وفي بلدة ملالة القريبة من مدينة بجاية التقى بداخل مسجدها بالشاب عبد المؤمن بن علي جالسا في درسه والذي كان متوجها إلى المشرق من ميناء بجاية طلبا للعلم. وصده عن الذهاب فاعتنق عبد المؤمن أفكاره وبقي بصحبته يساعده ويتعلم منه ثم سافر معه إلى مدينة تلمسان ومنها اتجه إلى فاس ومكناس، وكان خلالها يلقي الدروس والوعظ بمساجدها ويحارب البدع والمنكرات بلسانه ويده حتى ذاع صيت ابن تومرت فرحب الناس بفكره رغم المضايقة التي تعرض لها من قبل ولاتها. وبمدينة مراكش عاصمة المرابطين التقى في المسجد يوم الجمعة بأمير المرابطين علي بن يوسف ابن تاشفين فوعظه ونظار فقهائها أمثال مالك بن وهيب ومحمد بن أسود وأفحمهم بالحجة والبرهان وحثهم على ما تفشى في المجتمع من بيع وشرب للخمر جهرا وتربية الخنازير وتبرج النساء أمام العامة وإهمال الواجبات الدينية والاشتغال بالطرب وضياع أموال المسلمين. ولما تيقن أمير المرابطين من خطورة فكره على حكمه طرده من مراكش، فاتجه إلى قبيلته هرغة بالمغرب الأقصى وهناك كان يدعو الناس إلى مجاربة حكم المرابطين. وعندما انتشرت دعوته بين الناس جمع رجال مصمودة وقبائل الأطلس رفقة عشرة من أصحابه الأوفياء فبايعوه في رمضان سنة 515 هـ ولقب نفسه بالمهدي المنتظر وأطلق على أنصاره لقب الموحدين. وفي سنة 517 هـ

عد جيشا كبيرا ضد المرابطين بقيادة عبد المؤمن وقال ابن تومرت لأنصاره حسب ما ذكره المؤرخ عبد الواحد المراكشي في كتابه "المعجب في تلخيص اخبار المغرب" : "اقصدوا هؤلاء المارقين المبدلين الذين سموا بالمرابطين فادعوهم الى إماتة المنكر، وإحياء المعروف، وإزالة البدع، والاقرار بالامام المهدي المعصوم، فان أجابوكم فهم اخوانكم لكم ما لهم وعليهم ما عليكم، وان لم يفعلوا فقاتلوهم، فقد أباحت لكم السنة قتالهم". وقد خاض الموحدون عدة معارك ضد المرابطين، كانت اكبرها وأعنفها معركة البحيرة سنة 524 هـ ففي هذا التاريخ جهز بن تومرت جيشا عظيما متكونا من حوالي اربعين الف فارس بقيادة محمد البشير زحف به الى مراكش وهناك اصطدم بالمرابطين في معركة البحيرة فانهزم الجيش الموحدي وقتل الكثير من اصحابه من بينهم ابو محمد البشير، اما عبد المؤمن فقد أصيب بجروح بليغة في فخذه الايمن. ولما وصله خبر الهزيمة قال بن تومرت : "أفيي قد نجا عبد المؤمن؟ قالوا نعم قال لم يفقد احدا". وقد تأثر من بعد تأثرا بليغا بهزيمة الموحدين، توفي على اثرها جراء مرض اصابه ايام من بعد سنة 524 هـ ودفن بمعزله بتينملل سرا، وكتم صحابه خبر موته ثلاث سنوات، وقبل وفاته وصى اصحابه بمبايعة رفيقه وتلميذه ابو علي عبد المؤمن.

عبد المؤمن بن علي

هو من مواليد سنة 487 هـ ولد في نواحي بني يوسف بن تاشفين بقرية تاجرا بضواحي تلمسان حاليا قبيلة اولاد ايمور من قبيلة الكومية. وكان والده يشتغل بصناعة الاواني الفخارية. ومن مواصفات عبد المؤمن انه ابيض اللون اسود الشعر جميل الطلعة معتدل القامة فصيح اللسان شجاع، ذكي يحب العلم والعلماء. وهو القائد العظيم والمؤسس السياسي لدولة الموحدين، بمطاع بفضل عبقريته وروحه المتفانية في توحيد القبائل والامارات المتناحرة في الشمال الافريقي وتاسيس دولة الموحدين بالمغرب العربي. وقد قال عنه المؤرخ بن ابي زرع الفاسي في كتابه روضة القرطاس " كان ملكا عظيما وعادلا، سياسا عظيم الهيبة، عالي الهمة، كثير المحاسن، متين الديانة". وتمكنت هذه الشخصية من تشييد دولة من اعظم الدول الإسلامية. وحسب العلامة ابن خلدون فان البيعة العلانية العامة لعبد المؤمن تمت بعد وفاة المهدي بثلاث سنوات أي سنة 527 هـ.

توحيد دول المغرب العربي

عندما تولى عبد المؤمن بن علي الخلافة لم يباشر في محاربة المرابطين وإنما اهتم بتنظيم جيشه ونشر دعوة الموحدين لعدة سنوات. وكان يقوم بغارات من حين لآخر على المرابطين. ولما كون جيشا كبيرا سار بتكتيكه الحربي بحيث أصبح يعتمد على الجبال بعد أن كان يعتمد على السهول. فزحف بقواته سنة ٥٤١ هـ على بلاد المغرب فحرر عدة جهات من الشمال حتى وصل إلى جبال غمارة. ثم اتجه شرقا فاستولى على مدينة بني عبد الواد. ولما بسط نفوذه على جزء كبير من المغرب الأقصى توجه إلى المغرب الأوسط ففتح مدينة تلمسان سنة ٥٤٩ هـ. ثم التحق بأمير المرابطين تاشفين بن علي الذي فر منها إلى وهران لطلب نجدة أسطوله المتواجد بالأندلس فحاصره الموحدون وتمكنوا منه فمات تاشفين بن علي سنة ٥٤٩ هـ قبلا وهو يحاول الفرار بقاربه من الحصن فسقط من حافة الجبل. ثم عاد إلى المغرب ففتح من بعد مدينة فاس سنة ٥٤٠ هـ ومكناس وسلا والرباط واختيروا عاصمة المرابطين مراكش التي حاصرها لمدة تسعة أشهر وتمكن من الاستيلاء عليها سنة ٥٤١ هـ والقضاء على الأمراء المرابطين المتواجدين بها. ولما سقطت دولة المرابطين زحف على مدينة الجزائر التي كانت تابعة لمحمد بن وانسولى عليها سنة ٥٤٠ هـ بدون مقاومة ثم فتح مدينة بجاية في نفس السنة بعودة وفر أميرها يحيى بن العزيز آخر أمراء الحماديين إلى مدينة عنابة ثم انتقل منها إلى قسنطينة فطارده جيش الموحدين واقتحموا المدينة وحصنه في مراكش أسرا.

وبعضية من سكان تونس الذين استنجدوا به لحمايتهم ضد اعتداءات النورمانديين الشماليين من جنس السكندينافيين والدنمرك استولوا على جنوب إيطاليا وقسم من فرنسا سمي باسمهم نورمندي) الذين تمكنوا من احتلال العديد من أقاليم تونس كجزيرة جربة والمهدية حتى وصلوا إلى مدينة تونس. وفي سنة ٥٥٤ هـ كون عبد المؤمن جيشا كبيرا برا وبحرا قوامه مئة ألف فارس وزحف به على مدينة تونس فاستولى عليها عنوة ومنها توجه إلى المهدية المحصنة فحاصرها بحرا وبرا مدة ستة أشهر وحررها سنة ٥٥٥ هـ وهي نفس الوقت تمكن من تحرير مدن قابس وصفاقس وقفصة وطرابلس وبايعه سكانها. وعين عليها محمد بن أبي فرج الكومي حاكما. وهكذا تمكن عبد المؤمن من توحيد المغرب العربي لأول مرة في تاريخه وأصبح سيدا عليه.

تحرير الأندلس

ولما عاد إلى مراكش استنجد به سكان الأندلس طالبين منه الحماية ضد الفوضى التي كانت تسود بلادهم من جراء الثورات القائمة ضد حكم المرابطين وعدم قدرة الأمير أبي الحسن علي بن يوسف على إقرار الأمن وخوفهم من استيلاء النصارى عليها. وتزعم هذه الثورات كل من قضاة وفقهاء الأندلس أمثال القاضي أحمد بن حمدين بقرطبة سنة 539 ه، وبن حسون بمالقة سنة 538 ه ومحمد بن عبد الله الخشني بمرسية سنة 539 ه وغيرها من مدن الأندلس. وكانت تهدف إلى التحرر من حكم المرابطين واستقلال كل واحد منهم بإماراته. فجهز عبد المؤمن سنة 541 ه جيشا ضخما وزحف به على الأندلس عن طريق سبتة واستولى على مدن اشبيلية ومالقة وقرطبة. وفي سنة 546 ه حاصر الموحدون مدينة مرية التي كانت تحت سيطرة جيوش ألفونس السابع لكن لم يستطيعوا الاستيلاء عليها. ثم استسلمت لهم سنة 549 ه مدينة غرناطة التي كان يحكمها ميمون بن بدر المرابطي، فبايعوا أهل الأندلس عبد المؤمن ودخلوا في طاعته. وفي سنة 552 استرد الموحدون مدينة المرية بعد أن ألحقوا بجيش النصارى هزيمة نكراء. وعندما كان عبد المؤمن متواجداً بمراكش وصله سنة 556 ه نبأ هزيمة الجيش الموحدي على يد ابن مردنيش، فخطط للعبور إلى الأندلس فجمع جيشا ضخما. ولما وصل إلى هناك فرّ ابن مردنيش وحرر من جديد مدينة غرناطة. ثم عاد إلى المغرب حيث توفي بمدينة سلا إثر مرض أصابه سنة 558 ه ودفن إلى جوار شيخه الأب الروحي لدولة الموحدين المهدي بن تومرت ببلدة تينمال.

خلفاء عبد المؤمن

وقبل وفاته وصى أصحابه بمبايعة ابنه محمد ولكن سرعان ما خلع من طرف إخوانه لأنه لم يكن أهلا للحكم وعين مكانه أخوه أبي يعقوب يوسف سنة 558 ه، وكان ذا أخلاق حسنة يحب العلم والعلماء درس علوم اللغة والطب والفلسفة. وفي بداية عهده عرفت دولة الموحدين ثورات قادها كل من مرزدغ وسبع بن منفلد في بلدة غمارة وتمكن من القضاء عليها. وفي سنة 564 ه بعث إلى الأندلس جيشا يقوده الشيخ أبوحفص وتمكنوا من استرداد بطليوس التي احتلها من قبل فرديناند ملك ليون، ثم نزل الخليفة أبي يعقوب بنفسه رفقة جيشه بالأندلس سنة 566 ه وقضى على فتنة ابن مردنيش بقرطبة واستولى على بلدة وبذة ولم يتمكن من القضاء على جيوش سانشو البرتغالي، ثم عاد إلى المغرب سنة 571 ه. وعندما أصر على القضاء نهائيا على النصارى بالأندلس والبرتغال كون جيشا كبيرا سنة

580 ه ولما وصل هناك أمر ابنه أبا اسحاق بمهاجمة لشبونة وخرج بالجيش في الليل تاركا أبوه أبي يعقوب رفقة جيش يسير، ولما بلغ الأمر سكان شنترين البرتغال، هاجموا معسكر أبي يعقوب ولم يتمكن منهم لكثرة عددهم ولكنه واجههم بكل شجاعة رغم قلة جنوده و قتل هو و حراسه سنة 580 ه.

وخلفه من بعده ابنه يعقوب المنصور وعرفت افريقيا في عهده ثورة ابن غانية المرابطي الذي كان حاكما على جزر الباليار الاسبانية فاستولى رفقة قواته على بجاية سنة 581 ه ثم ضموا إليهم مدينة الجزائر ومليانة ومازونة، وتمكن المنصور من إخماد ثورتهم واسترجاع المدن التي احتلوها بعد جهد كبير، سقطت فيه العديد من الأرواح، وعندما استقر الأمن في ربوع افريقيا توجه إلى الأندلس مرتين جاهد خلالها النصارى وعقد معهم صلحاً دام خمس سنوات ثم نقض النصارى العهد وهاجموا المسلمين في ديارهم، ثم عاد مرة ثانية بعد أن كون جيشا ضخما قاده بنفسه وزحف به على الأندلس لمحاربة ألفونس الثالث ملك قشتالة الذي احتل بعض الأراضي الإسلامية والتقى الجيشان سنة 591 ه بقلعة الارك وكبد جيش قشتالة هزيمة نكراء استطاع ألفونس الفرار منها، ثم واصل هجومه وتمكن من تحرير بعض الأقاليم، وفي الأخير اضطر النصارى الى طلب الصلح، وعاد من بعدها إلى المغرب أين توفي سنة 595 ه. فخلفه محمد الناصر وفي عهده تمكن تحالف النصارى بمساعدة البابا سنة 609 ه من الثأر من هزيمتهم في غزوة الارك، وتمت هذه المعركة في سهل تولوزا وكبدوا الجيش الموحدي الذي انسحب منه جيش الأندلس خسائر كبيرة في الأرواح، وأحدثت هذه الواقعة صدمة نفسية عنيفة لدى الناصر والمسلمين أعتبرت بداية تاريخ تفكيك الدولة الأندلسية بإسبانيا توفي من بعدها الناصر سنة 610 ه. فجاء من بعده يوسف المستنصر ودام حكمه حتى سنة 620 ه عرف بعهد الضعف لما ساد في تلك الفترة من فساد وفتن في إفريقيا خصوصا من طرف بنو مرين الذين ظهروا سنة 613 ه وتمكنوا سنين من بعد في إسقاط دولة الموحدين إضافة إلى الإنهزامات المتكررة لجيش الموحدين وتدخل أمراء النصارى في الشؤون الداخلية للمسلمين بالأندلس وضياع أراضيهم، هذه الاضطرابات التي لم يتمكن أي خليفة من بعده التحكم فيها.

ثم تعاقب من بعده في حكم دولة الموحدين كل من: عبد الواحد ولكن سرعان ما خلع من خلافته وقتل خنقا سنة 621 ه، وعين مكانه عبد الله العادل حتى قتل سنة 624 ه من طرف نائبه بالأندلس أبو العلاء، ثم خلفه ادريس المأمون وحاول أن يعيد مجد دولة الموحدين، ولكن الظروف لم تسمح له بذلك ومات سنة

...ه وكانه خير دوله لمدة سنة، ثم بايعوا ابنه عبد ... بن الرشيد سنة ٦٥١ ه وانتهت حياته غرقا في أحد صهاريج بستانه بمراكش سنة ٦٥٤، فخلفه اخوه علي بن المعمون السعيد وبلغت في عهده حركة العصيان والتمرد الى حد لا يمكن تحملها فقتل جرائها سنة ٦٤٦ ه فبايع الموحدون عمر المرتضى ابن ولاة المغرب وقتل سنة ٦٦٥ ه على يد ادريس أبو دبوس الذي حل مكانه وله يده حكمه طويلا ... سوءان ما دخل في حرب ضد يعقوب المنصور الذي هنئه بسنه ٦٦٨ ه وهي سنة تعكس بنو مرين على الاستيلاء على مدينة مراكش وسقاط دوله الموحدين. وقسم المغرب العربي إلى ثلاثة دول الحفصيون بتونس، والزيانيون بالجزائر والمرينيون بالمغرب، وعرفت هذه الفترة بعصر الانحطاط ليس في المغرب العربي لوحده وبنى العالم الاسلامي ككل.

الأعمال الحضارية
لدولة الموحدين

يرجع الفضل للموحدين في توحيد المغرب العربي لأول مرة في تاريخ الشمال الافريقي وذلك بضم كل من المغرب والجزائر وتونس تحت سلطة مركزية واحدة تابعة لدولة الموحدين. هذا الى جانب تمكنهم من القضاء على الفتن والثورات التي كدرت بعيتها سكانها وحمايتهم من الاستعمار النورماندي الذي كاد ان يحتل ثغر صبيطلة. ودورهم الفعال في الدفاع عن الاندلس التي كانت وشيكة السقوط في ايدي النصارى في بداية العهد الاول للموحدين.

في الحالات التي فقد تبنوا المذهب الظاهري الذي ينتسب إليه الفقيه المشهور بن حزم الظاهري وهو من مواليد الاندلس، ومحت هذا المذهب التي العمل بظاهر نصوص الكتاب والسنة. كما ضربوا في عهدهم الصوفية ومن اشهر علمائها في تلك الفترة ابو مدين الغوث الذي توفي بمدينة تلمسان سنة 594 ه ودفن به والازال ضريحه الى يومنا هذا مزارا لسكانها وشخصيته موضع تقدير و اعجاب. وهو من مواليد اشبيلية بالاندلس سنة 511 ه، ثم سافر الى المغرب وتتلمذ على الشيخ ابي الحسن حزرهم وابن لحسن بن غالب. وكان يشتغل احيانا بصناعة السمع ليعيش او لفتات منها، وقد وصل الى جمع تعاليم كبار الصوفية بالمغرب والمشرق. واثناء اقامة في مدينة الجمع اتصل بالشيخ عبد القادر الجيلاني وتتلمذ عليه، ثم عاد الى مدينة بجاية حيث باشر فيها تعليمه ولما ذاعت شهرته وتكاثر اتباعه استدعاه الامير يعقوب المنصور الى المغرب وتوفي في طريقه بمدينة تلمسان اثر مرض اصابه هناك. ومن اشعاره :

بكت السحب فاضحكت ابكاها	زهر الرياض وفضت لانهار
وقد اقبلت شمس النهار بحسنة	حضر وفي سترها الاسرار
لا تحسبو ثوب الصوم عرانا	عن ذكرنا التسبيح و الاذكار
و شرابنا من لطفه و غماوا	سقه الحبيب لواحد القهار

اما في الهندسة المدنية فقد اعتمد حكامها على ارث الحلافة فطبعوا بطابع مراكش. وبنى الخليفة في عنفوان عصر الموحدين بناءه البديعة من طوبق

الأسرة الحاكمة أو مشايخ الموحدين بمحضر أهل الجماعة واعتمدوا في تسيير دولتهم على هيئة استشارية ووزراء وحجاب وقضاة وولاة ينوبون عنهم في أجزاء دولتهم، وكانوا يستغلون الموارد المالية للدولة من الضرائب والزكاة والأعشار إضافة إلى الغنائم الحربية، وتمكنوا بها من انشاء جيش بري وبحري قوي.

وعرف عهدهم تطورا حضاريا لابأس به ورخاء اقتصاديا كبيرا وأمن واستقرار وخاصة في أيام الأمراء الكبار، وكانت الجاليات الأجنبية من مسيحيين ويهود موضع احترام. كما سمحت هجرة بني هلال الى الغرب العربي على تعريب العديد من القبائل. إضافة إلى العائلات الأندلسية التي فرت من الأندلس إثر سقوط العديد من أقاليمها في يد النصارى وحملت معها الفنون والعلوم وساهمت بها في التقدم الحضاري لربوع شمال افريقيا.

كما اعتنى الموحدون بالصناعة والفلاحة والتجارة، ومن أهم صناعاتهم النسيج والجلود والورق والآلات الحربية واستغلال مناجم الذهب والفضة والحديد والنحاس والكبريت، وكان التبادل التجاري قائما بين المغرب والجزائر وتونس اضافة الى الأندلس والبلدان الأوروبية الواقعة على البحر الأبيض المتوسط وبلاد المشرق، كما اهتموا بإنشاء المدن والمساجد والموانئ والقناطر والحصون، وساد في عهدهم نشاط فكري كبير في مختلف التخصصات الأدب الفقه التاريخ الجغرافية الفلسفة ولو أنهم كانوا يفتقرون إلى علماء في ميدان الطب والهندسة إلا أن الأندلسيون ساعدوهم في ذلك، ومن بين أشهر علماء تلك الفترة في الفقه والحديث والتفسير نذكر: علي بن القاسم الصنهاجي، وابن عبد الجليل القصري الذي توفي سنة 606 هـ، وأبو الحسن علي بن محمد الكتاني المعروف بابن القطان، وأبو عبد الله المواق الفاسي، وأبو الحجاج يوسف بن عمران المزدغي المتوفي عام 655 هـ، وابن عبد الجليل القصري، وأبو العباس أحمد بن فرتوت السلمي، وأبو عبد الله محمد بن حسن الفاسي، وعلي بن محمد الشاري الغافقي. ومن الأدباء والشعراء عبد المؤمن بن علي مؤسس دولة الموحدين، ومالك ابن المرحل المتوفي سنة 699 هـ، وأبو موسى الجزولي توفي سنة 610 هـ، وأبو عبد الله محمد بن أحمد بن هشام اللخمي، وأبو زكريا يحي بن معطي، وأبو العباس الجراوي المتوفي سنة 609هـ، وميمون بن علي بن عبد الخالق المعروف بابن خبازة. ومن المؤرخين عبد الواحد المراكشي، وأبي بكر بن علي الصنهاجي الملقب بالبيذق، ويوسف بن عمر الاشبيلي، وأبي مروان عبد الملك بن أبي القاسم الكردبوسي، وفي ميدان الطب سعيد الغماري، ويحي بن محمد بن يقي السلوي، ويوسف بن

سمغون الفاسي وهو يهودي. وفي الرياضيات أبو علي المراكشي. وأبو محمد عبد الله بن محمد بن حجاج الفلبي، أما في الفلسفة فقد نبغ ابن رشد وابن طفيل وهم من أشهر علماء العصر الاسلامي من أبناء الأندلس.

الدولة الحفصية

627 هـ - 981 هـ

1229 م - 1273 م

تأسست الدولة الحفصية على يد الأمير أبو زكرياء يحي عندما كان واليا على اقليم تونس فلما رأى ما وصلت إليه الدولة الموحدية من ضعف وتفكك استقل بتونس سنة 627 ه ونصب نفسه أميرا عليها. وينتسب أبو زكرياء إلى الشيخ أبي يحي حفص بن عمر الهنتاني أحد القادة الكبار للدولة الموحدية والذي لعب دورا كبيرا في التمكين لدعوتهم، ومن بعده تقلد أبناؤه مناصب عليا في افريقيا والأندلس. ولما بسط نفوذه على إقليم تونس زحف أبو زكرياء سنة 628 ه على المغرب الأوسط واستولى على قسنطينة وبجاية ثم مدينة الجزائر سنة 632 ه ولما وصل الى تلمسان سنة 640 ه فر منها أميرها الزياني يغمراسن ثم توجه إلى المغرب الأقصى واقتحم سلجماسة وسبتة وطنجة وبايعه أمراء بني مرين بالخلافة لمدة من الزمن ثم نقضوها وبوفاته سنة 647 ه. خلفه ابنه المستنصر بالله أبو عبد الله محمد بن أبي زكرياء، وفي عهده شن الملك الفرنسي لويس التاسع حملة عسكرية بحرية على تونس قوامها أربعين ألف عسكري وتم ذلك بايعاز من أخيه دانجو حاكم جزيرة صقلية ومساندة البابا. ولما نزل بقرطاجنة سنة 668 ه تصدى له الجيش الحفصي ودامت المعركة بينهما حوالي ستة أشهر ولم تتوقف إلا بظهور وباء الطاعون بتونس والذي تمادى إلى جيش لويس فمات الكثير منهم ومن جملتهم لويس ملك فرنسا. وفي عهد المستنصر الثاني الذي تولى الملك سنة 683 ه انقسمت الدولة الحفصية إلى مملكتين الأولى شرقية بتونس ويحكمها المستنصر الثاني والثانية بالجزائر عاصمتها بجاية ويرأسها ابن عمه يحي بن ابراهيم، ودام هذا الانفصال لمدة معينة من الزمان الى حين وفاة المستنصر ثم توحدت من جديد. كما تعرضت دولة بني عبد الواد سنة 720 ه لسبب تحالفها مع الأمير

الحفصي ببجاية المتمرد على السلطة المركزية بتونس الى غضب الامير الحفصي ابو بكر الثاني. فتحالف هذا الاخير مع المرينيين بالمغرب الاقصى. فهاجموا مملكة عبد الواد واقتسموا ملك تلمسان فيما بينهم. فسقط الحفصيون بقوزاهه على شرق المغرب الاوسط وسقوط المرينيون على غربه بما فيه عاصمتها تلمسان وغلب الامور تسير على هذه الحال بين هذه الدول المغاربية تارة تكون الغلبة لحفصي وتارة لزيانيين وتارة للمرينيين وكل واحدة منهم تحاول ان تضعف الاخرى بحيث حتمها الى ان ضعف سلطانهم وهيباتهم امام [illegible] بسبب الاخير عن عهده نشبي الفساد والفتن [illegible] التركي خير الدين الذي كان قد توجه [illegible] مؤسس سيزلة ومكث به بعض الوقت قد رحل عنه. فقرر [illegible] ابي عبد الله الحفصي وتوجه الى [illegible] مساعدة ودخل الجيش الاسباني [illegible] الحماية الإسبانية [illegible] انهزمت الدولة الحفصية [illegible] بقوا ثلاثمائة وثمانية [illegible] وتطورا فكريا وحضاريا [illegible] ذلك العصر هو السوسي والاقتصادي المشهور عبد الرحمن بن محمد بن خلدون مؤسس علم الاجتماع. اشتهر بمؤلفه المقدمة [illegible] الزيتونة ثم المغرب الاقصى وقضى بعض حياته في التنقل بين تونس والجزائر والمغرب وتقلد عدة مناصب سياسية هنا في الدولة الحفصية والزيانية والمرينية والاندلس كما تنقل بينه الى مصر وتوفي سنة [illegible] في قصبة من بلاغة تونس [illegible] ومائتين ثم عين قاضي القضاة وتوفي في نفس السنة [illegible] حياته العلمية مزدانة بين الشرق والغرب وتوفي [illegible] والاسلامية [illegible]

دولة بني عبد الواد الزيانية
1236 م – 1554 م

ضربت دولة [illegible] مثل دولة الحفصيين والمرينيين عن [illegible]
دولة الموحدين [illegible] ينتمون بتونس والمرينيون بالمغرب وبنو عبد الوا[illegible]
بتلمسان ويرجع [illegible] سبب هذه الدولة للدور الذي لعبته قبيلة بني عبد
الواد الزيانية وعلى ر[illegible] يوسف في مساندة الموحدين ضد الم[illegible]
ووقوفه مع والي [illegible] في تلمسان أثناء ثورة الأهالي ضده. فمن ذلك يزع
أن الخليفة الموحدي المنصور ولاية تلمسان الى رئيس قبيلة بني عبد الواد جابر
بن يوسف عترافا له بالجميل وكان ذلك بداية لقيام دولة بني عبد الواد، لكن هذا
الأخير قتل أثناء حملة قام بها في نواحي تدرومة. فخلفه ابنه المحسن سنة
620 ه ولكن بعد سنتين من ولايته ثار عليه أهالي تلمسان وخلعوه من منصبه
وعين مكانه ابن عمه يغمراسن بن زيان بن ثابت سنة 633 ه الذي قتل أثناء صراع
[illegible] بين قبائل بني عبد الواد، فخلفه أخوه يغمراسن بن زيان سنة 633 ه والذي
يعتبر المؤسس الحقيقي لدولة بني عبد الواد الزيانية. فقام بتخليد شؤون دولته
واعتمد على قبيلة بني عبد الواد فاعتنى بتكوين الجيش ووفر لديه الأسلحة
والذخيرة وعين الوزراء والحجاب. واعلن استقلاله على دولة الموحدين. ولم يبق
له إلا الدعوة بمنبر المسجد يوم الجمعة والأعياد ووثق لصلة بعهده أنه سير
جيشه للاستيلاء على ناحية الشلف فاستنجد أمير مغراوة بني زكرياء الحفصي
فاحتل هذا الأخير مدينة تلمسان سنة 1235 م. فقر منه يغمراسن الى جبل ونيد
حتى تمكن أن استدعاه أبي زكريا وعقد معه صلح على شرط ان يفك الحصار
[illegible] الموحدين و عاد [illegible] الراضي افريقيا مقابل دفع ضريبة سنوية
[illegible] تحسرت أبي زكريا وقد سمع السعيد بن الموحدين بموضوع الاتفاق الذي
[illegible] يغمراسن وأبي زكريا سير جيشه بقيادة [illegible] والتقى الجيشان سنة 646 ه
بواد [illegible] فانتصر يغمراسن وقتل أمير الموحدين السعيد في المعركة وخلص
[illegible] [illegible] صد المرينيين وبنو توجين سمحت له بتوسيع دائرة نفوذه
[illegible] دولة بني الأحمر الخيرية وبعد حكم دام 48 سنة توفي يغمراسن وكان
عمره 70 سنة فخلفه ابنه أبو السعيد عثمان سنة 681 ه فوسع ملكه بالاستيلاء
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

بمحاصرة تلمسان مدة ثماني سنين و عندما لم يتمكن من دخولها شيد بالقرب منها مدينة المنصورة التي لازالت أطلالها الى يومنا شامخة. ولحق بسكان تلمسان خلال هذه الفترة بلاء عظيم فنقصت الأموال وقلت الأغذية وعمت المجاعة، إلا أنها لم تستسلم، وتوفي ملكها أبو السعيد والحصار لازال قائما على دولته. فخلفه على العرش ابنه أبو زيان محمد سنة 703 ه فواصل المقاومة ضد العدو المحاصر حتى جاءه سنة 706ه م نبأ مقتل السلطان المريني يوسف بن يعقوب فعاد الجيش المريني إلى المغرب ورفع الحصار على تلمسان، فأصلح ما أفسدته الحرب وأعاد أبو زيان منطقة الونشريس والشلف وغيرها من مدن المغرب الأوسط إلى حظيرة ملكه ثم توفي سنة 707 اثر مرض. فخلفه أخوه أبو حمو موسى الأول بن عثمان وكان شخصا صارما شجاعا داهية شرس الأخلاق محبا للعلم، فأمن دولته من الخطر المريني بتحقيق السلم معها، ونهض أبو حمو باقتصاد تلمسان فتحسنت أوضاع سكانها وعم الرخاء أرجاءها فاستعادت الدولة العبداوية قوتها. ثم سير جيشه نحو بجاية التي كانت في يد الحفصيين فحاول الاستيلاء عليها سنة 715 ه و716 ه لم يستطيع، وأثناء وجود أبوحمو بالشلف وصله نبأ تحرك الجيش المريني بقيادة الملك أبا السعيد بحجة أنه يستضيف أعضاء من أسرته مناهضين لملكه فعاد أبو حمو إلى تلمسان وتحصن في مدينته وأطلق إشاعة بأن أعضاء من أسرته بفاس يدبرون له مؤامرة لازاحته من الملك، فرفع أبا السعيد الحصار وعاد إلى المغرب، وأثناء وجوده بتلمسان ثار عليه راشد بن محمد المغراوي بشلف فاستخلف أبوحمو على تلمسان ابنه أبا تاشفين وزحف رفقة ابن عمه مسعود بن برهوم على شلف ففر منها راشد بن محمد إلى بلاد القبائل فاستولى في طريقه على الونشريس ومتيجة ومدينة الجزائر، وحاول من جديد التوسع على دولة الحفصيين في كل من بجاية وقسنطينة وعنابة لكنه لم يفلح، وقتل أبو حمو في قصره رفقة مسعود بن برهوم ووزيره سنة 718 ه اثر مؤامرة دبرت من ابنه والمقربين منه وهذا لسبب صرامة أبوحمو اتجاه ابنه، إلا أن أبو تاشفين لم يتفق مع أنصاره على قتل أبيه وإنما فقط عزله عن العرش وسجنه. فخلفه ابنه أبو تاشفين عبد الرحمن الأول وكان شخصا مولعا بالعمران فعرفت في عهده تلمسان ازدهارا كبيرا في الفنون والصناعات وأول شيئ قام به القضاء على ثورة محمد بن يوسف فحصاره هو وجنوده بجبل الونشريس وقتله وعفا عن الباقين من أتباعه ثم واصل سيره نحو بجاية الخاضعة لدولة الحفصيين فاستولى عليها سنة 730 ه وضمها إلى ملكه وزحف من بعد إلى تونس فهزم جيش الملك الحفصي أبو يحي ودخلها عنوة فمكث فيها أربعين يوما ثم سلمها إلى ابن أبي عمران الحفصي وعاد إلى تلمسان،

فاستنجد الملك الحفصي المخلوع بالملك المريني ابي لسعيد فوافق على تلبية الطلب، فأرسل هذا الأخير رسلا الى ابي تاشفين يطلب منه الاقلاع عن بجاية فرفض وكان ذلك سببا في تحرك الملك المريني نحو تلمسان. وفي تلك المدة الزمنية ثار عليه أخوه حاكم سلجماسة ابي الحسن فقتل الملك أبي السعيد واصبح ملك الدولة المرينية ثم سير جيشه نحو تلمسان فحاصرها سنة 735 ه وشيد بالقرب منها مدينة المنصورة الجديدة على أنقاض القديمة وبعد حصار دام سنتين تمكن من الاستيلاء على تلمسان سنة 737 ه عنوة وقتل الملك أبي تاشفين اثناء المعركة وضم المغرب الأوسط الى ملكه، وأحسن أبي الحسن المريني معاملة بني عبد الواد فضمهم الى جيشه وأبقى لهم امتيازاتهم، وتلبية لنداء ابن الأحمر بالأندلس ضد النصارى تمكنت القوات البحرية المرينية من التقدم على الأسطول الإسباني سنة 740 ه لكنها هزمت سنة من بعد في معركة وقيعة طريف شر الهزيمة فعاد ما تبقى من الجيش المريني إلى المغرب وهناك اعتنى بالعمران. وبعد وفاة أبي يحي الحفصي حاكم تونس سنة 747 ه اشتد الصراع على الحكم الحفصي بين ولي العهد ابو العباس ومنافسه أبي حفص عمر، فخرج أبي الحسن مع جيشه سنة 748 ه من تلمسان نحو تونس وفي طريقه استولى على بجاية وقسنطينة ثم تونس وأقام بها حوالي سنتين ودفاعا عن امتيازاتهم تمردت عليه قبائل العرب وهزموا جيشه بالقرب من القيروان ثم حاصروا المدينة سنة 749 ه، ولكن أبو الحسن استطاع أن يفلت من قبضاتهم وبينما كان بنو عبد الواد ومغراوة محاصرين لمدينة تونس سمعوا بهزيمة ابي الحسن فبايع بني عبد الواد ابا السعيد ملك على تلمسان وعادوا هم و مغراوة إلى المغرب الأوسط لإحياء الدولة لعبد الوادية من جديد. ولما اقترب جيشهم من مدينة تلمسان خرج إليه حاكمها ابن جرار فهزمه ابا السعيد ودخل تلمسان وتولى السلطة رفقة أخيه سنة 749 ه فاعتنى أبو السعيد بالشؤون السياسية وابو ثابت بالشؤون الحربية ثم وصلهم نبأ دخول الملك المريني المخلوع أبي الحسن من تونس إلى الجزائر بحرا فسير إليه القائد أبو ثابت جيشا ضخما متكونا من بني عبد الواد ومغراوة والتقى الجيشان في تيعزيزن في ناحية الشلف سنة 751 ه فهزم أبي الحسن وفر ليلا اتجاه الصحراء ثم توجه نحو المغرب الأقصى وهناك دخل في صراع على العرش المريني مع ابنه أبي عنان الذي استخلفه عندما كان في تونس، وغيره من بني عبد الواد. لانتصارهم قتل جنود مغراوة بعض الأفراد من جيش بني عبد الواد فقضى أبو ثابت عليهم واستولى على قبيلة مغراوة ثم واصل زحفه إلى ملينة والمدية والجزائر وضمهم إلى ملكه ثم عاد إلى تلمسان. ولما سمع الملك المريني أبي عنان بمقتل بن الراشد حاكم مغراوة غضب

لرد شفاعته وعزم على الثار لحاكم مقرة فبادر في الهجوم على تلمسان فخرج اليه أبي السعيد وإلتقى الجيشان سواد القسب فقتل أبي السعيد واستولى أبي عنان على تلمسان سنة 753 ه فاستنجد أخوه أبو ثابت بانصاره في الجزائر، وبواد الشلف دارت معركة بينهم فهزم أبي ثابت وفر رفقة وزيره يحي بن داود وأبو حمو إلى بجاية فاعتقلهم حاكمها وسلمهم إلى الملك المريني فقتل أبو ثابت ووزيره ونجى أبوحمو موسى الثاني. فتوجه هذا الأخير إلى تونس فأكرمه ملكها الحفصي اسحاق بن أبي يحي بن أبي زكريا وبمساندة قبيلة بني عامر وجماعة من زناتة تمكن أبوحمو موسى الثاني من استرجاع مدينة تلمسان سنة 760 ه عنوة فباع سكانها أبوحمو وأطلق عليها اسم الدولة الزيانية، فاعتنى بالعلم و العلماء و كان شاعرا فعرفت تلمسان في عهده الرخاء، ثم أرجع مدن المغرب الأوسط الى حضيرة ملكه. ووقعت اضطرابات داخلية أثناء حكمه أدت إلى اشعال نار الثورة بين أبي حمو وأخيه الأمير أبو زيان فاستغل الملك المريني أبوفارس عبد العزيز هذه الفرصة واستولى على تلمسان فخرج أبوحمو منها لاسترجاع قواته و لم يعد اليها إلا بوفاة أبي فارس ثم دخل أبي حمو في نزاع مع ابنه أبي تاشفين انتهى بمقتل أبوحمو و عاد النزاع من جديد حول العرش بين أبي تاشفين وأخيه أبو زيان حاكم مدينة الجزائر كانت نتيجته مقتل أبي تاشفين، فاستغل المنتصر المريني هذا الوضع واحتل تلمسان والمناطق الشرقية لها، ومن يومها أصبح المرينيون يتدخلون في الشؤون السياسية للدولة الزيانية يولون عليها من يرغبون ويخلعون من لا يتماشى ومصلحتهم حتى ضعفت الدولة المرينية. ولما تولى الحكم الأمير الزياني أبومالك عبد الواحد سنة 814 ه قام باصلاح شؤون دولته ومحا المخلفات المرينية، لكن الملك الحفصي أبي فارس عزوز لم يتح له الفرصة فسير له سنة 827 ه جيشا كبيرا لم يستطيع أبومالك مقاومته فاستولى على تلمسان ونصب عليها محمد بن أبي تاشفين المدعو بابن الحمراء الموالي له، ولما استبد محمد بن تاشفين بالحكم وقطع الدعوة في خطب المساجد للملك أبي فارس تدخل الحفصيون من جديد سنة 831 ه لارجاع أبي مالك عبد الواحد، وفي سنة 834 ه تحرك الملك الحفصي أبو فارس نحو تلمسان فقضى على ملكها ابو عبد الله بن الحمراء، ونصب على عرشها أبو العباس أحمد العاقل، ومن يومها أصبح الملوك الحفصيون يتدخلون في الشؤون الداخلية للدولة الزيانية إلى ان ضعف سلطانها وسلطة الدولة الحفصية والمرينية بالمغرب العربي فعمت الفوضى والاضطرابات في الدولة الزيانية وتطاحن أمراؤها على السلطة ففقدت هيبتها على سكان المغرب الأوسط وانفصل عليها سكان مليانة والمدية والجزائر، فاستغل الإسبان هذه الفرصة

بعد قضائهم سنة 1492 م على آخر معقل للمسلمين بغرناطة، فوجهوا أطماعهم التوسعية الصليبية تنفيذا لوصية الملكة ايزابيلا ومباركة البابا نحو الشمال الافريقي فرسل ملك اسبانيا فرديناند Ferdinand حملة عسكرية بحرية ضخمة بقيادة دون دييغو Don Diego وهدم المرسى الكبير بالمدفعية وحتله وتحصن به سنة 1505 م بعد معركة دموية استغرقت شهرين، كانت الغلبة فيها للاسبان لكثرة عددهم وعدتهم، ثم استولى من بعده المتعصب الكاردينال كسيمانس Ximenes على مدينة وهران سنة 1509 م بمساعدة اليهود الذين غدروا بسكانها ففتحوا له باب المدينة حيث قتل من سكانها حوالي 4000 شخص و حول مسجدين بها الى كنيستين. وبعد عام من بعدها احتل الاسبان بجاية سنة 5.0 م ومستغانم سنة 1511 م، أما الجزائر العاصمة فقد فشلوا سنة 1516 م من احتلالها ولكن تمكنوا من الاستيلاء على الجزر الواقعة في مدخل الميناء مما اضطر سالم التومي حاكم الجزائر إلى مهادنة الاسبان ودفع جزية لهم. أما الموانئ الجزائرية الاخرى مثل تنس وشرشال ودلس فلم يتعرض لها الاسبان لأن أعيانها عرضوا عليهم دفع ضريبة اتقاء شرهم. وفي هذا الجو المشؤوم كان الأمراء الزيانيون يتقاتلون على عرش تلمسان فسجن الامير أبوحمو الثالث ابن اخيه أبا زيان وتحالف مع اسبانيا فأغضب هذا التصرف أعيان تلمسان واستنجدوا بعروج القائد التركي الذي كان متواجداً في الجزائر فسير إليه سنة 1517 م جيشا عن طريق البر واستولى على تلمسان. ففر أبوحمو الثالث متوجها إلى فاس ومنها إلى الحامية الاسبانية بوهران وأخرج سكان تلمسان أبا زيان من السجن ونصبوه ميرا عليهم فأساء الأتراك معاملة أهل تلمسان ولما حاول الأمير أبو زيان الدفاع عنهم قتله عروج وغصب نفسه سلطانا عليهم وأبرم اتفاقا مع ملك فاس ضد الاسبان، ثم هاجم الجيش الاسباني رفقة أبي حمو سنة 1518 م على مدينة تلمسان وبعد حصار دام ستة أشهر استولوا عليها وفر منها ليلا عروج رفقة جنوده الأتراك والتحقت به فرقة من الاسبان بالقرب من تلمسان، فتحصن بحصن وقتل هو وجنوده حتى استشهدوا جميعا، ثم أرسل الاسبان رأس عروج إلى اسبانيا ونصبوا أبا حمو أميرا عليها وعادوا إلى وهران. ومما زاد الطين بلة تدخل الدولة المغربية في الشؤون الداخلية للدولة الزيانية فاستولت جيوش الملك المغربي الشريف محمد المهدي السعدي على تلمسان سنة 1550 م وواصلت زحفها إلى منطقة الغرب الجزائري، فسير له الباي لارباي حسن باشا ابن القائد خير الدين بربروس جيشا بقيادة حسان قورصو والتقى الجيشان في الشلف فألحقت به القوات التركية شر هزيمة وعاد إلى المغرب ثم واصل الأتراك زحفهم على تلمسان وعزلوا أميرها أبا زيان أحمد العوالي

للاسبان و نصب حسن باشا خلفا له الحسن بن عبد الله اخر أمراء الدولة الزيانية. ولكن بسبب ميوله كفيره ممن سبقوه من امراء الدولة الزيانية للإسبان عزل من منصبه سنة 1554 م وهكذا انقرضت الدولة الزيانية بعد ثلاثة قرون من وجودها. و من بين الحكام الذين تعاقبوا على دولة بني عبد الواد الزيانية نذكر الملوك التالية أسماؤهم :

1 - يغمراسن بن زيان 633 ه - 681 ه

2 - أبو سعيد عثمان الأول : 681 ه - 703 ه

3 - أبو زيان محمد الأول 703 ه - 707 ه

4 - أبو حمو موسى الأول : 707 ه - 718 ه

5 - أبو تاشفين عبد الرحمن الأول . 718 ه - 737 ه

6 - أبو سعيد عثمان الثاني و أخوه أبو ثابت : 749 ه - 753 ه

7 - أبو حمو موسى الثاني : 760 ه - 791 ه

8 - أبو تاشفين الثاني 791 ه - 795 ه

9 - أبو ثابت يوسف 795 ه - 795 ه

10 - أبو الحجاج يوسف 795 ه - 796 ه

11 - أبو زيان محمد الثاني : 796 ه - 801 ه

12 - أبو محمد عبد الله الأول : 801 ه - 804 ه

13 - أبو عبد الله محمد بن الخولة : 804 ه - 813 ه

14 - عبد الرحمن بن محمد : 813 ه - 814 ه

15 - سعيد بن أبي حمو : 814 ه - 814 ه

16 - أبو مالك عبد الواحد : 814 ه - 827 ه

17 - أبو عبد الله محمد بن الحمراء : 827 ه - 831 ه

18 - أبو مالك عبد الواحد : 831 ه - 833 ه

19 - أبو عبد الله محمد بن الحمراء 833 ه - 834 ه

20 - أبو العباس أحمد العاقل . 834 ه - 866 ه

21 - أبو ثابت محمد المتوكل : 866 ه - 873 ه

مظاهر الحضارة في دولة بني عبد الواد الزيانية

الحياة السياسية و الاقتصادية و الاجتماعية

أبقى الملك يغمراسن مؤسس دولة عبد الواد الزيانية على النظام السياسي الذي كان سائدا في عهد الموحدين. فأول ما قام به تنظيم شؤون دولته ففية سياسيا وعسكريا فلقب نفسه بأمير المسلمين و عين الوزراء والحجاب والكتاب وأصحاب الأشغال و القضاة و قواد الجيش و أئمة لمساجد ووضع السكة ونصب الولاة على مختلف مناطق المملكة في المغرب الأوسط. وبقي الحكم من بعده وراثيا إلى أن زالت الدولة الزيانية. و كان لا يشتغل بمنصب الكتابة في ديوان الملك والقضاء إلا الرجال الأكفاء أصحاب العلم الغزير في الأدب والفقه ومن جملة هؤلاء العلماء نذكر الكاتب أبو بكر بن الخطاب المرسي اشتغل في بلاط يغمراسن ويحي بن خلدون شقيق عبد الرحمن بن خلدون الذي اشتغل بالكتابة في ديوان الملك أبو حمو موسى الثاني. ومن القضاة نذكر أبو عبد الله بن هدية القرشي التلمساني وسعيد لعقباني. أما حكم الولايات فكانت تمنح لأفراد الأسرة الملكية وفي بعض الأحيان لقواد الجيش يكلفون بالأمن الداخلي وحماية الحدود وتحصيل الجباية يساعدهم في مهمتهم موظفون أكفاء.

أما الحياة الاقتصادية فعمها الرخاء في معظم فترات الدولة الزيانية فلقد اعتنى ملوكها بالصناعات المختلفة من نسيج و ورق ومعادن ونحاس والأعمال الحرفية مثل الفخار ونحت الرخام ونقش الخشب والمجوهرات. كما اهتموا بالفلاحة وتربية الموشي وأدى هذا العمل إلى ازدهار الحياة التجارية في مملكتهم، فكانوا يتاجرون عن طريق البر والبحر مع الدول الافريقية السوداء مثل السودان والأندلس وأوروبا والمشرق العربي يصدرون ويستوردون. وكانت البضاعة تدخل إلى تلمسان بحرا عن طريق ميناء هنين الموجود بالقرب من بني صاف.

ومن القبائل المكونة للمجتمع الزياني نذكر قبيلة بني عبد الواد وبني راشد ومغراوة وتوتجين وبنويفرن، إضافة إلى بعض الأقليات اليهودية الموجودة منذ القدم كانوا يشتغلون بالفلاحة والصناعة والتجارة ومعظمهم متدينون بالمذهب السني المالكي والصوفي. يتمتعون بثقافة وأخلاق حسنة، وكانوا يهتمون كثيرا

بالاعياد الدينية و خاصة بالمولد النبوي الذي تقام من أجله حفلات كبيرة يشارك فيها الامراء و عامة الشعب.

الحياة الفكرية و الدينية و الفنية

أكثر ما اشتهرت به دولة عبد الواد الزيانيه هو اعتناء ملوكها بالعلم والعلماء. فلقد كان التعليم منتشرا في المدن و القرى معتمدا على طرق بيداغوجية جد متقدمة. تقام الدروس في المسجد الأعظم بتلمسان والمدارس المتخصصة. ولانعاش الحركة العلمية شيد أبوحمو موسى الأول أول مدرسة بالمغرب الأوسط بتلمسان، ومن بعده أسس ابو تاشفين المدرسة التاشفينية بالقرب من المسجد الأعظم وزودوها بالكتب ولم يكتفي طلابها بالمعارف العلمية المحلية بل جابوا أقطار الدول الإسلامية في المشرق والأندلس وتتلمذوا على أشهر علماء ذلك العصر، ومما زاد تلمسان إشعاعا علميا احتكاك الحضارة الأندلسية بالحضارة الزيانية فانتشرت الحركة الثقافية من تأليف في شتى العلوم وازدهرت حلقات العلم والجدل والمناظرات وقول الشعر وراد علما بعجين أبوحمو موسى الثاني فكان شاعرا وكاتبا وألف كتابا في السياسية بعنوان "واسطة السلوك في سياسة الملوك". وانجبت تلمسان العديد من العلماء في العلوم الدينية واللسانية والاجتماعية والطبيعية بفضل رعاية ملوكها للعلماء والعلم وانتوفير لهم اياهم المناخ المناسب للبحث والابداع، وادماجهم في مجالسهم العلمية، يدفعون الرواتب للأساتذة ويقدمون المنح للطلبة ومعظم هؤلاء العلماء باشروا التدريس والتأليف وتحملوا مسؤوليات هامة في الادارة والقضاء والافتاء، ومن اشتهر في العلوم الدينية في ذلك العصر نذكر أبو عبد الله التجيبي المولود عام 540 ه، وأبو عبد الله محمد بن عبد الحق المولود عام 576 ه، وأبو عبد الله بن مرزوق لمولود عام 629 ه، و بو اسحاق التلمساني المولود عام 609 ه، وأبو زكريا يحي بن عصفور التلمساني، وأبو زيد بن الامام، وأبو موسى عمران، وأبو عبد الله التميمي، وأبو عبد الله العقري، وابو عبد الله الشريف الحسني المولود عام 710 ه، وأبو عثمان سعيد محمد العقباني المولود عام 720 ه، وأبو علي منصور الرواوي المولود عام 710 ه، ومحمد أبو الفضل المشدالي، وأحمد الونشريسي، ومحمد بن يوسف السنوسي وكثيرون لا نستطيع ذكرهم جميعا. كما ظهر الى جانبهم علماء في الصوفية وقد تركوا مؤلفات كثيرة في العمران الفقهي. أما في الادب و اللغة والشعر فنذكر ابو عبد الله بن خميس التلمساني، وأبو عبد الله بن هدية القرشي التلمساني، وابو بكر بن حطاب المرسي، وابو عبد الله بن البناء التلمساني، وأبو

عبد الله الثغري، ومحمد بن أبي جمعة التلاتسي، ومحمد بن يوسف الفيسي وفي مادة التاريخ نذكر محمد بن عبد الله التنسي وفي العلوم الطبيعية من فلسفة وجبر وفلك وطب نذكر أبو عبد الله بن النحار، وأبو عبد الله الأبلي، وسعيد العقباني، ومحمد الحباك.

واعتنق المجتمع التلمساني المذهب المالكي، لكن الأفكار الصوفية كانت جد منتشرة بين أوساط الشعب خاصة بعد وفاة الولي الصوفي الصالح ابي مدين شعيب بن الحسين المتوفى عام 594 هـ بتلمسان، فكان ضريحه موضع تبجيل كبير لأهل تلمسان، ويدعو هذا لمذهب إلى الزهد في الدنيا والتوكل وظهر فقهاء في هذا الميدان.

كما اهتم الأمراء الزيانيون بتطوير عمران المدينة والتوسع فيه. فشيدوا المساجد والمدارس والمنازل والقصور والأبراج والحصون والأسوار العالية وزينوها بالبساتين والمنتزهات وتأثروا في ذلك بالفن المعماري الأندلسي خاصة بعد هجرة الأندلسيين من اسبانيا جراء تفاقم الخطر المسيحي واستقرارهم بتلمسان، كما اعتنى ملوكها ببناء المرافق الاجتماعية كالمستشفيات والحمامات والفنادق والطرق والمياه فكان يوجد بتلمسان حوالي ست مدارس وستون مسجدا والعديد من الزوايا. فشيد يغمراسن مئذنة الجامع الأعظم الذي بناه المرابطون ومئذنة جامع اجادير والمسجد، والمدرسة التابعة لضريح شعيب ابي مدين من شعيب، ولازالت إلى يومنا هذه المباني تشهد على عظمة هذه الدولة. كما بنى أبو السعيد عثمان بن يغمراسن مسجد أبي الحسن بن يخلف التنسي. وكان أكثرهم ولعا بالعمران الأمير أبو تاشفين فوسع في تعمير تلمسان وأسس بها المدرسة التاشفينية وشيد القصور وأحاطها بالبساتين واعتنى بزخرفتها وبنى أكبر ضريح بتلمسان وجلب إليها الأندلسيون الموسيقى الأندلسية، كما شيد بها المرينيون مدينة المنصورة التي لازالت آثارها إلى يومنا، ومسجد سيدي الحلوي. ويقول ابن خلدون في ذكر الأمراء الزيانيين ووصف تلمسان مايلي "فاختطوا بها القصور المونقة والمنازل الحافلة، واغترسوا الرياض والبساتين، وأجروا خلالها المياه، فأصبحت أعظم أمصار المغرب، ورحل اليها الناس من القاصية، ونفقت بها أسواق العلوم والصنائع فنشأ بها العلماء، واشتهر بها الاعلام، وضاهت أمصار الدول الاسلامية والقواعد الخلافية". ومن العجيب والغريب كيف توصلت الدولة الزيانية الى هذا الرخاء الاقتصادي والعلمي في جو سياسي ساده الاضطراب والحروب مع جيرانها منذ تأسيسها.

العهد العثماني
1515 م - 1830 م

مأثرة الأخوين عروج و خير الدين بربا روس

لم يكن ليوجد الأتراك في الجزائر لولا غزو الاسبان لها وله يتوصل الاسبان إلى احتلال بعض أجزائها الا باستغلال الضعف والانحطاط الذي عرفته الجزائر في أواخر عهد الدولة الزيانية، فدخل امراؤها في صراع على العرش ولم تعد تملك هذه الدولة من النفوذ إلا تلمسان وبعض أجزاء المناطق الغربية، فعجزت عن مقاومة الغزاة وأجبرت على عقد الصلح مع الاسبان سنة 1512 م اعترفت فيه باستيلاء الإسبان على عدة موانئ في غرب الجزائر، واستقلت كل مقاطعة من تراب المغرب الأوسط بالسلطة، فبلاد القبائل الكبرى كانت تحت حكم زاوية بلقاضي ومدينة الجزائر تحت سلطة الثعالبية والقبائل الصغرى تحت نفوذ بني عباس وبجاية تابعة للحاكم الحفصي، اما الصحراء ومناطق الأوراس فكانت تكون جمهوريات مستقلة ونفس الحال ينطبق على مناطق تنس والشلف ومليانة وغيرها من المدن الجزائرية، مما شجع وسهل للإسبان احتلال المرسى الكبير في شهر أكتوبر 1505 م، ومدينة وهران في شهر ماي 1509 م وبجاية يوم 6 جانفي 1510 م ومستغانم عام 1511 م، والجزر الواقعة في الجزائر العاصمة، فتحصنوا بموانئها ولم يستطيعوا التوغل داخل مدنها وعاشوا يحاصرون فيها السكان الجزائريين حصارا دائما. وأمام هذا الوضع العزري لم يجد سكان الجزائر وسيلة الا الاستنجاد بالاخوة الأتراك المسلمين عروج وخير الدين واسحاق ومحمد الياس نظرا للروابط الدينية المشتركة، وكان الأخوان عروج وخير الدين بحارين ماهرين يحبان المغامرة اشتغلا بالقرصنة ضد المسيحيين واكتسبا خبرة كبيرة في هذا الميدان وخاصة عروج الذي سبق له أن تجند في صفوف البحرية التركية كعسكري وقام بالكثير من أعمال القرصنة في البحر ولظروف معينة انتقل الاخوة عروج وخير الدين واسحاق عام 1504 م الى تونس واتخذوا من حلق الوادي ميناء لسفنهم، ففي عام 1510 م كان بحوزتهم ثمانية بواخر ولم يسمح لهم السلطان الحفصي بانشاء قاعدة بحرية بتونس الا بشرط اخذ نصيب من غنائم القرصنة، ولما استقر عروج بتونس تعرف على العاصمة التي لحقت بالأندلسيين الفارين من اضطهاد المسيحيين مما دفعه لانقاذ من بقي من المسلمين بالأندلس، وفعلا استطاع عروج و خير

الدين حسب المؤرخ الفرنسي دي غرامون De Grammon في كتابه "تاريخ مدينة الجزائر" انقاذ اكثر من عشرة الاف أندلسي. فاكتسبوا خبرة وشجرة وسمعة كبيرة من هذا العمل النبيل و لهذا استنجد بهم الحاكم الحفصي لبجاية لطرد الجيش الاسباني المحتل وفعلا التحق عروج واخوه خير الدين ببجاية عام 1512 م وكان بحوزتهم 12 باخرة مزودة بالمدفعية وحوالي ألف جندي تركي ودبروا خطة لطردهم لكن عروج له ينجح بعد حصار بحري وبري دام اسبوعا شاركت فيه القوات الجزائرية والتركية وفقد عروج ذراعه الايسر اثر المعركة التي دارت بينهم، لكن عروج لم يفشل ولم يستسلم فكرر هاجمه على الإسبان سنة 1514 و1515 م برا وبحرا مستعينا بالسكان البجاويين وجنوده الاتراك وحاصرها مدة من الزمن لكن لم يستطع فتحها. وفي عام 1513م توجه الى جيجل واستطاع بمساعدة سكانها تحريرها من جنود حنوة الايطاليين وبويع أميرا عليها فاتخذها قاعدة لعملياته الحربية. ولما احتل الاسباني بيدرو نافرو Pedro Navarro برج المنار الواقع في مدخل ميناء مدينة الجزائر استنجد به سكان العاصمة عام 1516 م وعلى رأسهم حاكمها سالم التومي الثعالبي. وكان عروج في ذلك الوقت متواجد بجيجل فتوجه إلى الجزائر العاصمة رفقة جنوده الأتراك برا وطلب من أخيه خير الدين الذي كان متواجد في أسطوله البحري رفقة جنوده الالتحاق به في الجزائر العاصمة لكن عروج لم يتمكن من طرد الاسبان. ولسبب سوء معاملة الجنود الاتراك للجزائريين دبر سالم التومي رفقة بعض الأعيان مؤامرة ضد الاتراك فتعطن لها عروج وقضى عليها في المهد فقتل التومي بيده داخل حمام منزله واعلن نفسه سلطانا على مدينة الجزائر ثم استولى الأخوان عروج وخير الدين على مدن المدية وملیانة وتنس ودلس. وفي 30 سبتمبر 1516 م أرسل الكاردينال الاسباني كسيمانس Ximenes المشهور بتعصبه الديني قوة بحرية تحمل ثلاثة الاف عسكري بقيادة الأميرال دييغو Diégo de Vera ونزلوا بناحية باب الواد وبعد يومين حدثت زوبعة بحرية فطلب قائدها العودة وفي ذلك الحين خرج عروج رفقة جنوده مهاجما والحقوا بالجيش الاسباني شر هزيمة، من بعدها توجه عروج سنة 1517م برا الى تلمسان مليانا نداء سكانها ولما سمع أبو حمو بمجيئه فر منها طالبا النجدة من الحامية الاسبانية بوهران فاحتل عروج في طريقة قلعة بني راشد وترك بها فرقة عسكرية بقيادة أخيه اسحاق ثم واصل سيره نحو تلمسان فدخلها بدون مقاومة ونصب ابن أخ حمو أميرا على تلمسان. وبعد فترة قصيرة قتل أميرها أبا زيان ونصب نفسه سلطانا على تلمسان لكن القوات الاسبانية رفقة أبي حمو الثالث لم تعط له الفرصة فسيرت له في شهر جانفي 1518 م جيشا قواته

عشرة الاف جندي بقيادة دون مارتن دي أرقوت Don Martin de Argote. فاستولت على قلعة بني راشد وقتلوا الحامية التركية بما فيها اسحاق الأخ الأصغر لعروج. وفي شهر ماي توجهت إلى تلمسان وبعد حصار دام ستة أشهر سقطت تلمسان في يد الاسبان فلم يتمكن منهم عروج لقلة العدد والعدة وفر رفقة جنوده الأتراك حاملا معه كنوز تلمسان فلحق به الاسبان خارج تلمسان بالوار المالح بنواحي عين تموشنت فدارت معركة بينهم استشهد خلالها عروج وجنوده عام 1518 م على سن يناهز 43 سنة.

وفي ذلك الوقت كان أخوه خير الدين متواجداً بمدينة الجزائر فأدرك أنه لا يستطيع لوحده الاحتفاظ بالجزائر ولذا ربط مصيره بمصير الامبراطورية العثمانية بعد ان أقنع أعيان مدينة الجزائر بخطورة الوضع الجزائري. فقدم الولاء للسلطان العثماني سليم الأول فأرسل له هذا الأخير 2000 جندي من الانكشاريين مزود بالعتاد العسكري و4000 متطوع وأعطاه اسم باشا وعينه باي لاربايي أي أمير الأمراء. وبهذه الوسيلة دخلت الجزائر رسميا في حظيرة الدولة العثمانية. وقد وصل هذا المدد في الوقت المناسب فتمكن بفضله من القضاء على الثورات التي كانت تدبر ضده من الداخل والهجوم البحري الذي شنه الإسبان بقيادة هيقو دي مقادة Moncada Hugo de على مدينة الجزائر عام 1519م، ثم شرع خير الدين عام 1520م في القضاء على منافسه ببلاد القبائل بن القاضي فبعث له خليفته قارة حسن الذي تمكن من طرده من الجبال وبمساعدة السلطان الحفصي لتونس الذي جهزه بالجنود والسلاح عاد بن القاضي إلى القبائل وتمكن هذه المرة من التغلب على الجيش التركي بمنطقة فليسات أم الليل بالقرب من بسر وواصل زحفه إلى مدينة الجزائر واستولى عليها سنة 1520م وبقي حاكما عليها الى غاية عام 1526 م، فتمركز خير الدين بمدينة جيجل وشرع في تنظيم جيشه والاستيلاء على المدن المتبقية من الجزائر: القل وقسنطينة عام 1521 م وعنابة سنة 1522م والحضنة والقبائل ومنيجة عام 1525م واسترجع مدينة الجزائر بمساعدة سلطان بني عباس عبد العزيز من يد سلطان قبائل كوكو بن القاضي الذي استسلم له عام 1526م من بعدها شن خير الدين عام 1529 م هجوما عنيفا على برج الفنار استغرق خمسة عشر يوما وبعد معركة شرسة استعملت فيها الأسلحة الخفيفة والمدفعية استرجع الجزر الموالية لميناء الجزائر يوم 21 ماي واستسلم له ما تبقى من الحامية الإسبانية بقيادة مارتان فرغاز فطرد الإسبان لى غير رجعة لكن الاسبان لم يفشلوا وكرروا هجوماتهم على الجزائر، ففي شهر جويلية 1531 م هاجمت القوات الاسبانية المقدرة

بعشرين باخرة تحمل 1500 جندي بقيادة الايطالي الاميرال اندريا دوريا André Doria على مدينة شرشال ونمكنت من اطلاق سراح الاسرى المسيحيين الذين كانوا يعملون بالميناء ولكن المدفعية الجزائرية نجحت فيه وأرغمتهم على الرجوع. ولما بسط خير الدين نفوذه على الجزائر توجه سنة 1534 م إلى تونس بطلب ومساندة الباب العالي للقضاء على سلطانها الحفصي المستبد الحسن واستولى على حلق الواد ومدينة تونس وبنزرت ونصب بها ثكنات عسكرية وعزل الحسن لكن هذا الأخير استنجد بالامبراطور الاسباني شرلكان Charles Quint الذي سير له سنة 1535 م أسطولا بحريا كبيرا يحمل 22000 عسكري يقوده بنفسه فاستولى على قرطاج و حلق الواد ومدينة تونس. وأعاد الحسن إلى منصبه وبالمقابل فرض عليه معاهدة تقضي بترك حامية اسبانية محصنة بحلق الواد واستفادة الاسبان من امتيازات هيد المرجان بالسواحل التونسية وفتح الموانئ أمام السفن الاسبانية. فسببت هذه المعاهدة للحاكم التونسي الحسن سقوط هيبته أمام الشعب. وعندما لم يتمكن خير الدين من شرلكان عاد إلى عنابة ومنها قام بغارات بحرية على السواحل الاسبانية أسر خلالها 6000 اسباني و تحصل على مغانم كبيرة، ومن بعدها استدعاه السلطان العثماني سليم الأول عام 1535 م إلى القسطنطينية وعينه قائدا عاما للأسطول البحري التركي وبقي في هذا المنصب حتى وافته المنية عام 1546 م على سن يناهز الثمانين.

حكم الباي لارباي
1541 - 1586 م

عندما غادر خير الدين الجزائر خلفه في منصبه ابنه بالتبني حسن اغا، وهو من مواليد سردينيا تربى منذ صغاره في أحضان أسرة خير الدين عرف بالعدل والاحسان وكان شخصا محترما، وفي عهده شن الامبراطور الاسباني شرلكان Charles Quint سنة 1541 م رفقة أكبر القادة الاسبانيين الذين شاركوا في احتلال المكسيك أمثال أندري دوريه Doria André وهرنندو دي كورتيز Cortez Hernando de بقوة عسكرية مسيحية ضخمة متكونة من الألمان و الإيطاليين والمالطيين و الفرنسيين و الاسبان مقدرة ب 12330 بحارا و 451 سفينة ونزلوا يوم الأحد 23 أكتوبر على ضفة من واد الحراش مساء ثم توغلوا داخل مدينة الجزائر. وكان حسن أغا على علم بالحملة المدبرة ولذا استعد لهم فحصن المدينة بالمدفعية وشجع سكانها على الجهاد. وعندما وصل الإسبان إلى منطقة الحامة استغل الجزائريون ظلام الليل فقاموا بمهاجمتهم و ألحقوا بهم بعض الخسائر لكن الإسبان واصلوا زحفهم و لما اقتربوا من باب عزون قنبلتهم البنادق والمدفعية الجزائرية. وفي اليوم الثالث نزل المطر وتشبت عاصفة قوية في البحر لم يعرفها الجزائريون من قبل فخربت سفنهم وأحبطت معنوياتهم وأمام هذه الخسائر في العتاد والأرواح أمر شرلكان في اليوم الرابع قواته بالانسحاب ومغادرة الجزائر. وكانت نتيجة هذه المعركة مقتل حوالي 10000 اسباني و تدمير 150 باخرة. من بعدها سار حسن اغا سنة 1542 م إلى بلاد القبائل لتأديب سلطان كوكو أحمد بن القاضي ثم توجه إلى تلمسان ودخلها بدون مقاومة. وبعد وفاة حسن اغا خلفه حسن باشا بن خير الدين باي لارباي الجزائر سنة 1544 م فقام بتنظيم الجيش وقضى على الثورات الداخلية و أمام الهجمات المتكررة من طرف القائد الاسباني بوهران على مدينة تلمسان اتفق حسان باشا مع السلطان المغربي الشريف محمد المهدي على حماية تلمسان وإخراج الاسبان من وهران لكن محمد الحران ابن سلطان المغرب خان الاتفاق المبرم و استولى على تلمسان لفائدة والده. وعندما سمع حسان باشا بهذا النبأ ارسل القائد قورصو فهاجم تلمسان وأخرج قوات محمد الحران ثم حصنها وترك بها حامية تركية وعاد الى مدينة الجزائر فاعتنى بتحسينها وتجميلها وشيد بها حمامات ومستشفى لجنوده. وبطلب من السلطان العثماني غادر الجزائر متوجها إلى القسطنطينية. فخلفه صالح رايس عام 1552 م و

في عهده عرف الجنوب الجزائري تمرد علي حكم الأتراك فسير اليهم جيشاً قوامه ثلاثة الاف جندي فقمع ثورة الجنوب و استولى علي مدن تقرت و ورقلة وشيد بهما ثكنات عسكرية ثم عاد إلى الجزائر محملا بالغنائم. من بعدها بسط صالح رايس بالمؤامرة التي دبرها أبو حسون علي بن محمد الملك المعزول لاسترجاع الملك الضائع للدولة المرينية بالمغرب فلقد توجه هذا الأخير في الحرة الاولى إلى الاسبان طالبا المعونة الحربية لكنها رفضت ثم توجه إلى البرتغال فقبل ملكها وأمده ببعض البواخر والأسلحة والجنود للاستيلاء على المغرب والتقى به صالح رايس عام 1553 م بجبل طارق فاستولى على سفنه و عتاده ثم عرض عليه أبو حسون مساعدته في الاستيلاء على المغرب فقبل صالح رايس وسير جيشه نحوها ولما دخلها اصطدم بجيش سلطان المغرب الشريف فهزمه، واستولى على مدينة فاس ونصب أبو حسون الوطاسي سلطاناً عليها. لكن بمجرد خروج صالح رايس منها دخلت قوات الشريف المعركة ضد ابو حسون وقتلته، من بعدها طرد صالح رايس الاسبان من بجاية نهائيا ودخلها يوم 28 سبتمبر 1555 م بعد حرب عنيفة دامت يوماً ونصف استعملت فيها القوات البرية والبحرية وألحقت بالجيش الاسباني المتحصن بها خسائر كبيرة في الأرواح والعتاد. وفي نفس السنة أرسل له السلطان العثماني سليمان 10 سفينة حربية و 6000 جندي وأمره باسترجاع مدينة وهران ومرسى الكبير فأضاف صالح رايس إلى هذا المدد 30 سفينة جزائرية و 4000 يولداش بالإضافة إلى الجزائريين المتطوعين. وعندما كان يشرع للحملة توفي صالح رايس بالطاعون عام 1556 م وكان عمره سبعين سنة. فوصل خليفته حسان قورصو الحصار وقنبلة الإسبان بمدينة وهران مرتين و بحريا لمدة أربعة أيام. وعندما كان على وشك طرد الإسبان منها جاءه أمر من الباب العالي برفع الحصار وبعث السفن الجزائرية إلى تركيا لتدعيم الأسطول العثماني ضد الأسطول الاسباني الذي كان يهدد البوسفور. وعند عودته من وهران تفاجأ بتنصيب جلبي كرداو مكانه فثار حسان قورصو عليه ولم يسمح له بالدخول إلى مدينة الجزائر لكن طائفة الرياس البحرية أدخلته ليلا والقت القبض على قورصو و أعدمته، من بعده دخل الأتراك في صراع على الحكم، فاستغل ملك المغرب الشريف السعدي هذه الفوضى واستولى على تلمسان وضمها إلى مملكته، وأمام هذا الوضع المزري عين الباب العالي سنة 1557 م من جديد حسان بن خير الدين باي لارباي على الجزائر و ول شين قدم به استرداد تلمسان من الملك المغربي ثم تصدى بعدها للهجوم الذي قام به الإسباني كوديت حاكم وهران ضد مستغانم سنة 1558 م فحطم الجيش البحري الجزائري البواخر الإسبانية بخليج أرزيو. ولما اقترب الإسبان من

مدينة مستغانم تصدى لها سكانها ثم لحقت بهم قوات حسان باشا وشتت شملهم وقتل اثناء هذه المعركة حاكم وهران الكونت كورديت أحسن قواد الجيش الاسباني و صهر ابنة الدون مارتان ثم بادرت من جديد القوات المسيحية بقيادة اسبانيا للهجوم على مدينة الجزائر سنة 1560 م و لكن كغيرها انتهت بالفشل والهزيمة النكراء، ثم فكر حسان باشا في شن هجوم على الحامية الاسبانية بوهران لكن الجنود الاتراك تمردوا عليه، ودبروا ضده مؤامرة عام 1561 م فألقوا القبض عليه وألقوا به في الباخرة اتجاه القسطنطينية، وأوحوا للسلطان العثماني أنه يدبر حركة للاستقلال بالجزائر عن الباب العالي. فنصب السلطان العثماني أحمد باشا باي لارباي على الجزائر لكن حكمه لم يدم طويلا، إذ توفي ثلاثة أشهر بعد مقدمه، فعين من جديد حسن باشا بن خير الدين حاكما على الجزائر لسمعته الطيبة بين الناس وكفاءته وكانت رغبته الكبرى طرد الاسبان من وهران لكن الظروف لم تسمح له بذلك استدعاه السلطان العثماني سليم الثاني إلى تركيا للمشاركة في الحملة العثمانية ضد مالطة، لكن الحصار الذي فرضه الأتراك سنة 1565 م على هذه الجزيرة لم ينجح، لسبب وصول الإمدادات المسيحية. من بعدها دخل حسن باشا إلى مدينة الجزائر وحاول في هذه الفترة وللمرة الثانية إدخال العنصر الجزائري والكرغلي في الجيش النظامي الجزائري، لكن فرقة اليولداش رفضت خوفا على امتيازاتها وهذا رغم أن الجزائريين شاركوا في معظم الحملات الجهادية للدفاع عن بلادهم وخارجها ثم غادر حسن بن خير الدين الجزائر إلى القسطنطينة حيث عينه الباب العالي قائدا عاما للأسطول البحري العثماني و هي أعلى المراتب العسكرية في الامبراطورية العثمانية، فتولى السلطة من بعده محمد بن صالح رايس، وعندما قدم إلى الجزائر وجد مرض الطاعون منتشرا في الجزائر، وفي عهده عرفت الجزائر سنة 1567 م هجوما اخر للاسبان على الجزائر فقام أحد القراصنة جوان قاسكون Juan Gaskoun بتأييد ومساعدة ملك اسبانيا بمحاولة الاستيلاء على الجزائر فدخل إلى ميناها ليلا، وحاول إشعال النار في سفنها، لكن البحرية تفطنت له وتعقبته، وألقت القبض عليه ثم قتلته، من بعدها توجه محمد بن صالح إلى قسنطينة لإخماد التمرد الذي قاد به سكانها ضد الأتراك بايعاز من باي تونس، فقتلوا الجنود الأتراك مما أغضب محمد بن الصالح فأخمد الثورة، وارتكب جنوده أعمال وحشية ضد القسنطينيين، مما زاد في غضب سكانها ولهذا عزله الباب العالي، ونصب خلفا له قلج علي باي لارباي عام 1568 م، وهو من القادة العسكريين الكبار في الجيش التركي شارك في معظم الحروب ضد المسيحيين وفي عهده ثار بقايا المسلمين بالأندلس ضد الحكم الاسباني فأنزل لهم جنودا وامدادات بشاطئ المرية لغرض

مساعدتهم، ثم جاءه أمر من السلطان العثماني سليم الثاني لمساعدته في رد العدوان المسيحي الكبير الذي كانت لدول الأوروبية تستعد لتنظيمه، وقد لعب دورا كبيرا في هذه المعركة. من بعدها عاد الى الجزائر وفي سنة 1569 م استنجد به التونسيون ضد سلطانهم الجائر حميدة الذي خلع الحسن واعتلى العرش بمكانه، وكانت في ذلك الوقت الحامية الاسبانية لازالت متمركزة في حلق الواد فسير اليه قلج علي جيشه، ولما التقى الجيشان في باحة انضم جيش السلطان حميدة الى الأتراك ففر سلطانهم إلى الحامية الاسبانية بحلق الواد، ودخل قلج علي الى تونس وترك بها حامية تركية متكونة من ثلاثة آلاف جندي تحت قيادة القائد رمضان ثم عاد إلى الجزائر وعينه من بعدها السلطان العثماني سليم الثاني قائدا عاما للأسطول العثماني مع احتفاظه بلقب باي لا باي إفريقيا، وفي عام 1571 م اندلعت معركة بحرية بين الامبراطورية العثمانية والدول المسيحية في ليبانت L.épante بسواحل اليونان شارك فيها الأسطول الجزائري، وألحقت الهزيمة بالأسطول العثماني، ولم ينج منه سوى السفن التي كانت تحت قيادة قلج علي وعند رحيل هذا الأخير خلفه في منصبه في الجزائر عرب أحمد، وفي هذه المرحلة من تاريخ الجزائر بدأت مطامع فرنسا تتجلى في الاستيلاء على الجزائر فرعية من فرنسا التي كانت تطمح في توسيع تجاراتها طلب ملكها شارل التاسع عام 1572 م عن طريق سفيره في تركيا فرانسوا دي نواي من الباب العالي الذي كانت تربطه به صداقه و معاهدة أن توضع الجزائر تحت حماية فرنسا وبرز ذلك برد الاعتداءات الاسبانية المتكررة على السواحل الجزائرية، لكن الأتراك رفضوا هذا الاقتراح من الأصل، ولسبب احتلال القائد الدوق جوان النمساوي والملك الاسباني فيليب الثاني عام 1573م لتونس شنت الامبراطورية العثمانية المتكونة من الجيش التركي والجزائري و الليبي حملة عسكرية واسعة لنطاق ضد الاحتلال الاسباني لتونس فخلصوا تونس عام 1574 م من الاسبان و قضوا إلى غير رجعة على الحامية الاسبانية المتمركزة بحلق الواد، وبعد عزل الباي لا باي عرب أحمد عينت القسطنطينية القائد رمضان حاكما على الجزائر، وفي عهده عرفت المملكة المغربية صراعاً على السلطة فبعث مولاي عبد الملك إلى قلج علي القائد العام للأسطول البحري العثماني طالبا منه مساعدته في تنحية شقيقه السلطان مولاي أبي عبد الله محمد المتوكل مقابل مساعدة الأتراك في طرد الاسبان من وهران، وبالفعل وصل الجيش الجزائري إلى فاس عام 1575 م، ودخلها بدون مقاومة لأن جيش الملك انضم إلى الأتراك لكن رغبة الملك الجديد مولاي عبد الملك في مساعدة الأتراك لم تتحقق لأنه قتل من بعد فترة قليلة من توليه الحكم، وفي عام 1578 م عين حسن قنزيانو حاكما على الجزائر وكان شخصا

صارما، فقام كغيره من الحكام الذين سبقوه في تحصين مدينة الجزائر و فرض ضرائب ثقيلة على سكانها فرفضوا الدفع لأن الجزائر عرفت في تلك الفترة مجاعة، من بعدها طلب منه قلج علي القائد العام للأسطول البحري العثماني الالتحاق به ونصب مكانه جعفر باشا وبعد فترة من، حكمه لجزائر استدعاه قلج علي وعين للمرة الثانية القائد رمضان واليا على الجزائر و في ذلك الوقت كانت البحرية الجزائرية تقوم بغارات على السواحل الفرنسية تستولي من خلالها على الغنائم والأسرى مما اغضب ملك فرنسا و كانت المغانم البحرية من أهم موارد الدولة الجزائرية، في تلك الفترة لم يعرف حكم القائد رمضان انجازات كبيرة فتمرد عليه الجنود الأتراك ولم ينج الا بهروبه إلى طرابلس. فخلفه محله و للمرة الثانية حسن فنزيانو حاكما على الجزائر وبقي الى غاية عام 1588 م. ثم عين من بعدها قائدا عاما للأسطول البحري العثماني خلفا لقلج علي الذي توفي عام 1587 م. بعدها تخلى الباب العالي عن أسلوب الباي لاي الجامع بالانتصارات و عرفت الجزائر عهد الباشوات.

حكم الباشوات الثلاثين
1586 م- 1659 م

من الأسباب التي ادت الباب العالي لاتباع هذا الأسلوب في الحكم هو خوفه من استقلال الجزائر عن السلطة العثمانية، خاصة إذا علمنا أن نفوذ الإمبراطورية العثمانية كان يمتد إلى دول المشرق العربي بما فيها المملكة العربية السعودية والعراق، إضافة إلى مصر والدول الواقعة في أوروبا الشرقية مثل اليونان وقبرص والصرب والبوسنة والهرسك وألبانيا وبلغاريا والمجر. هذا بالإضافة إلى أن حكم الباي لارباي كان يشمل الجزائر وتونس وليبيا. ماعدا المغرب الذي كان مستقلا. ولهذا قرر الباب العالي بتركيا أن ينصّب على كل مقاطعة من هذه المقاطعات باشا يعين لمدة ثلاث سنوات. و أول باشا عين على الجزائر هو دالي أحمد سنة 1586م. وفي عهده كثرت الغزوات البحرية الجزائرية ضد السواحل الأوروبية اسبانيا صقلية كورسيكا ونابولي وقتل أثناء المعركة الذي خاضها جيشه ضد المتمردين الليبيين. فخلفه خضر باشا الذي قمع ثورة المقراني لسبب هجومه على الثكنات العسكرية التركية بزمورة وبرج بوعريريج، وعلى إثر وشاية فرقة اليولداش، بنهبه لأموال الخزينة استدعي من طرف الباب العالي ووضع في السجن. وحل مكانه عام 1592 م شعبان باشا، لكن بعد أربعة اشهر من الحكم أستدعي إلى القسطنطينية، فخلفه مصطفى باشا ثم أستدعي خضر باشا من جديد بعد أن ثبتت براءته له ينسى ما فعلته فرقة اليولداش ضده، ولازالة شرهم سلح الجزائريين الذين ثاروا على اليولداش وهم جنود أتراك بربة كان سكان الجزائر يكرهونهم لتصرفهم الفليض، ولهذا السبب عزلت القسطنطينية خضر باشا، ونصبت مكانه من جديد مصطفى باشا، لكن هذا الأخير لم يتمكن من القضاء على ثورة بني عباس بالقبائل فعزلته، وعينت دالي حسن أبوريشة باشا على الجزائر فلم يدم حكمه طويلا، لأن فرنسا طلبت الباب العالي بعزله بحجة أنه خرق الاتفاقية التي تربط فرنسا بالباب العالي، فحل مكانه سليمان باشا وفي عهده شنت أوروبا عام 1601 م حملة صليبية كبيرة ضد الجزائر بقيادة الإسباني جان دوريا Doria ، وضمت الباب متكونة من سبعين سفينة حربية وعشرة الاف جندي من فرنسيين وايطاليين واسبانيين متبعة في ذلك خطة الكابتان الفرنسي روكس، وعندما اقتربت القوات المسيحية من الساحل الجزائري هبت ريح بحرية عنيفة أفسدت خطتهم و عادوا من حيث أنطلقوا. و في عام 1603 م عاد الخضر باشا للمرة الثالثة حاكما على الجزائر و في عهده قامت

طائفة الرياس البحرية الجزائرية بغزو السواحل الفرنسية وأسر بعض موظفيها وتهديم المركز التجاري الفرنسي بالجزائر، فاحتج ملك فرنسا لدى الباب العالي فأرسلت قوصة باشا مكانه والذي قتل الخضر باشا، وعندما حاول قوصة تطبيق تعليمات السلطان العثماني بإطلاق الأسرى الفرنسيين وإعادة بناء المركز التجاري الفرنسي عارض الديوان الجزائري هذا الحل وقتل بسببها قوصة باشا، فخلفه مصطفى القابجي الذي مات بالطاعون عام 1607 م، فحل مكانه رضوان باشا، من بعده جاء حسين الشيخ باشا ثم عين سليمان باشا حاكما على الجزائر، وفي هذه الفترة قام أحد الفرنسيين كان متواجدا بالجزائر بسرقة مدفعين وأعطاهم لفرنسا، فاحتج باشا الجزائر على هذا العمل ودخلت البحرية الجزائرية في مشادات مع القوات الفرنسية ولم تنته هذه القضية الا بارجاع المدفعيتين وتسليم الأسرى الجزائريين، وفي هذا الصدد أبرمت عام 1628 م معاهدة بين الجزائر وفرنسا نصت على عدم اعتداء البحرية الجزائرية على السفن الفرنسية و طلاق سراح الأسرى من الجانبين وتنصيب فرنسا لقنصل يقيم بصفة دائمة بالجزائر يتمتع بالحصانة الدبلوماسية، لكن بعد مدة من الزمن نقضت الجزائر هذه الاتفاقية لسبب اعتداء الفرنسيين على البواخر الجزائرية والاستيلاء على أفرادها فقدمت السلطات الجزائرية احتجاجا لدى الملك الفرنسي لكن بدون جدوى مما أجبر القوات البحرية الجزائرية على شن هجومات على السواحل الفرنسية عاثت عليها بالخير الكثير.

حكم الأغوات
1659 م - 1671 م

لسبب تخفي نظام الباشوات وسخط السكان عليه لجأت القسطنطينية إلى تبديله بحكم الاغوات. فاستغل اليولداش، وهي القوة البرية التركية هذه المناسبة لتقلد مناصب الحكم ولم تستطع فرقة الرياس البحرية التصدي لمخططهم لأنها كانت في موقف الضعف بسبب هلاك اغلب أسطولها في معركة البندقية. فقرر اليولداش إعطاء السلطة التنفيذية لأحد اعضائهم ولقبوه بالأغا على شرط أن لا تتجاوز مدة حكمه ثلاثة أشهر. أما السلطة التشريعية فيتولاها الديوان، وثبت هذا النظام فتسلله منذ الوهلة الأولى وكان أسوأ من سابقه لأن كل الاغوات انتهى حكمهم بالقتل حتى أصبحوا يخافون القعود على كرسي الحكم، وأول اغا عين لهذا المنصب هو خليل اغا لكن بمجرد انتهاء عهدته رفض التخلي عن منصبه فثاروا عليه اليولداش وقتلوه. ثم حل مكانه رمضان اغا، ومن بعده شعبان اغا. وفي تلك الفترة برز الصراع بين فرنسا وانكلترا حول السيطرة على افريقيا الشمالية فكثرت الغارات البحرية الفرنسية ضد الجزائر ففي عام 1663م شنت فرنسا حملة عسكرية بقيادة الدوق دوبوفور للاستيلاء على مدينة الجزائر ولكن هذه المحاولة باءت بالفشل فنظمت حملة أخرى انطلقت من ميناء تولون Toulon يوم 23 جويلية 1664م تحتوي على 83 سفينة و8000 عسكري بقيادة كولبير Colbert و الدوق بوفور Duc Beaufour ونزلت بجيجل لكن سكانها والأتراك أجبروهم على الرحيل بعد معركة دموية خسرت فيها فرنسا العديد من بواخرها وجنودها. فكر ملك فرنسا لويس الرابع عشر عام 1665 م فجوما اخر قاتلاً على كل من مدن شرشال والقل وجيجل. ولم يعد السلم بين الدولتين الا بابرام اتفاقية جديدة مع فرنسا. فغضبت منافستها انكلترا من هذا الصلح و شرعت عام 1669 م في الهجوم على الجزائر لكن المدفعية الجزائرية أجبرتها على العودة و في عام 1671 م وضع حد لنظام الاغوية بعد أن تداول عليه أربع اغوات لمدة اثني عشرة سنة. فعوض بنظام الدايات.

حكم الدايات
1671 م - 1830 م

وعلى خلاف نظام الأغوات فحكم الدايات ينتخب فيه الداي مدى الحياة وهم من طائفة رياس البحر يتمتعون بسلطة مطلقة، وعلى خلاف الأنظمة السابقة سلك الدايات سياسة مستقلة فيما يخص الجزائر، فهم الذين يعينون الوزراء الذين تتشكل منهم الحكومة، ويبرمون الاتفاقيات الدولية ويعلنون الحرب ويعقدون معاهدات السلام. وأول داي حكم الجزائر هو الحاج محمد باشا، وتميزت هذه المرحلة كما ذكرنا باستقلال الجزائر عن الامبراطورية العثمانية بحيث أصبحت لها حدود واضحة وجيش منظم وعاصمة معترف بها دوليا، وفي هذه الفترة تغير الصراع من اسبانيا إلى فرنسا، ففي عهد الداي بابا حسن وبالضبط يوم 13 جويلية 1682 م نظم الأميرال الفرنسي دوكين حملة عسكرية قوامها ثلاثون سفينة حربية لمهاجمة شرشال ومدينة الجزائر لكن هذه المحاولة باءت كغيرها بالفشل، بعدها بعامين أي عام 1684 م أبرمت الجزائر معاهدة سلم مع فرنسا لمدة مائة سنة لكنها نقضت عام 1776 م بسبب نشوب معركة بين السفن الفرنسية والجزائرية، وقامت فرنسا بقنبلة الجزائر. في النهاية تم الصلح بين الطرفين لكن عندما سمع الجيش التركي بمحتوى الاتفاق، وأنه تم بدون مشوراتهم ثاروا ضد الداي حسن ميزو مورتوداي ولم ينج من قتلهم إلا بفراره إلى القسطنطينية. فخلفه في منصبه الداي الحاج شعبان، ثم جاء من بعده الداي الحاج مصطفى، وفي عهده نشبت حرب بين الجزائر والمغرب انتصر فيها الداي الحاج مصطفى على ملك المغرب مولاي اسماعيل، ثم عين الداي من بعدها مصطفى بوشلاغم باياً على الغرب الجزائري، فاتخذ من مزونة مقرا له ثم غيره من بعد إلى مدينة معسكر. ولعب هذا القائد دورا كبيرا في طرد الإسبان يوم 6 أفريل 1708 م من وهران والمرسى الكبير. وتمت هذه العملية في عهد الداي محمد بقطاش. من بعدها أصبحت النوايا الاستقلالية التي كانت تتخوف منها الامبراطورية العثمانية تتحقق فعليا، وأول من أعلن هذا الانفصال هو الداي علي شاوش وفي عهده وقع في شهر فيفري من عام 1716 م زلزال عنيف بالجزائر العاصمة أدى إلى مقتل المواطنين وتهديم العديد من المنازل، بعدها بعامين توفي الداي علي شاوش اثر مرض عانى منه، فخلفه الداي محمد بن الحسن الذي قتل إثر مؤامرة دبرت له من طرف طائفة الرياس عام 1724 م. ولم يتأثر الإسبان بالهزيمة التي لحقتهم أثناء طردهم من وهران فاستولوا من جديد

في عهد الملك فيليب الخامس عام 1732 م على وهران والمرسى الكبير ورغم شجاعة باي الغرب بوشلاغم و جنوده لم يستطيعوا صد هذا الهجوم لكثرة القوات الاسبانية المتكونة من ست عشرة باخرة حربية و ثمانية و عشرون ألف عسكري. على أثر هذا الانهزام الذي لم يتحمله الداي كرد عبدي وافته المنية عام 1733 م وكان يبلغ 88 سنة. فخلفه محمد بكير. وعرفت الجزائر في عهده الهدوء والاستقرار وعلاقة سلم مع الدول الأوروبية لحسن تصرفه في شؤون الحكم. من بعده تولى الحكم علي ملمولي ومحمد عثمان باشا، ودام حكم هذا الأخير خمسا وعشرين سنة خاضت الجزائر في فترته عام 1770 م حرباً ضد الدنمارك التي قنبلت الميناء الجزائري لكن الجيش البحري الجزائري كان أقوى منها بكثير فتغلب عليها وأجبرها على التفاوض. ولم تنته الهجمات الإسبانية ضد الجزائر ففي عام 1770 م شنت القوات الاسبانية حملة عسكرية بأمر من الملك شارل الثالث و بقيادة دون بيدرو Don Pédro. ولم تكد تنزل القوات الإسبانية على أرض الجزائر حتى تصدت لها قوات صالح باي قسنطينة وألحقت بهم شر الهزيمة. من بعدها حاول الملك شارل الثالث مصالحة الجزائريين لكن الداي محمد عثمان باشا رفض لعدم ثقته في الإسبان. فكرر الإسبان هجماتهم عام 1784 م على الجزائر بقيادة دون أنطونيو Don Antonio لكن كالعادة القوات البحرية الجزائرية أجبرتهم على الانسحاب. وبعد ذلك قبلت الجزائر الصلح مع الاسبان على شرط جلاء الحامية الاسبانية من وهران والمرسى الكبير. فقبل الإسبان هذا الشرط ولم يطبق فعليا إلا في عهد الداي حسن أي في سنة 1792 م، وهكذا رحل الإسبان من الجزائر الى غير رجعة. وفي هذه السنة قتل أحد أكبر وأشهر رجال الحكم من الأتراك في الجزائر وهو صالح باي قسنطينة بأمر من الداي حسين لا لسبب الا لخوفه من تفوقه والسمعة الحسنة لصالح باي في أوساط الجماهير الشعبية القسنطينية. فقد استطاع هذا الشخص أن يتغلغل في أوساط الشعب ببساطته وجده وعدله فحبه الشعب وحزن عليه القسنطينيون يوم موته، ومن ذلك اليوم حسب ما تقوله الأسطورة ارتدت نساء قسنطينة الحجاب الأسود ولازال الى يومنا يتفنون به وكان عهده (1771 م- 1792 م) حافلاً بالانجازات العسكرية و الاقتصادية والاجتماعية والعمرانية والثقافية. فلقد استطاع بشجاعته وقوة شخصيته أن يقضي على الثورات الداخلية ويحمي الحدود الشرقية ويتصدى للهجمات الأجنبية على الجزائر ويحرك النشاط الاقتصادي والتجاري ويرفع المستوى التعليمي. ومن أكبر انجازاته بقسنطينة تشييد حي سيدي الكتاني والجامع والمدرسة الموجودة به وترميم جسر قسنطينة وبناء مسجد بعنابة يحمل اسمه، لكن أواخر حكمه عرف بالشدة

والصرامة مما جلب له أعداء كثيرين من الاتراك ومن سكان الريف ورجال الدين واليهود فكانوا سببا في مقتله. وفي عام 1801 م دخلت الامبراطورية العثمانية في حرب ضد فرنسا لسبب احتلالها لمصر وشاركت القوات الجزائرية فيها رغم روابط الصداقة المتينة التي كانت تربط الجزائر بفرنسا، لكن سرعان ماعادت الى طبيعتها وذلك بسبب ميول الداي الى فرنسا على حساب الدول الاوروبية الأخرى وخاصة منافستها بريطانيا. وفي هذه الفترة تجلت في الجزائر نفوذ شخصين يهوديين وهما بوشناق وبوخريص كان يقومان وحديهما بدور الملوك في الجزائر، ويحتكران الأسواق التجارية الجزائرية وخاصة في ميدان تصدير الحبوب فاحتد نفوذهما حتى في بلاط الحكم، فأصبحت لهما قوة تأثير في القرارات السياسية والاقتصادية وكان سببا مباشرا في احتلال فرنسا للجزائر عام 1830 م. ولسبب نفوذه الكبير وسوء تصرفهما قام أحد الجنود الأتراك عام 1805 م بقتل اليهودي بوشناق وهو خارج من قصر الداي بالجنينة، أما صديقه بوخريص فقتل بامر من الديوان عام 1811 م. وهكذا استراح الجزائريون من مؤامراتهم. من بعدها دخلت الجزائر في مرحلة عنف واضطرابات لسبب ميول الداي لفرنسا فقد تحصلت هذه الأخيرة على امتيازات كبيرة في الجزائر خاصة في ميدان استغلال المرجان بالقالة، مما دفع بعض السكان في التشكيك بسيادته الجزائرية، فادى هذا التصرف السياسي إلى اندلاع ثورة عامة بالشرق الجزائري قادها ابن الأحرش بتحريض من انكلترا ضد الحكم التركي، فاستولى على مدن جيجل والقل والقى القبض على الفرنسيين في القالة وهزم قوات عثمان باي بقسنطينة لكن لسوء تنظيمها لم تتمكن من بلوغ هدفها، فقضت عليها القوات التركية. وقريبا من هذه الفترة اندلعت ثورة اخرى كبيرة سنة 1805 م بالغرب الجزائري قادها محمد بن عبد القادر بن الشريف الدرقاوي لسبب ارهاق الفلاحين بالضرائب تمكن أنصاره من حصار مدينة وهران لمدة ثمانية أشهر زعزعت حلالها النظام التركي ولكن كسابقتها لم تنجح في بلوغ هدفها. و في هذه المرحلة من تاريخ الجزائر أصبحت النوايا الاستعمارية الأوروبية تتجلى في الأفق فلقد اختل ميزان القوى لصالح اوروبا فبينما كانت هذه الأخيرة تخطط لعالم جديد يسوده العلم و التقدم كانت الامبراطورية العثمانية نائمة في سباتها، ففي مؤتمر فيينا الذي انعقد عام 1815 م يطلب من الانجليز تحالف الأوروبيون ضد الجزائر بوضع حد نهائي لأعمال قرصنة البحرية الجزائرية في البحر الأبيض المتوسط واسترقاق المسيحيين و كلفت بريطانيا بتطبيق مقررات المؤتمر. فتوجه الانجليزي اللورد ليكسمون عام 1816 م على متن أسطول بحري إلى الجزائر ولما اقترب من سواحلها وضع الداي القنصل

البريطاني في السجن، لكن البحرية الجزائرية اندفعت بالراية البيضاء التي كانت تحملها السفن الحربية البريطانية فتركتها تدخل للميناء الجزائري فقتلت بالمدفعية الأسطول البحري الجزائري وألحقت به أضرارا جسيمة مما أجبر الداي عمر باشا على قبول شروط مؤتمر فيينا. وفي عهد الداي علي خوجة تحول مقر الحكومة من الجنينة إلى القصبة، واعتمد هذا الداي في حكمه على الكراغلة وهم من أب تركي وأم جزائرية بالإضافة إلى الجزائريين للقضاء على فرقة اليولداش الطاغية والفاسدة، فتمكن منهم وقتل العديد من أعضائها والباقين رحلوا إلى تركيا. ولما توفي الداي علي خوجة بالطاعون عام 1818 م أنتخب الداي حسين حاكما على الجزائر فوجد أمامه وضعية مزرية بسبب الثورات الداخلية، وفي عهده عقد الأوروبيون للمرة الثانية يوم 30 سبتمبر 1818 م مؤتمر ايكس لا شابيل قرروا فيه مطالبة كل من الجزائر وتونس وليبيا بوضع حد للقرصنة واعتبروا أي مساس بالبواخر التجارية لأحد من هذه الدولة المتحالفة سيؤدي إلى رد فعل سريع، بعدها دخلت الجزائر في مرحلة ضعف وانحطاط وخاصة بعد تحطيم أسطولها في معركة نافارين المشهورة بسواحل اليونان، يوم 20 أكتوبر 1827 م فقدت هي والامبراطورية العثمانية قوتها وهيبتها، فتكالبت عليها الدول الأوروبية وكانت نهاية الوجود التركي في الجزائر على يد فرنسا عام 1830 م في عهد الداي حسين بعد ثلاثة قرون من وجودها.

الحياة السياسية و الاقتصادية و الاجتماعية

مر حكم الأتراك في الجزائر على أربعة أنواع من الأنظمة بدأت بحكم الباي لارباي ثم الباشوات من بعد الأغوات وانتهت بنظام الدايات. وكل نظام من هذه الأنظمة عرف ميزة خاصة به. ففي عهد الدايات وضع الأتراك ديوانين: ديوان خاص وديوان عام. فالديوان الخاص هو المجلس التنفيذي للدولة يترأسه الداي الذي ينتخب من قبل الأتراك لمدى الحياة، ويتمتع بحكم مطلق و يساعده في مهامه خمس موظفين سامين من الأتراك بمثابة وزراء. وهم على التوالي الخزناجي وهو نائب الداي مكلف بالخزينة العمومية، وآغا الصبايحية وهو القائد العام للجيش، ووكيل الخرج و هو المسؤول عن الوراشات التي تبنى فيها السفن و تموين الأسطول بالأسلحة و صيانة الموانئ البحرية والحربية وتحصينها فهو بمثابة وزير البحرية، وخوجة الخيل مكلف بالجباية والمرافق العامة التابعة للدولة، وبيت المالجي الذي يسهر على تسيير بيت المال والعقود والمواريث. من بعدهم تأتي مرتبة الكتاب وهم أربعة يرأسهم الباشكاتب، يتولون مهام إدارية متنوعة من بينها تحرير الرسائل، وكذلك شيخ الإسلام مكلف بالعدل والشؤون الدينية ووكيل الحرج المكلف بالمؤونة الغذائية للسكان، وأخيرا رجال الأمن وقائد الفحص المكلف بتحصيل الضرائب. إلى جانب هذا يوجد ديوان عام وهو المجلس التشريعي يتكون من الموظفين السامين وكلهم من الأتراك. وكان مقر الداي موجوداً في البداية في الجنينة ثم حول إلى القصبة، وكانت الجزائر مقسمة إداريا إلى أربع مقاطعات: مدينة الجزائر وضواحيها المسماة بدار السلطان لأنها تابعة مباشرة للداي، وبايلك الشرق وعاصمتها قسنطينة وهي أكبرهم وأهمهم، وبايلك الغرب وكانت عاصمتها في البداية مزونة، ثم معسكر وعند جلاء القوات الاسبانية عام 1792 م أصبحت وهران. وأخيرا بايلك التيتري وعاصمتها المدية وهي أصغرهم، وعلى رأس كل واحدة منهم حاكم برتبة باي. وينقسم البايلك إلى أوطان يشرف عليها قواد، ويتكون الوطن من قبائل يحكم كل واحدة منها شيخ من الأهالي. ويخضعون كلهم لسلطة الداي. ويساعد الباي في مهامه مجموعة من الموظفين السامين، وهم الخليفة نائبه مكلف بالضرائب، وقائد الدار يشرف على أملاك البايلك، والآغا قائد العسكر، والخزندار المكلف بتسليم أموال الجباية، اضافة الى كتاب يشرفون على دفاتر وسجلات المحاسبات، والباي ملزم كل ستة أشهر بتقديم للخزينة العامة

أموال الضرائب المختلفة وأتاوات عن عائدات أراضي الملك، وكل ثلاث سنوات يتوجه الباي على رأس وفد إلى مدينة الجزائر العاصمة ليجدد الولاء للداي وكانت توجد بالجزائر مناطق تتمتع بنوع من الاستقلال الذاتي مثل بلاد القبائل والمناطق الصحراوية تخضع لرؤساء القبائل من جزائريين و تراقبها ثكنات عسكرية، ولا تخضع مباشرة لسلطة الداي ولكنها تدفع له أتاوة، وكان الحكم التركي في سيطرته على الأرياف الشاسعة يعتمد على قبائل المخزن، وهي عبارة عن تجمعات سكانية اصطناعية مزودة بالسلاح تربط المحكوم بالحاكم وتحظى بامتيازات متنوعة منها الإعفاء الضريبي، وبالمقابل تساعد الدولة في تحصيل الضرائب والحفاظ على الأمن، وتملك أراض فلاحية، هذا بالإضافة إلى استغلال النفوذ الديني لبعض شيوخ الزوايا بالتقرب إليهم بالمصاهرة والامتيازات، ولم يول النظام التركي المناصب العليا للجزائريين وحتى الكراغلة المنحدرين من أب تركي، كان يشك فيهم وهذا نظرا لعدم ثقتهم وتخوفهم من العنصر الجزائري، ولكن هذا لا يعني أن الأتراك كانوا يعاملون الجزائريين معاملة استعمارية مثلما فعلت فرنسا عند احتلالها للجزائر. وكان النظام التركي الجزائري مثله مثل الامبراطورية الإسلامية العثمانية بالقسطنطينية مبني على القوة العسكرية وخاصة البحرية وهذا ما جعل عصرهم يتسم بالجمود لافتقاره للجانب العلمي على خلاف الدول الإسلامية التي سبقته مثل الخلافة العباسية والدولة الأندلسية والحمادية والزيانية، وكان الجيش التركي بالجزائر أغلبيته من الأتراك يعتمد في تجنيده على المواطنين الأتراك بالخارج و يضم صنفين من العسكر فرقة اليولداش وهي القوة البرية عرفت بأسلوبها الطاغي، وطائفة الرياس البحرية وهي العمود الفقري للجيش التركي نظرا للدور الفعال الذي لعبته في طرد الغزاة الأوروبيين وصد هجماتهم عن الجزائر، وكانت مورد رزق وسيدة البحر الأبيض المتوسط لمدة ثلاثة قرون تخشاها كل الدول الاوروبية، وكان يوجد بمدينة الجزائر في أواخر العهد التركي سبع ثكنات، وعلى أية حال يمكن القول أن فضل رسم الحدود الجزائرية الحالية واختيار مدينة الجزائر عاصمة لها يرجع للعهد التركي، وهذا على خلاف ما يدعيه المستعمرون الفرنسيون عند احتلالهم بأن الجزائر لم تكن أمة في يوم من الأيام، بل هي بلاد تسكنها مجموعة من القبائل المتناحرة المتنافرة فيما بينها، ولولا الروابط الدينية (حسب ظني) التي كانت تجمع الجزائريين بالأتراك لما بقوا ثلاثة قرون، وكان بمقدور الجزائريين مقاومة الأتراك مثلما فعلوا بالرومان والبيزنطيين وغيرهم ولكن هذا ما لم يقع، وحتى الاضطرابات والثورات التي وقعت في عهدهم كانت أغلبها لسبب الضرائب المفروضة عليهم في أواخر عهدهم بالجزائر. وخلاصة القول أن

الأتراك جنبوا الجزائريين و الإسلام خسيسة كبيرة بتدخلهم لإنقاذها في الوقت المناسب من أيادي الإسبان وبهذا فقد أرجأوا الاحتلال الأوروبي قرونا أخرى

وعرفت الحياة الاقتصادية الجزائرية مكانة لابأس بها. وكانت تسد في أغلبيتها حاجيات السكان فلم تكن الصناعة متطورة بالمفهوم الحالي، فارتكزت على الصناعات اليدوية مثل صناعة النسيج والأحذية والدباغة والسروج والخشب والزجاج ومواد البناء والسفن والخزف والسلاح والبارود والمواد الغذائية الخ. هذ بالاضافة إلى صيد السمك. وكانت جل النشاطات الاقتصادية متمركزة بالمدن الكبرى مثل الجزائر والمدية وهران وتلمسان وقسنطينة وعنابة الخ. فمثلا في مدينة قسنطينة كان يوجد بها 33 مصنعا لدباغة الجلود و 176 معملا للأحذية. وفي تلمسان كان يوجد 500 مصنعا لصناعة النسيج والخشب والجلد والحديد. وكانت الصناعة المحلية منظمة تنظيما دقيقا بحيث كان الحرفيون منخرطين في نقابات حسب التخصص. فنجد شارع الدباغين والنجارين والحدادين الخ. ولعبت الهجرة الاندلسية بالجزائر دورا ايجابيا في تحريك النمو الاقتصادي، فقد جنبوا معهم العديد من الحرف المتطورة في ذلك الوقت سواء في الميدان العمراني الفلاحي أو الصناعي، فأنشأوا مصانع للنجارة والحدادة والجلود والمجوهرات والنسيج والخياطة والصوف والحرير والزربي والشاشية والقندورة والبرانيس ذات جودة عالية تكفي لسد حاجيات السكان، والباقي يصدر لدول تونس والمغرب. أما سكان الريف وهم الأغلبية يمثلون 94 % من مجموع السكان يتشغلون بالفلاحة وتربية المواشي من بقر وغنم ودواجن وابل وبعض الأعمال اليدوية. وكانت الأراضي الفلاحية شديدة الخصوبة تدر منتوجات كثيرة ومتنوعة من خضر وفواكه. هذا بالإضافة إلى المنتوجات الزراعية الصناعية من قطن وتبن وزيت. لكن السياسة الجبائية التركية المرتفعة قلصت نوعا ما النشاط الفلاحي خاصة عندما نقصت المغانم البحرية في السنوات الأخيرة من العهد التركي بالجزائر بسبب فقدانها السيطرة على البحر المتوسط. وأهم مورد فلاحي كان مخصصا للتصدير هي الحبوب من قمح وشعير. وكانت كل هذه المنتوجات تلبي حاجيات السكان والباقي يصدر إلى الخارج. أما الأراضي التي كانت تنتج هذه الخيرات فكانت مقسمة إلى أراضي العرش وهي ملك للقبيلة، وأراضي الملك الكبيرة التابعة للإقطاعية البورجوازية وأراضي فردية للأسر. وكانت العبادلات التجارية المحلية بين سكان الأرياف والمدن تنظم داخل أسواق أسبوعية يتم فيها تبادل السلع بالنقود أو المقايضة. ولتسهيل المواصلات الداخلية والخارجية ربطت المدن بالطرق المعبدة.

واعتنوا بالموانئ لتصدير منتوجاتهم الصناعية والفلاحية. ومن الصادرات الجزائرية نحو الدول الأجنبية الأوروبية نذكر القمح والشعير والمواشي والزيت والعسل والعنب والتين والثمور والصوف والشموع والجلود. وتستورد القهوة والسكر والشاي والورق. وتتم هذه العمليات التجارية تحت رقابة الدولة و مقابل دفع حقوق الجمارك. وكانت للدول الأوروبية بالجزائر قناصل ترعى المصالح التجارية لدولتها. وتمول مصادر دخل الخزينة العامة للدولة من طرف ضرائب الزكاة والعشر والغرامة والعوائد ورسوم الحكور المفروضة على أراضي المالك وجزية اليهود ورسوم الجمارك والأسواق والتركات التي تؤول الى بيت المال في حالة انعدام ورثة شرعيين وغنائم القرصنة والاموال التي تدفعها اوروبا لاتقاء هجومات القرصنة وهدايا الدول الأجنبية. وتنفق هذه الأموال في تسيير شؤون الدولة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية.

وكان المجتمع الجزائري متكونا من الأتراك وهم من الطبقة الحاكمة. وتضم في صفوفها الموظفين السامين من السياسيين والاداريين والجنود. بالإضافة إلى الكراغلة والسكان الأصليين الجزائريين والسود والحضر الوافدين من الأندلس رفقة اقلية يهودية. ويمثل المسلمون 90 % من السكان اغلبيتهم على المذهب المالكي. وجلهم يزاول الفلاحة وتربية المواشي والأقلية تمارس النشاطات الحرفية والتجارية سليم طبقة بورجوازية تسكن المدن الساحلية و تملك احسن المنازل والأراضي متكونة من الأتراك والحضر يخدمهم في بيوتهم الأسرى العبيد المسيحيون من الأوروبيين. وكان لبعض العائلات اليهودية نفوذ كبير على الحياة الاقتصادية وخاصة لتجارة الخارجية. ولا يمثل سكان المدن إلا 6 % من مجموع السكان يعيشون في مدن مزودة بالمرافق العامة الضرورية مثل العيون و الفوارات والعقاهي و الحمامات و الحضائع و الفنادق والدكاكين. وكان يوجد في مدينة الجزائر لوحدها (4) مقهى. و يمنع على المسلمين بيع الخمور. وكانت مدينة الجزائر تغلق أبوابها بعجين ظلام الليل و يناء سكانها على الساعة التاسعة ليلا ويستيقضون في الصبح. وأيام العطل الدينية والأسبوعية هي الأعياد الإسلامية ويوم الجمعة. ولغة المعاملة هي العربية والتركية. وأصيب الجزائريون في عهد الأتراك بمرض خطير و هو الطاعون أدى إلى مقتل العديد من السكان. كما ضرب مدينة الجزائر سنة 1716 م زلزال عنيف هدم منازل كثيرة و توفي خلق كبير. أما المرأة فلم تكن تخالط الرجال ولا تخرج من المنزل الا عند الضرورة لزيارة العائلات أو المقبرة أو التبرك بضريحة الأولياء الصالحين. ومن أشهرهم في مدينة الجزائر

في ذلك الوقت سي والي دادا وسيدي متقة وسيدي بوقدور. وعموما كان المستوى المعيشي والتربوي للجزائريين افضل من نظيره في الدول الأوروبية وهذا بشهادة الفرنسيين. وقد اختلفت الاحصائيات حول عدد سكان الجزائر عند مدخل الفرنسيين. فالمصادر الفرنسية تذكر ثلاث ملايين نسمة، بينما أحمد خوجة أحد المثقفين الجزائريين يذكر عشرة ملايين نسمة. وحسب مصادر الجاسوس الفرنسي بوتان Boutin لعام 1808 م فكان يقدر عدد الأتراك بالجزائر بنحو عشرة الاف نسمة و خمسة الاف من الكرغليين.

الحياة الدينية و الثقافية و الفنية

كان أغلب الشعب الجزائري على المذهب المالكي، أما الأتراك والكراغلة وبعض الحضر فيعتنقون المذهب الحنفي. إلى جانبهم توجد أقلية يهودية لا تتعدى 1 % من مجموع السكان لها معابدها الخاصة و تمارس شعائرها الدينية بكل حرية وتمتلك مدارس تعلم فيها اللغة العبرية والتوارة وتحتكم إلى قضاة خاصين وهم الأحبار، ورغم العدد القليل من المسيحيين الا أنه كانت توجد كنائس بالجزائر وكانوا يتحاكمون إلى القنصليات المسيحية الموجودة في الجزائر. ففي مدينة الجزائر لوحدها كان يوجد بها عند مدخل الفرنسيين 106 مسجداً منها 92 مالكية و14 حنفية. هذا إلى جانب المدارس الدينية يعلم فيها القرآن والعلوم الاسلامية. وكانت كلها تعيش من موارد الأوقاف فلقد لعب هذا الأخير دورا كبيرا ليس فقط في الميدان الديني و التعليمي بل تعداه الى الميدان الاقتصادي و الاجتماعي، فكان يملك أراضي فلاحية واسعة ودكاكين وفنادق وبساتين ومساكن ليس فقط في مدينة الجزائر ولكن في كل أنحاء الوطن، ويغفق عوائدها في الأعمال الخيرية ومرتبات الأئمة والمعلمين ومساعدة الطلبة وتشييد المدارس والمساجد وصيانتها، وتديرها مؤسسة دينية يشرف عليها أئمة كبار مستقلة عن الحكم التركي ذات كفاءة عالية في ميدان التسيير، وكانت أملاك الأوقاف تتمتع بحصانة قوية بحيث لا يستطيع الحكام مهما كانت رتبتهم المساس بها، و بفضل أموال الأوقاف والزوايا في الأرياف انتشر التعليم في مختلف أنحاء الجزائر بحيث كان معظم الجزائريين يحسنون القراءة والكتابة، وهذا ما شهد عليه الفرنسيون عند احتلالهم للجزائر، والمواد التي كانت تدرس في المرحلة الأولى للصغار القراءة والكتابة والقران، ولما ينتقلون إلى المعاهد يدرسون العلوم الدينية واللغة العربية والمنطق والميتافيزيقيا والحساب وعلم الفلك و علم الجداول لتحديد مواقيت الصلاة ثم الطب والرسم لزخرفة المخطوطات، وعندما يصل الطلبة إلى مستوى معين يمكنهم الرحيل بمفردهم إلى القاهرة أو المشرق العربي لمواصلة دراساتهم، ففي مدينة الجزائر كان يوجد عند نهاية العهد التركي حوالي مائة مدرسة، ولكن هذا لا يعني أن الحركة الثقافية كانت على المستوى الرفيع الذي عرفته الجزائر سابقا في عهد الحماديين أو الزيانيين، بحيث كانت أقرب إلى الثقافة التقليدية لا تساير العصر الحديث وهذا لقلة انجاب الجزائر لعلماء بارزين سواء في الميدان الفقهي أو الأدبي

أو العلمي لأن جهد الأتراك كان منصبا على الميدان العسكري. وحتى هذا الجوهوة علمية واسعة بين المسلمين و الأوروبيين حال دون اطلاع الجزائريين على ما كان يجري في أوروبا من اختراعات و تطورات تقنية

و لقد ترك الأتراك اثارا عمرانية كبيرة لازالت شاهدة اليوم على وجودهم، من بينها مدينة القصبة و جامع كتشاوة المشهور و مسجد علي بتشين الذي شيد من طرف هذا الأخير عام 1622 م. وكان يضم في السابق كل الدكاكين الموجودة أسفله، وهو أحد قادة طائفة الرياس البحرية من أصل مسيحي ايطالي اعتنق الاسلام وتجند في البحرية التركية، هذا بالاضافة إلى قصور الدايات الواقعة في القصبة وحسين داي و كلها موجودة بمدينة الجزائر. ولم يشيد الأتراك العمران في العاصمة فقط بل في جميع المدن الكبرى قسنطينة عنابة المدية وهران الخ. ونظرا للمدة الزمنية القصيرة التي تفصلنا عن عصرهم و المقدرة بقرن وسبعين سنة لازالت هذه البنايات متينة، ومنها ما هدمه الاستعمار الفرنسي ومنها ما خربه الاهمال والنسيان وأصبحت اليوم مدينة القصبة متحفاً من المتاحف المفتوحة العالمية المحمية من طرف منظمة اليونيسكو التابعة للأمم المتحدة.

الاحتلال الفرنسي
1830 م - 1962 م

أسباب الاحتلال

قبل التعرض لحادثة المروحة، لابد من إعطاء صورة موجزة عن حالة العالم الإسلامي في بداية القرن التاسع عشر، فلقد اختل ميزان القوى بينه وبين العالم الأوروبي، وأصبحت الدولة العثمانية حامية المسلمين في حالة ضعف و تقهقر سميت بالرجل المريض فقدت على إثرها معظم مناطق نفوذها في أوروبا، وزاد الطين بلة عندما حطم الأسطول البحري العثماني والجزائري في معركة نافارين عام 1827 م اثر المعركة البحرية التي دارت بينهما وبين التحالف الثلاثي الفرنسي، الروسي والانجليزي من أجل قضية استقلال اليونان، والتي كانت أراضيها تحت سيطرة العثمانيين. وبهذه الهزيمة فقد العالم الإسلامي مفاتيح البحار وسيطرته على التجارة الدولية، وهذا ما كانت تهدف إليه الدول الأوروبية لفتح أسواق جديدة لتسويق منتجاتها، والبحث عن المواد الخام لتطوير اقتصادها بعد ظهور الثورة الصناعية في أوروبا الغربية وخاصة في انكلترا وفرنسا. أضف إلى ذلك النوايا الاستعمارية التي كان يكنها الأوروبيون للجزائر والتي تجسدت في مؤتمر فيينا 1815 م، ومؤتمر ايكس لاشابيل 1818 م حيث اتفقت 20 دولة اوروبية على توحيد صفوفها، وشكلوا لهذا الغرض تحالفا دفاعيا بحريا للقضاء على عملية القرصنة الجزائرية في البحر المتوسط، وتحرير الأسرى الأوروبيين و تحريم استرقاق المسيحيين والحفاظ على حرية التجارة، وبالتالي منحت لفرنسا بصورة غير مباشرة الضوء الأخضر لغزو الجزائر.

وكانت علاقة الجزائر بفرنسا قبل الحملة جيدة، فلقد منحتها امتيازات تجارية هامة، سمحت لها بإنشاء مؤسسات في عنابة والقالة والقل لصيد المرجان وتصدير الحبوب إلى أوروبا مقابل دفع ضريبة للحكومة الجزائرية. ووقفت الجزائر إلى جانب فرنسا في أصعب الظروف، فلقد اعترفت بالجمهورية الفرنسية عندما قامت الثورة الفرنسية سنة 1789 م وأطاحت بالنظام الملكي في الوقت الذي كانت فيه الأنظمة الملكية الأوروبية تحاصر فرنسا سياسيا واقتصاديا قصد القضاء على النظام الجمهوري الجديد. كما اقرضت الجزائر سنة 1796 م حكومة فرنسا أموالا بدون فائدة بقيمة مليون فرنك فرنسي على شرط أن تستعمل هذا القرض لشراء

الحبوب من الجزائر، وماعدا التوتر في العلاقات بين الدولتين لسبب غزو فرنسا لمصر، فان المياه رجعت إلى مجاريها بمجرد حل هذا النزاع. ولم تبدأ المشاكل بين الدولتين إلا عند مجيئ نابليون بونابرت إلى الحكم فاستغل التفوق التكنولوجي والعلمي الذي وصلت إليه فرنسا بعدما كانت في السابق متكافئة وأصبح يهدد الجزائر بالحرب على إثر احتجاز الجزائر لسفينتين فرنسيتين، ثم لأجل إطلاق صراح أسرى إيطاليين وكورسكيين كانوا مسجونين في الجزائر، وكانت نواياه منذ بداية حكمه خبيثة اتجاه الجزائر، فكان يخطط لاستعمارها، ولهذا الغرض بحث بجواسيس ومن بينهم الضابط بوتان Boutin سنة 1808 م والذي أعتمدت خطته أثناء احتلال الجزائر، ولكن انشغال نابليون في قمع الثورة الاسبانية ثم الحملة على روسيا أعاقت تنفيذ حملته ضد الجزائر، ولكن الملوك الذين جاءوا من بعده لويس وشارل العاشر احتفظوا بمخططه. وفي 29 أبريل 1827 م بمناسبة عيد الفطر، حضر القنصل دوفال Duval الحفل الذي أقامه الداي بهذه المناسبة، فسأله الداي حسين عن سبب عدم رد ملك فرنسا على رسالته والمتعلقة بتسديد ثمن القمح الذي اشترته فرنسا من الجزائر والذي يعود إلى عهد نابليون عام 1798 م. فرد عليه دوفال باللغة التركية "ليس من العادة أن يخاطب الملك من هو أدنى منه" وبأسلوب لا يليق بمكانة الداي، فغضب هذا الأخير ولم يتحكم في أعصابه وضربه بمروحة من ريش كانت في يده لمست وجه القنصل وأمره بالخروج من مجلسه. وتتلخص قضية الديون في العلاقة المشبوهة التي كانت تربط اليهوديين بكري وبوشناق بالقنصل دوفال، فكان اليهوديان وهم من جنسية جزائرية وذات نفوذ قوي في الوسط المالي يقومان بتسديد ما اشترته فرنسا من الحكومة الجزائرية نيابة عنها، بعدما كانت فرنسا من قبل تشتري ما تحتاجه مباشرة من موانئ الجزائر، وعندما طالب الداي حسين بثمن القمح اتفق دوفال مع التاجرين اليهوديين على توقيف الدين. اعتبرت فرنسا هذا التصرف من الداي بضرب قنصلها اهانة لشرفها، وطلبت من دوفال مغادرة الجزائر، وأصبح قنصل سردينيا هو الذي يرعى مصالح فرنسا بالجزائر، وأرسلت قائد البحرية كولي إلى الجزائر على رأس أربع سفن حربية، وطلب من الداي الاعتذار لدوفال، وأعطى للداي حسين مهلة 24 ساعة كإنذار، ولكن الداي رفض، فأمر ملك فرنسا شارل العاشر من الضابط كولي Colet الحصار البحري على مدينة الجزائر ابتداءً من 16 جوان 1827 م. ومن ذلك اليوم شرعت فرنسا في اعداد مشروع الحملة. وأعدت عدة مشاريع من طرف جنرالات ونواب، ولكن في نهاية الأمر اتبعوا خطة بوتان، وأثناء هذه المدة قامت قوات الداي بتخريب المراكز التجارية الفرنسية الموجودة

بعنابة والقل. وبقي الحصار مستمراً و بعثت فرنسا عدة وفود لغرض استئناف المفاوضات، لكن إصرار فرنسا على مطالبها بإرغام الداي على الاعتذار و دفع تعويضات أدى إلى فشلها. وفي عام 1829 م أعد رئيس الوزراء الفرنسي بولينياك Polignac مشروعا جديداً لحل النزاع يتضمن تدعيم فرنسا للرئيس المصري محمد علي لغزو طرابلس وتونس والجزائر، فقبل محمد علي المهمة على شرط أن يتحمل مسؤوليات العملية وحده و أن ينحصر دور فرنسا في التمويل فقط، ولكن في نهاية الأمر فشل لسبب وقوف وسائل الاعلام الفرنسية و جنرالات فرنسا ضد هذا المشروع الذي اعتبروه إهانة لفرنسا. هكذا يتبين لنا أن حادثة المروحة ما هي إلا سبب من عدة الأسباب تذرعت بها فرنسا لتبني عليها حجتها في احتلال الجزائر وإضفاء الشرعية لتنفيذ مخططها الاستعماري القديم و البحث عن منقذ لأزمتها السياسية الداخلية باستغلال الوضع الأمني الداخلي الجزائري الغير مستقر واستسباق انكلترا التي كانت تطمح لنفس الهدف. و الخلاصة ما هي إلا حلقة من حلقات الحروب الصليبية. وكما قال الأمير متترنش "ليس من أجل قضية مروحة نصرف 100 مليون فرنك فرنسي ونعرض 40 000 عسكري لمموت". إلا أن في الحقيقة كلفت عملية الحملة فرنسا بأقل من ذلك بكثير، بحيث بلغت 16 مليون فرنك فرنسي، واستولت بالمقابل على أموال خزينة الداي المقدرة ب 45 مليون فرنك من الذهب، وحصلت بذلك فرنسا على أكثر من ضعف نفقات حملتها على الجزائر.

الحملة ضد الجزائر

بعد مصادقة الحكومة الفرنسية برئاسة بولينياك والملك شارل العاشر يوم 30 جانفي 1830 م على مشروع الحملة ضد الجزائر، قامت السلطات الفرنسية بتهيئة الرأي العام الفرنسي و الأوروبي لتقبل أسباب الحملة لكونها انتقاما لشرف فرنسا وأوروبا المسيحية. وأيدتها معظم الدول الأوروبية، عدا انكلترا والتي منحتها ضمانات بأن الحملة محدودة الزمن وأن الفرنسيين لا يبقون في الجزائر أكثر من شهر أو شهرين. جهزت القوات الفرنسية نفسها وانطلقت من ميناء تولون يوم 16 ماي 1830 على متن 500 سفينة حربية، لكن العملية أجهضت بسبب العواصف. وفي يوم 14 جوان 1830 م على الساعة الواحدة صباحا نزلت القوات الفرنسية المكونة من 37000 عسكري من بينهم ستة عشر فيلقا بقيادة الجنرال دي بورمون de Bourmont سيدي فرج فلم تجد اي مقاومة تذكر. وكانت محملة بالمدفعية وعتاد عسكري ضخم و مؤونة تكفيهم لمدة اربعة أشهر. ومكثت هناك مدة أربعة ايام في انتظار امدادات اخرى، بينما كان الجيش الجزائري يضم 7000 عسكري و40000 متطوع قدموا من الجزائر، وقسنطينة، وهران غير منظم وبحوزتهم أسلحة محدودة يقودها صهر الداي الاغا ابراهيم.

وكان الداي حسين على علم بالحملة قبل مجيئها، لكنه لا يعرف مكان نزولها، وكان يعتقد أنها لا تتجاوز الضرب من البحر شأنها شأن الحملات الأوروبية السابقة. وبينما كان الداي يستنجد بنوابه على أقاليم قسنطينة والتيتري ووهران ويحث السكان على الجهاد، كانت الجيوش الفرنسية بسيدي فرج تحفر الخنادق لحماية معسكرها، وبدلا من أن يبادر الداي في الهجوم فورا على الفرنسيين، أقام لهم معسكرا بسطوالي على بعد خمس كيلومترات من سيدي فرج. وفي مساء يوم 18 جوان 1830 م هاجم الجزائريون والأتراك الجيش الفرنسي وكبدوه خسائر كبيرة ووصلوا الى تحصيناتهم، إلا أن رد الفعل الفرنسي لم يدم طويلا بعد أن تحصلت على تدعيمات قوية اجتاحت بها معسكر الجزائريين بسطوالي و فقدت خلالها 57 مقاتلا فرنسيا و473 جريحا، لكنها هزمت قوات الداي رغم الشجاعة الكبيرة التي أظهرتها في المعركة. و واصلت قوات دي بورمون في الزحف على الجزائر العاصمة تبعا للخطة التي رسمها الجاسوس بوتين Boutin سنة 1808 م في عهد الامبراطور نابوليون معا يبرهن أن عملية الاحتلال كانت مبرمجة في عهده. و في يوم 24 جوان استولت على سيدي خالف وأثناء هذه المعارك عزل الداي الأغا ابراهيم

وولي قيادة الجيش الجزائري الباي مصطفى بومزراق، ولكن رغم شجاعة الجيش لم يجد نفعا. وفي 4 جويلية سقط حصن الامبراطور والمعروف ببرج الطاوس في يد الفرنسيين بعد اربعة ايام من المعارك، وهو اكبر مركز دفاعي للأتراك. وعندما يئس الأتراك من ايقاف الهجوم الفرنسي على الحصن اضرموا النار في خزينة الذخيرة وفجر الحصن. وعشية هذا اليوم ذهب مندوب الداي بومزراق رفقة قنصل انكلترا إلى المعسكر الفرنسي لغرض التفاوض. وقدم له الجنرال دي بورمون شروط الصلح، ووقع الداي حسين على معاهدة الاستسلام بجنان الرايس يوم 5 جويلية 1830 م. ونصت بنود المعاهدة على ما يلي :

- يسلم حصن القصبة، وسائر الحصون الأخرى التابعة للجزائر وميناء هذه المدينة إلى الجيش الفرنسي صبيحة يوم 5 جويلية 1830 م على الساعة العاشرة

- يتعهد القائد العام للجيش الفرنسي تجاه صاحب السمو داي الجزائر، بان يترك له حريته و حيازة كل ثرواته الشخصية.

- للداي حسين كامل الحرية في اختيار المكان الذي يرغب السفر إليه رفقة عائلته وأمواله، و يكون تحت حماية القائد العام الفرنسي طوال اقامته في الجزائر، وسيتولى حرس ضمان أمنه الشخصي و أمن اسرته.

- يتمتع الجنود الأتراك التابعين للجيش الجزائري بالحقوق المقررة في الفقرات السابقة.

- ستبقى ممارسة الشعائر الدينية الاسلامية حرة، ولا يقع اي مساس بحرية السكان من مختلف الطبقات، ولا بدينهم، ولا بأملاكهم، ولا بتجارتهم وصناعتهم وستكون نساؤهم محل احترام، ويتعهد القائد العام الفرنسي بذلك عهد الشرف.

وسيتم تبادل هذه المعاهدة قبل الساعة العاشرة، وستدخل الجيوش الفرنسية عقب ذلك حالا إلى القصبة، ثم تدخل بالتتابع كل حصون المدينة البحرية.

وخصت هذه المعاهدة الموقعة بين الداي حسين والكونت دي بورمون مدينة الجزائر، مع أن الداي كان حاكما على الجزائر كلها.

وفي يوم 7 جويلية أمر الداي بإجلاء مدينة القصبة، ورحل عن الجزائر رفقة حاشيته إلى مدينة نابولي بإيطاليا. فأصاب سكان الجزائر العاصمة الرعب وفر منها حوالي 10000 من سكانها.

ودخلت القوات الفرنسية مدينة الجزائر، ووزع أول بيان فرنسي مكتوب باللغة العربية على الجزائريين يحثهم فيه على أن مجيئ الفرنسيين إلى الجزائر تسبب فيه الداي باقدامه على إهانة قنصل فرنسا، وتعدكم بأن لا يتعرض لكم أحد في أمور دينكم وعبادتكم ولا نسعى للاستيلاء على أموالكم وخراب بلادكم وأننا جئنا لنطرد الأتراك الذين طغوا عليكم الخ. وأعلن الجنرال دي بورمون لسكانها: "أنكم أنتم الذين ستتولون ادارة أموركم، ورغم التعهد الفرنسي لسكان الجزائر باحترام شعائرهم الدينية وممتلكاتهم، إلا أنها نكثت هذه العهود واستولت على خزينة الدولة ونهبت الأموال العامة والخاصة، وحولت المساجد إلى كنائس، اضافة إلى الاعتداءات على المواطنين والأعراض . وظن سكان الجزائر في بداية الأمر أن عملية الاحتلال مؤقتة، وهذا ما صرح به رئيس الوزراء الفرنسي بولينياك، ولكن الاجراءات التي اتخذتها السلطات الفرنسية من نفي للعائلات التركية وتشكيل لجنة حكومية فرنسية تتكفل بإدارة الجزائر، ومجلس بلدي مختلط برئاسة الجزائري أحمد بوضربة، واصدار قوانين وأوامر باسم مالك فرنسا أيقنتهم بأن هذا الاحتلال دائم، واعتقد الفرنسيون بأنهم سيستقبلون كمحررين وأن احتلال بقية الوطن سيتم بدون مقاومة و هذا ما صرح به الجنرال دي بورمون بعد دخوله مدينة الجزائر قائلا : "إن كل أنحاء المملكة الجزائرية ستخضع لنا خلال خمسة عشر يوما دون أية طلقة نارية". ولهذا قام هذا الأخير رفقة جنوده يوم 24 جويلية 1830 بجولة إلى منطقة البليدة ليكتسب محبة المواطنين ويختبر رد فعلهم، وتظاهر سكانها باستقباله استقبالا حسنا، وفجأة عندما كانوا يستعدون للعودة خرج الجزائريون من الجبال المشرفة على المدينة وانقضوا عليهم واشتبكوا معهم، ولو لم يصطحب معه دي بورمون قواته العسكرية لحمايته لكان سيندم. وكان هذا الحدث منطلقا للمقاومة العنيفة التي عرفتها أرض الجزائر طيلة الاحتلال وقادتها قوافل من الشهداء أمثال الحاج أحمد باي، والأمير عبد القادر، وبومعزة، وبوبغلة، ولا لا فاطمة نسومر، والمقراني والشيخ الحداد، وبوعمامة، وثورة الزعاطشة، والأغواط، وأولاد سيدي الشيخ، والصحراء، ونهاية بثورة أول نوفمبر الخالدة عام 1954 م.

هذا، ولم يتمكن المستعمر الفرنسي من احتلال كامل التراب الجزائري إلا بعد حوالي أربعين سنة من الكفاح 1830 م 1870م، وبدأ أول الأمر باحتلال المدن الساحلية، مثل بجاية ووهران ومستغانم وعنابة، ومنها زحف على المدن الداخلية، وارتكب خلالها أبشع الجرائم ضد الشعب الجزائري، ولا يمكننا هنا سرد كل هذه

الجرائم والمجازر، وأفضل شهادة على ذلك هي الوقائع التي سجلها الضباط والجنود والمؤرخون الفرنسيون أنفسهم. وهذه احدى شهادات الجنود :

"بلدة بني مناصر جميلة، وهي إحدى أغنى المناطق التي رأيتها في إفريقيا، قراها ومساكنها تقترب فيما بينها، ولكن حرقنا ودمرنا كل شيئ وجد فيها، كم من امرأة وطفل التجأوا إلى ثلوج جبال الأطلس وماتوا من البرد والبؤس، ولم يقتل ولو خمسة من الجنود الفرنسيين". (منطقة شرشال أبريل 1842).

وهذا اعتراف الجنرال روفيغو Rovigo سنة 1832 م بعد عودته من هجوم على قبيلة العوفية وهي نائمة حيث أبيدت بكاملها فبلغ عدد قتلاها 12000 شخصا، فقال "كان جنودنا ممتطين ظهور الخيل يحملون الرؤوس البشرية على نصال سيوفهم، أما حيواناتهم فقد بيعت إلى القنصلية الدنمركية، وأما أجزاء الأجسام الأخرى والملطخة بالدماء فقد أقيم منها معرض في باب عزون، وكان الناس يتفرجون على حلي النساء ثابتة في سواعدهن المقطوعة وآذانهن المبتورة ".

"في سنة 1845 م في ظرف عام وفي ثلاث جهات من الجزائر قام ثلاثة ضباط فرنسيين، وهم الكولونيل كافينياك Cavaignac، بيليسي Pélissier وسانت آرنو Saint-Arnaud بمهاجمة ثلاثة مغارات التجأت اليها ثلاث قبائل برجالهم ونسائهم وأطفالهم ومواشيهم، وأمروا بتفجيرها واشعال النار في مدخلها، ومات المحاصرون فيها اختناقا، لسبب رفضهم الاستسلام، وأدت عملية بيليسي لوحدها إلى مقتل أكثر من 800 شهيد برين من قبيلة أولاد الرياح بالظهرة".

ولنعلم أن عدد سكان الجزائر كان يبلغ سنة 1830 م حسب المصادر الفرنسية 3 ملايين نسمة، بينما نص حمدان خوجة الذي تولى هو وأبوه وعمه مناصب عليا في إدارة الداي في كتابه "المرآة" بأن احصاء سكان الجزائر بلغ 10 ملايين، وتقلص هذا العدد بسبب مجاعة سنتي 1867 م- 1868 م نتيجة اتباع سياسة الأرض المحروقة والمقاومات الشعبية إلى أقل من ذلك بكثير، مما يدل على أن عملية الابادة الجماعية كانت أكثر وحشية.

السياسة الاستعمارية

مصادرة الأراضي الفلاحية وتشجيع الاستيطان

ولم يتوقف الاستعمار الفرنسي إلى هذا الحد، بل واصل سياسته الجائرة تجاه الجزائريين بتفقيرهم ومصادرة أخصب أراضيهم الفلاحية عنوة أو بواسطة قوانين ومنحها للمعمرين الأوروبيين من مغامرين متشردين فرنسيين وإسبان وإيطاليين ومالطيين، وأصبح الجزائريون خمّاسين عندهم غرباء في بلادهم لا يتمتعون بأبسط الحقوق. ففي سنة 1842 م منحت للأوروبيين 105000 هكتار من أخصب الأراضي الفلاحية، وقامت بمصادرة 60000 هكتار من أراضي متيجة لسبب عدم تقديم أصحابها الوثائق التي تثبت ملكيتهم لها في الوقت المناسب. وأسس الجنرال كلوزيل أحد أكبر مشجعي الاستيطان في الجزائر شركة فلاحية سمّاها "المزرعة التجريبية لافريقيا" وسمح للعسكر الاكتتاب فيها. كما استولى على الأملاك القريبة من باما علي وعلى مزرعة حوش حسن باشا القريبة من واد الحراش، والتي بلغت مساحتها 1000 هكتار. وقال للأوروبيين سنة 1835 م "لكم أن تنتشئوا من المزارع ما تشاؤون، ولكم أن تستولوا عليها في المناطق التي تحتلها، وكونوا على يقين بأننا سندعمكم بكل ما نملك من قوة، وبالصبر والمثابرة سوف يعيش هنا شعب جديد وسوف يكبر ويزيد بأسرع مما كبر وزاد الشعب الذي عبر المحيط الأطلسي واستقر في أمريكا منذ بضعة قرون". وفي هذا الصدد دائما أعلن الجنرال بيجو من منبر البرلمان الفرنسي يوم 14 ماي 1840 م قائلاً "حيثما وجدت مياه صالحة وأراضي خصبة، يحق للأوروبيين الاقامة فيها دون البحث عن مالكها. وبما أن الجزائريين سوف يدافعون عن أراضيهم بكل قوة ولن يتخلوا عنها بسهولة للمستوطنين الأوروبيين، يجب أن ندفعهم بالقوة إلى الصحراء، وهناك اما الا يستطيعوا العيش، وعندئذ سوف يرجعون خاضعين ليكونوا خدما يعملون بثمن بخس عند الأوروبيين وإما أن يبقوا هناك وعندئذ نستطيع أن نمكن المعمرين من الأرض بكل حرية". وطبقا لهذه السياسة سلكت فرنسا نفس الأسلوب الذي طبق على أراضي الهنود الحمر في قارة أمريكا فاستولى الاستعمار على أملاك الأوقاف والبيلك وضمتها الى أملاك فرنسا سنة 1843 م. وسمح قانون ورني Warnier لعام 1873 م بتفتيت أراضي العرش (ملك للقبيلة) المقدرة ب 450832 هكتار وتوزيعها على الأفراد، ثم اجبارهم بعد ذلك على بيعها للمعمرين الاوروبيين. واستفادت Société Genevoise على 2000 هكتار في مدينة سطيف و 1200 هكتار في سهل

لشلف. إلى جانب هذا استولى الاستعمار على اراضي القبائل التي حاربت الاحتلال، وأراضي البور، والغابات والمراعي، ولم يحصل عام 1900 م حتى وصلت جملة الأراضي التي صودرت من الجزائريين الى 2250000 هكتارا من أجود الأراضي الزراعية و صار معدل ما يملكه كل فلاح اوروبي من الأراضي الزراعية 08: هكتارات في مقابل 14 هكتارا لكل فلاح جزائري. اما اغلبية المزارعين الأخرين من الجزائريين فأبعدوا إلى الأراضي القاحلة والمناطق الجبلية في الشمال ومناطق الجنوب الصحراوي، وباختصار أصبحت الجزائر ملكية لهم يفعلون فيها ما يشاؤون. وأدت هذه الاجراءات التعسفية إلى تفقير وتدهور الحياة الاقتصادية للجزائريين، فأصبح الشعب الجزائري كما وصفه فرحات عباس في كتابه "ليل الاستعمار الفرنسي" يتخبط وسط مجاعة يعجز القلم عن وصفها، مما دفع البعض منهم إلى الهجرة نحو فرنسا لكسب قوته.

كما شجعت فرنسا لفرض إحكام سيطرتها على البلاد والاستقرار نهائيا في الجزائر، الأوروبيين من مختلف الجنسيات على الاستيطان في المناطق المحتلة وفسحت لهم المجال لكي يستحوذوا على ثروات البلاد، ولجلبهم عرضت عليهم عدة امتيازات كدفع تكاليف السفر وتعويضات الإقامة وتوزيع الأراضي الفلاحية مجانا وانشاء مساكن لهم و مدهم بالحبوب والمواشي في السنوات الأولى حتى يصبحوا قادرين على استغلال أراضيهم بأنفسهم وحق التجنس بالجنسية الفرنسية للأجانب مع الاحتفاظ بجنسيتهم الأصلية. وأدت هذه السياسة إلى إغراق الجزائر بالمهاجرين الأوروبيين. وأنشأت أول مستوطنة أوروبية بمنطقة بوفاريك سنة 1836 م وارتفع عددها من سنة لأخرى بحسب عدد الوافدين، ففي سنة 1866 م توافد على الجزائر 217990 أوروبي (122119 من الفرنسيين، و 58510 من الاسبان، و16655 من الايطاليين، و10627 من المالطيين والانجليز، والباقي من الألمان والسويسريين) . وفي سنة 1886 وصل إلى الجزائر 160000 اسباني أقام معظمهم في مدينة وهران و35000 ايطالي توزعوا على مدن عنابة وقسنطينة و 15553 مالطي منهم من استفاد من أراضي فلاحية والباقي استقر بالمدن. وبلغ عددهم سنتي 1830 م- 1850 م 63.497 أوروبيا ليصبح سن عام 1921 - 1929 : 657.641 مستوطنا.

وأدت هذه السياسة إلى مجاعة سنتي 1867 م 1868 م نتيجة سياسة الأرض المحروقة والجفاف واجتياح الجراد الذي هلك الزرع والخضر والفواكه وتسبب في انتشار الأمراض كالكوليرا والتوفيس، وتاليها موت المواشي من بقر وغنم وبهائم

حتى انحدر سعر الأغنام في بعض المناطق إلى فرنك واحد. وبالمقابل ارتفعت سعر المأكولات والمشروبات. وهكذا بقي الجزائريون من غير موارد واضطروا إلى أكل الحشيش ولحم القطط والكلاب واضطر الكثير منهم إلى النبش عن الموتى في القبور لأكل لحومهم. أما المعمرون الأوروبيون فكانوا في مأمن من هذا البلاء، وعوض أن يقدموا لهم يد المساعدة الانسانية طلبوا السلطات الفرنسية بابعادهم من مزابل مساكنهم حيث كانوا يبحثون على بقايا الأطعمة. ومست هذه المجاعة أغلب مناطق البلاد وعلى الأخص مدينة قسنطينة والهضاب العليا وكانت نتيجتها وفاة حوالي 500000 جزائري.

جدول تطور الاستيطان (والمساحات بالهكتارات الموزعة على المستوطنين)

من سنة 1830 م إلى غاية 1929 م

الفترة	المستوطنات	المساحة بالهكتارات	المستوطنون
1830 1850	150	427 604 -	63.497
1851 1860	91	184.255	103.322
1861 1870	23	73.211	129 898
1871 1880	207	233 369	195 418
1881 1890	89	161.661	267.672
1891 1900	80	99.353	364.257
1901 1920	217	248.289	633.149
1921 1929	71	70.418	657.641
المجموع	928		1.498.323

السكان الفرنسيون : 657.641

السكان الأجانب : 833.359 = 175.718 أوروبيا

Ministère de la guerre

Division des affaires d'Algérie

2ème Bureau , administration et comptabilité

NOTE

Sur les Concession rurales à titre granit et la formation des villages en Algérie

Les personnes qui désirent s'y établir en Algérie, comme colons-concessionnaires, dans les centres de populations et villages agricoles que le gouvernement y fonde, doivent s'adresser au Ministre de la Guerre, soit directement, soit par l'entremise des préfets, ce qui vaut mieux.

A la demande doivent être annexés des certificats authentiques constatant la moralité des pétitionnaires, leur profession, leur âge, le nombre et l'âge de leurs enfants, la quotité des ressources pécuniaires dont ils pourraient disposer à leur arrivée en Algérie.

Cette quotité des ressources n'est pas limitée : elles doivent être proportionnée à la composition de la famille , et suffire aux dépenses de premier établissement et d'entretien , en attendant la première récolte. Pour une famille peu nombreuse, il faut au moins 1, 200 à 1, 500 franc au moment de la prise de possession

Si les demandes sont jugées admissibles, le Directeur de l'interieur à Alger, à qui elles sont transmises, comprend les pétitionnaires parmi les concessionnaires d'un village , et il leur réserve des lots.

Il est alors délivré aux concessionnaires, par le département de la guerre, un permis de passage gratuit

de Marseille ou de Toulon à Alger, pour lui, sa famille et les personnes qu'il veut associer à son entreprise. On ne saurait trop recommander aux colons de se munir de cette autorisation avant de se rendre au port d'embarquement, afin d'éviter des retards ou des frais de traversée. A son arrivée dans la Colonie, le concessionnaire est mis immédiatement en possession, par les soins du Directeur de l'intérieur, d'un lot à bâtir dans le village qui lui est assigné, et d'un lot à cultiver. Le premier est assez étendu pour recevoir une maison, des écuries, une cour. Le lot à cultiver est de 4 à 12 hectares, selon les ressources du colon et le nombre des membres de sa famille. Ce n'est que par exception, et en faveur de colons justifiant de moyens d'action considérable, que des concessions plus étendues peuvent être accordées par arrêté spécial, et sauf approbation du Ministre. Le concessionnaire trouve un abri provisoire sous des baraques que l'administration fait élever, en attendant que les nouveaux habitants puissent se construire des maisons. Il est de plus aidé dans l'établissement définitif de son habitation, quand il est reconnu qu'il ne dispose pas de ressources pécuniaires suffisantes, par des secours en matériaux à bâtir pouvant s'élever de 3 à 600 francs. Pour la culture de ses terres, il peut lui être prêté temporairement des bêtes de labour. Des semences et des instruments aratoires peuvent aussi être mis à sa disposition, tantôt à titre de don gratuit, tantôt à charge de remboursement. Il participe, enfin, à des distribution de plantes et de graines provenant des pépinières de la colonie. Aussitôt qu'il est établi sur son lot, il lui est délivré, par la Direction de l'intérieur, un titre provisoire de concession, sur lequel sont mentionnées les conditions de bâtir et de cultiver qui doivent être accomplies. Quand le colon a satisfait aux clauses et obligations portées au titre provisoire, ce qui est constaté par procès verbal de reconnaissance, le titre provisoire est changé en titre définitif, lequel le constitue propriétaire incommutable, dans les limites et les termes de l'article 544 du code civil. Les concessions rurales, comprises dans le périmetre des villages en cours d'établissement, sont faites à titre gratuit. Elles donneront lieu à une redevance légère après cinq

années écoulées. Jusqu'à présent, les terres de toute nature appartenant aux Européens, ou exploitées par eux en Algérie, ont été exemptes de tout impôt foncier. Les villages sont placés dans des positions d'une salubrité reconnues et pourvues d'eau. Ils sont entourés d'enceintes défensives, protégés par des brigades de gendarmerie et les camps. Les habitants sont armés et organisés en milices. Des églises, des oratoires et des écoles sont répartis sur le territoire colonisé, selon les besoins des populations. Les centres de colonisation sont reliés entre eux et aux villes par des chemins qui assurent l'arrivée des matériaux, l'écoulement des produits , les échanges et les communications de toutes natures. Des tournées médicales intérieurs à des intervalles rapprochés, dans les divers villages.

www.books4all.net

محاربة العقيدة
و الثقافة الجزائرية

هذا، بالاضافة إلى الاجراءات المتخذة من السلطات الفرنسية لمحو الشخصية الجزائرية وتجهيل شعبها ومحاولة تنصيره. ولبلوغ هذا الهدف عملت فرنسا منذ آن وضعت أقدامها على التراب الجزائري بمحاربة والاستيلاء على الأوقاف الاسلامية باعتبارها الراعي والممون الرئيسي للنشاطات الدينية والتعليمية وفي نفس الوقت تشكل عائقاً كبيراً في وجه المخطط الاستعماري. وهذا ما دفع أحد الكتاب الفرنسيين إلى القول "بأن الأوقاف تتعارض والسياسة الاستعمارية، وتتنافى مع المبادئ الاقتصادية التي يقوم عليها الوجود الاستعماري الفرنسي في الجزائر". ولهذا الغرض أصدرت الحكومة الفرنسية عدة قرارات ومراسيم تهدف تدريجيا لتصفية أملاك الأحباس من مساجد ومساكن ومعاهد وبساتين ومطاحن وفنادق وأراضي شاسعة في مختلف مناطق الجزائر وادخالها في نطاق التعامل التجاري كي يسهل للأوروبيين امتلاكها، ففي 8 سبتمبر 1830 م أصدرت السلطات الفرنسية مرسوم يحدد ملكية الدولة سمح لها بالاستيلاء على أملاك الأتراك، وفي 7 ديسمبر من نفس السنة أصدر الجنرال كلوزال قراراً آخر يبيح بانتقال الأحباس إلى المعمرين الأوروبيين، ثم ظهر قرار 30 أكتوبر 1858 م أدخلت بموجبه أملاك الأوقاف في مجال التبادل التجاري. وأخيرا جاء قانون 1873 م صودرت بموجبه نهائيا كل أملاك الأوقاف. ونتيجة لهذا التصرف الاستعماري أغلقت السلطات الفرنسية سنة 1830 في مدينة الجزائر 13 مسجدا كبيرا و108 صغيرا و 32 جامعا و 12 زاوية وتم تحويل العديد من المساجد إلى اسطبل ومستودعات ومستشفيات عسكرية وكنائس ومن بينهم مسجد كتشاوة المشهور الذي حوله الجنرال دي روفيغو سنة 1832 إلى كنيسة، فنصب الصليب وعلم فرنسا على الصومعة بمباركة البابا غريغوار رغم معارضة المفتين والسكان الذين سقط العديد منهم قتلى دفاعا عن المسجد. وهكذا أصبحت أملاك الأوقاف الاسلامية تخدم العمليات التبشيرية المسيحية التي ارتبطت بالاحتلال منذ الوهلة الأولى، ففي سنة 1835 م استقر بالجزائر العاصمة أخوات القديس يوسف ومن بعدهم الراهبات الثالوثيات والجزويت وشرعن في عملهم التبشيري إلى غاية 25 أوت 1938 حيث أسست أسقفية الجزائر وتزايد عدد رجال الدين بتزايد عدد المستوطنين الأوروبيين. فاستقروا في مدن الشرق والغرب الجزائري وأنشأوا سنة 1842 دارا

اليتامى ببن عكنون وفتحوا بوهران وقسنطينه وعنابة دارا للرحمة وورشات للصناعات التقليدية وفتح مدارس للأيتام وعلاج المرضى وتشييد الكنائس بتدعيم من السلطات الفرنسية وعلى رأسهم الجنرال بيجو. وهذا العمل كله يدخل في اطار السياسة الاستعمارية الهادفة إلى محو الشخصية الجزائرية. فبعد أن احتلوا الجزائر ماديا أرادوا أن يقضوا عليها روحيا، وكما قال المؤرخ الفرنسي غوتي "حاولت فرنسا في الجزائر أن تجعل من أرض شرقية أرضا غربية". واستعمل في هذه الفترة أي ابتداءً من 1838 رجال الدين وعلى رأسهم الأسقف دوبوش Dupuch كل الوسائل الممكنة لتنصير المسلمين بالقوة أو بالرشوة. ولم تتوقف السلطات الفرنسية عند هذا الحد بل تعاونت مع رجال التبشير في محاولة لتنصير الجزائريين وإخراجهم من دينهم الاسلامي. ولتحقيق هذا الغرض أسر الجنرال بيجو مائتين وخمسين طفلا من اليتامى وسلمهم إلى أحدالقساوس طالبا منه تنصيرهم وقال له "حاول يا أبي أن تجعلهم مسيحيين، واذا فعلت فلن يعودوا إلى دينهم ليطلقوا علينا النار". وتدعيما لهذا المنهج بعث البابا يوم 12 جانفي 1867 م الكاردينال لافيجري Lavigerie إلى الجزائر لمهمة تنفيذ سياسة تنصير واسعة النطاق حددها بقوله "علينا أن نجعل من الجزائر مهدا لدولة مسيحية تضاء أرجاؤها بنور منبع وحيها الانجيل تلك هي رسالتنا". وفي مناسبة أخرى ذكر"إن ادخال الأهالي للديانة المسيحية واجب مقدس فأول ما يجب عمله معهم هو الحيلولة بينهم والقرآن، وينبغي علينا أن نهتم بالصبيان فندخل في عقولهم تعاليم جديدة ألا وهي تعاليم الانجيل، بعد ذلك يمكن أن ندخله في حياتنا، أو نطرده إلى الصحراء بعيدا عن العالم المتحضر". وتطبيقا لهذا المنهج أقام عدة مراكز ودور للأيتام الجزائريين وأسس جماعة الأباء البيض فاستغل لافيجري المجاعة التي حلت بالجزائريين سنتي 1867 م- 1868 م وجمع حوالي 1752 طفلا تتراوح أعمارهم بين الثامنة والعاشرة ووضعهم في مراكز لتنصيرهم ومنعهم من رؤية ذويهم واستردادهم لأهلهم. ولتسهيل هذه الدعوة قامت فرنسا بمحاربة مقومات الشخصية الجزائرية وعلى رأسها الدين الاسلامي واللغة العربية وتشويه تاريخها في الإدارات والمحاكم والمعاهد التعليمية، لكن الشعب الجزائري لم يرتد لا على ثقافته ولا على دينه وذلك ما أثبتته الأحداث. فهي محاولة من القساوسة لتنصير بعض القرى في منطقة القبائل الجزائرية رد سكانها إلى الضابط الفرنسي قائلين "اننا لن نتخلى أبدا عن ديننا، وإذا كانت الحكومة تريد ارغامنا على ذلك، فنحن نطلب منها الوسيلة لمغادرة البلاد. وإذا لم تجد هذه الوسيلة فنحن نفضل الموت على التخلي عن ديننا". وذهبت جهود فرنسا والقساوسة في أدراج الرياح، وهذا ما

يشهد عليه أحد الكتاب الأوروبيين الدكتور غوستاف لوبون في كتابه "روح السياسة" حيث ذكر واقعة تدل على فشل أعمال المبشرين وهي "أن الكاردينال لافيجري جمع أربعة الاف طفل يتيم جزائري، وقام بتربيتهم تربية مسيحية ولكن معظمهم رجع إلى الاسلام بعد أن بلغوا سن الرشد" أما في ميدان التعليم فحدث ولا حرج. فسلكت فرنسا سياسة اقصاء اتجاه أبناء الجزائر تعتمد على التجهيل والأمية حتى يمكنها أن تحكم سيطرتها التامة عليهم ولم تسمح لهم بالتعليم الا في حدود ضيقة للغاية. فقد قضى الاستعمار على معظم المعاهد الاسلامية والمكتبات التي كانت موجودة في العهد التركي وحولوها بالمدارس الفرنسية، وجراء ذلك بلغت نسبة الأمية بين الجزائريين 99 % بين النساء و95 % بين الرجال. فقد بلغ سنة 1850 م عدد التلاميذ الجزائريين المتمدرسين في المدارس الابتدائية الفرنسية 642 تلميذا، ووصل عددهم سنة 1870 م الى 13000 تلميذا، ثم تقلص بعد ذلك لسبب غلق المدارس الاسلامية ليصل سنة 1880 م إلى 3172 تلميذا، في حين وصل سنة 1870م عدد التلاميذ الأوروبيين المتمدرسين إلى 44326 تلميذا ذكورا واناثا. وفي عام 1914 بلغ عدد التلاميذ الجزائريين المتمدرسين 42263 بنسبة 5 % من جملة عدد الأطفال الذين هم في سن الدراسة الذين يقدرون بـ 850000 طفلا. أما التعليم الثانوي فلم يتجاوز عدد الجزائريين المسجلين فيه قبل عام 1914 سوى 150 طالبا، بينما لم يتحصل خلال هذه السنة إلا 12 جزائريا على شهادة الليسانس في الجامعة. وبقيت مصلحة التعليم من اختصاص وزارة الحرب تحت اشراف الوالي العام إلى غاية سنة 1948 م حيث صدر قرار بربط مصلحة التعليم بوزارة التربية انشأت بموجبه أكاديمية الجزائر، بينما بقيت المعاهد الإسلامية تحت سلطة الوزارة الحربية. وسلكت فرنسا في تعليمها للجزائريين منهج الفرنسة وتشويه تاريخ الجزائر حتى تتمكن تدريجيا أولا من إحلال اللغة الفرنسية محل اللغة العربية وثانيا القضاء على تراثها العربي الاسلامي. ورغم هذا فإن معظم الجزائريين الذين سجلوا في المدارس الفرنسية لم يتجاوزوا مرحلة التعليم الابتدائي، وليس معنى هذا نقص في ذكائهم ولكن رغبة من فرنسا في تجهيلهم ليسهل عليها استعمارهم. وهذا ما كان يطالب به المعمرون الأوروبيون، وهو أن تكون لهم السلطات الفرنسية جيلاً من البنائين والاسكافيين والخماسين لخدمتهم وتسهيل السيطرة عليهم، لأنهم كانوا يعتبرون الأهالي من جنس بشاري منحط لا يصلح إلا للأعمال الشاقة، ولا يستحقون لا الاذلال والقهر. ولم تتح الفرص لمواصلة التعليم الثانوي والعالي إلا لبعض المحظوظين من أبناء الأعوات والباشاغات الذين خدموا فرنسا باخلاص في الجيش والادارة ضد مصلحة شعبهم ووطنهم، ومع هذا كانت تهدف من تعليمهم

تكوين نخبة جزائرية صغيرة تكونا فرنسيا نظرا لحاجة الاستعمار لها ومنذ حرمت فرنسا أجيالاً عديدة منذ دخولها وإلى غاية يوم الاستقلال من التعليم في المدارس.

وفي اطار فرنسة الجزائر لم تنج حتى مدنها وقراها. فأصدروا عام 1882 م قرارا يقضي بتسمية الشوارع والساحات الجزائرية بأسماء حكام ومثقفي وجنرالات فرنسا، مثل فيكتور هيقو وفولتير وروفيقو وباستور وديكارت ومنتسكيو ودي بورمون الخ وأنشأوا الحالة المدنية التي أدت إلى فرض بطاقة تعريف فقاموا بتشويه الشخصية الجزائرية بمنح الأسر الجزائرية اسماء رغما عنهم. كانت في بعض الأحيان مهينة ومضحكة أدت إلى اختلاف الأسماء ضمن عائلة واحدة، ولاقبال سيطرتها على البلاد أشعلت نار الفتن والفرقي بدعوى أن الجزائر يسكنها عنصران من الأجناس عرب وبربر وذلك ما فعلته أثناء انتخابات المجالس في اطار سياسة فرق تسد.

www.books4all.net

النظام الاستعماري

بمجرد دخول الفرنسيين إلى أرض الجزائر أصدروا مجموعة من القوانين الجائرة تهدف كلها إلى التمييز العنصري والسيطرة على الشعب الجزائري. ففي يوم 22 جويلية 1834 م أصدرت المملكة الفرنسية مرسوما ضمت بموجبه الجزائر إلى فرنسا، وأصبحت تسير بواسطة الأوامر الملكية وعينت عليها حاكما عاما عسكريا يديرها. ولتسهيل السيطرة على العباد والبلاد أنشأوا سنة 1844 م المكاتب العربية، وهي عبارة عن همزة وصل بين الجنس الأوروبي والأهالي تهدف إلى استتباب الأمن وحماية المصالح الفرنسية، يسيرها ضباط فرنسيون ذو سلطة مطلقة مكلفين بالشؤون الحربية والأمن والعدالة والضرائب ومصادرة الأراضي ومراقبة تحركات سكان البوادي، ويعينهم في مهامهم بعض الجزائريون من القياد والأغوات والباشاغات كجواسيس يتمتعون بامتيازات متعددة منها الاعفاء من الضرائب وأجرة شهرية ثابتة، وقد عانى الشعب الجزائري الكثير من تعسف هذه المكاتب وأعوانهم العرب للظلم الذي لحق بهم وللضريبة الجائرة المفروضة عليهم. وطبقا للدستور الفرنسي المصادق عليه عام 1848 م أصبحت الجزائر رسميا بموجب المادة 109 منه مقاطعة من المقاطعات الفرنسية، وقسم شماله إلى ثلاث عمالات وهي: الجزائر، وهران، قسنطينة، أما الصحراء فخضعت للقوانين العسكرية، وقسمت كل ولاية إلى نوعين من البلديات: البلديات المختلطة، وهي التي تضم أغلبية جزائرية وأقلية أوروبية يحكمها اداري فرنسي بمساعدة لجنة بلدية متكونة من الأوروبيين وبعض الأعوان الأندجان يخضع فيها الأوروبيون للقوانين الفرنسية والجزائريون للقانون العسكري، وكان رئيس البلدية يتمتع بسلطات مطلقة يحق له ادانة أي جزائري بدون تهمة، ولم يهتم مطلقا بتحسين المستوى المعيشي للجزائريين بل بالعكس كان بالنسبة لهم أداة قمع واضطهاد، وهمه الوحيد خدمة مصالح المستوطنين الأوروبيين، وبالمقابل أسست بلديات أوروبية يسكنها المعمرون الأوروبيون وتخضع للنظم والقوانين المطبقة في فرنسا. وعند زيارة الامبراطور الفرنسي نابليون الثالث عام 1860 م للجزائر لاحظ بنفسه المأساة التي لحقت بالشعب الجزائري وأعلن "أن المسألة الجزائرية خرجت عن السياسة المسطرة لها من يوم أن سميت مستعمرة". وأعلن "أن الجزائر ليست مستعمرة بمعنى الكلمة وإنما مملكة عربية" ورغم محاولته لاصلاح أحوال الأهالي، إلا أن سياسته لم تطبق في أرض الواقع. وبمناسبة زيارته للمرة الثانية للجزائر في شهر ماي 1865 م قال للأهالي"

بأن فرنسا لم تأت للقضاء على جنسية شعب ولكن أرغب في تحسين مستواكم المعيشي و مشاركتكم في الحياة السياسية لبلدكم". وبأمر منه صدر يوم 14 جويلية 1865 م قانون سيناتوس كنسيلت Senatus Consulte، والذي سمح بموجبه للجزائريين الحصول على الجنسية الفرنسية مع الاحتفاظ بأحوالهم الشخصية. كما مكن للأنديجان التمتع بالموطنة الفرنسية بطلب التجنس. وفي هذه الحالة يطبق عليه القوانين المدنية والسياسية الفرنسية. وكان الغرض من هذا القانون ادماج الشعب الجزائري في المجتمع الفرنسي. فمن الجزائريين وهم أقلية طلبوا الجنسية الفرنسية فأصبحوا مواطنين فرنسيين والاغلبية الساحقة رفضوا التجنس واعتبروا هذا القانون تخلي عن دين الاسلام و عقد على الشخصية الجزائرية. ولكن بعجرد سقوط حكم الامبراطور بفرنسا عادت اوضاع الجزائريين إلى أسوء ما كانت عليه من قبل. فأصبح الحكم في الجزائر بيد المعمرين الأوروبيين يعلون سياستهم على الحكام المدنيين وهؤلاء يسيرونها حسب مزاجهم. ولهذا أصدرت الجمهورية الفرنسية سنة 1871 م قانون الأهالي أو ما يسمى بقانون الأنديجينا، وتم تدعيمه في عهد الرئيس جول فيري Jules Ferry يوم 28 جوان 1881 م. وهو بمثابة قانون أرقاء عنصري جعل من الجزائريين عبيداً لا يتمتعون من خلاله بأبسط الحقوق السياسية والمدنية، يخول بموجبه للسلطات الحاكمة في الولايات والبلديات توقيع العقوبات على الجزائريين ومصادرة ممتلكاتهم دون محاكمة. من أجل المحافظة على النظام الاستعماري. الغاء القضاء الاسلامي وإجبار الجزائريين على التقاضي أمام المحاكم الفرنسية، حصر الاهالي في مناطق محددة ومنعهم من أداء فريضة الحج أو جمع الخشب من الغابات أو التجول خارج الدوار دون رخصة، فرض عقوبات جماعية على المخالفات الفردية، فرض ضرائب تعسفية واضافية زيادة على ما كانوا يدفعونه، فرض غرامات فردية وجماعية. وضع أي شخص مشكوك فيه تحت الاقامة الجبرية الخ. وكان الغرض من قانون الأنديجينا هو القضاء الفوري على بذور أية مقاومة يمكن أن تخطر على بال الجزائريين ضد الوجود الاستعماري في بلادهم. ولم يلغ هذا القانون وجميع القوانين الاستثنائية المطبقة على الجزائريين إلا بالمرسوم الممضي يوم 7 مارس 1944 م من طرف الجنرال ديغول.

المقاومة الشعبية

ولم تتوقف المقاومة الشعبية بمجرد دخول الفرنسيين مدينة الجزائر، بل واصل الجزائريون تنظيم انفسهم في الشهر الاول من الاحتلال. وبينما انحصر مدينة الجزائر و عم احفاد عرب الاندلس بالمسائل السياسية مثل حمدان خوجة، تكفل بوعزراق باي التيتري بعد نقده للاتفاق الذي أبرمه مع فرنسا بالثورة المسلحة لكن مقاومته لم تدم طويلا فقبض عليه ونفي الى الاسكندرية وعين مكانه عميل جزائري مصطفى بن عمار، لكن ابنه أحمد بوعزراق واصل الحياة ضد الجيش الفرنسي والباي الجديد بن عمار، ولما أعلن الأمير عبد القادر الثوره انضم اليه رفقة قواته. أما المرابطون من سكان مدينة حجوطا والضاحية ومتيجة فكانوا في الطليعة الأولى للجهاد في سبيل الله، ومن امثلة ذلك قبيلة فليسة بسهل متيجة والتي تصدت لأول محاولة قام بها الجنرال دي بورمون اثناء زحفه الى مدينة البليدة. ومن ذلك اليوم اشتهر من بينهم شخص مسمى ابن زعمون قاد الثورة ضد الاحتلال وانضم إلى قوته ثائر باخر يدعى الحاج سيدي السعدي. ومن أهم الاعمال التي قام بها ابن زعمون مهاجمته يوم 26 نوفمبر 1830 م المعسكر الفرنسي بالبليدة وقتل على اثره 80 جنديا فرنسيا، مما ادى بالجنرال كلوزيل الى اصدار امر بسحب قواته إلى مدينة الجزائر، وبقوله للمعمرين الأوروبيين الذين بدأوا في احتلال سهول متيجة، وانتقل الخوف الى السكان الاوروبيين لمدينة الجزائر، مما أدى بالبعض في التفكير للعودة الى اوروبا. ولم تتوقف مقاومة ابن زعمون في حدود متيجة بل اصبح يناوش العدو حتى في مدينة الجزائر. وهذا ما فعله في صائفة 1831 م بمهاجمته للمراكز العسكرية الفرنسية المتمركزة بالحراش. و ثار المعركة التي دارت بينه وبين الجيش الفرنسي في موفاريك في خريف 1831 والتي أدت الى تحطيم قواته وتشتيتها، فور ابن زعمون الانسحاب الى رفيقه في الجهاد سيدي سعدي التحق بصفوف جيش الأمير عبد القادر. وهكذا بالرغم من قلة الامكانيات المادية لهؤلاء الثوار استطاعوا ان يصمدوا امام جيش فرنسي منظم وقوي. ومهدوا الطريق لثورة شعبية عارمة قادتها دولة الامير عبد القادر.

الأمير عبد القادر
1832 م - 1847 م

بعد سقوط مدينة الجزائر في يد الجيش الفرنسي بعث الجنرال كلوزيل برسائل إلى كل من باي قسنطينة ووهران. فرفض الأول الاستسلام وقاوم العدو بينما رضخ الثاني لأوامر فرنسا واستسلم له بدون مقاومة، فرحل عن الجزائر إلى المشرق. فاستولت فرنسا على المرسى الكبير يوم 13 ديسمبر 1831 م وعلى وهران يوم 4 جانفي 1832 م. وأثناء سقوط مدينة الجزائر ورحيل باي وهران حسن حدث فراغ سياسي بالغرب الجزائري، فبعث حضر سكان تلمسان برقيات إلى سلطان المغرب عبد الرحمن بن هشام يطلبون منه الحماية وبعد تردد قبلها، فأرسل في شهر نوفمبر 1830 م خليفته مولاي سليمان رفقة قوة من الجيش المغربي ليتولى حكم تلمسان. فاحتج الجنرال كلوزيل على هذا التدخل في الجزائر وهدد المملكة المغربية، إلا أن سلطان المغرب لم يأخذ تهديداته بجدية وواصل عمله وعين هذه المرة محمد بن الحمري خليفة له على تلمسان، فقام هذا الأخير بالاستيلاء على الغرب الجزائري ماعدا وهران و امتد نفوذه حتى ولاية التيتري. وهذه المرة شعر الفرنسيون بالخطر يقترب وخوفهم فبعثت له الحكومة الفرنسية مذكرة احتجاج وأرسلت إلى سواحل مدينة طنجة المغربية يوم 18 نوفمبر 1831 م سفينتين حربيتين، و تم هذا الضغط الدبلوماسي والعسكري استسلم في الأخير السلطان المغربي لأوامر الملك الفرنسي لويس فيليب وسحب قواته من التراب الجزائري. ولملء الفراغ السياسي في الغرب الجزائري بادر الجنرال كلوزيل إلى تعيين باي تونس حاكما على وهران وهذا بعد الاتصالات التي أجراها فتوصل فرنسا في تونس و تجسدت في الاتفاقية التي تمت بينهما يوم 4 فيفري 1831 م. وهذا مقابل دفع ضريبة سنوية لحكومة فرنسا. إلا أن المحاولة فشلت لأن قوات الباي كانت قليلة و وجد أمامه خزينة فارغة من الأموال فعادت قواته إلى تونس.

فالتجأ عندئذ سكان الغرب الجزائري إلى شيوخ الزوايا. وقد يجدوا أفضل من شيخ زاوية القادرية محي الدين الذي كان مشهورا بتقواه. فطلبوا منه الإمرة فرفضها وقبل الجهاد في سبيل الله والوطن وبادر رفقة ابنه عبد القادر والقبائل المدعمة له بهجومات على العدو الفرنسي المتواجد بمدينة وهران. والتقى الطرفان يوم 26 ماي 1832 م في معركة خنق النطاح انحقوا خلالها بالعدو الفرنسي هزيمة

نكراء أجبرتهم على الانسحاب، ثم هاجمهم للمرة الثانية المجاهدون الجزائريون وهذه المرة بقيادة عبد القادر، وأحدثوا في صفوفهم الرعب والموت واستولوا على العديد من أسلحتهم وذخيرتهم، مما دفع بالجنرال الفرنسي بوايي Boyer إلى الاستنجاد بالحاكم العام في مدينة الجزائر ،إلا أن قواته الاضافية لم تنقص من عزم المجاهدين و تصدوا لهم بكل شجاعة.

البيعة

ورغم الانتصارات التي أحرز عليها الجزائريون لكنهم كانوا على علم بأن المعركة لازالت طويلة، ولهذا عرضت قبائل الغرب وللمرة الثانية من الشيخ محي الدين الامارة، لكنه اعتذر لكبر سنه واقترح عليهم ابنه عبد القادر وهذا لما برهن عليه من قدرة وشجاعة في إدارة المعارك السابقة مع العدو الفرنسي، فقبل الجميع هذا الاقتراح واجتمع رؤساء قبائل الغرب الجزائري في سهل غريس يوم 27 نوفمبر 1832 م وبايعوا الشاب الأمير عبد القادر الذي كان يبلغ آنذاك 24 سنة على الطاعة والاخلاص والموت في سبيل الله والوطن، وجاء نص البيعة كالاتي : "بعد انعقاد البيعة للإمام المعظم والأمير الجليل المفخم، ابن أخينا، السيد عبد القادر محي الدين، أحيا الله بهما الدين وأعانهما على القيام بأمور أهله ... بايعناه على السمع والطاعة وامتثال الأمر ولو في الولد الواحد منا، أو نفسه، وقدمنا نفسه على أنفسنا و حقه على حقوقنا". وبمجرد مبايعته خير زوجته بين البقاء معه و قبول مسؤولياته الكبيرة و بين اختيار الحرية فالانفصال عنه.

وولد الأمير عبد القادر بن محي الدين يوم 06 سبتمبر 1808 م في قرية القيطنة بمعسكر، حفظ القرآن وأصول الشريعة والحديث والأدب وتعلم الحساب والتاريخ والجغرافيا وعلم الفلك، ثم أرسله أبوه سنة 1821 م إلى وهران ليكمل دراسته، أدى فريضة الحج مع والده سنة 1827 م، ثم زار بغداد ودمشق والقاهرة وتونس، وقد استفاد من هذه الرحلة فوائد جمة ساعدته بعد ذلك في بناء الدولة الجزائرية، وبالإضافة إلى حنكته السياسية والعسكرية فقد كان رجل علم وأدب وشعر وحكمة وكلمة وانساني، ومن مؤلفاته ديوان شعر، كتاب المواقف، المقراض الحاد لقطع لسان الطاعن في دين الإسلام من أهل الباطل والالحاد، نزهة الخاطر في ترجم الأمير عبد القادر، ذكرى العاقل وتنبيه الغافل، و توفي الأمير بمنفاه في دمشق إثر مرض يوم 26 ماي 1883 م في سن 74سنة وسار حول نعشه موكب مهيب من الجماهير وقناصل دول العالم ودفن بجوار معلمه ابن العربي. وفي يوم 5 جويلية 1966 م نقلت رفاته من دمشق ليدفن بمقبرة العالية في مربع الشهداء

بالجزائر العاصمة. وهذه أوصافه وأخلاقه كما ذكرت في كتاب أبو العيد دودو بعنوان "الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان 1970 م- 1855 م: "الأمير عبد القادر قصير القامة، نحيف الجسم، ولكنه جميل المظهر، شديد بياض البشرة، عيناه زرقاوان يخالط زرقتهما لون رمادي. وهما تشعان في جمال خاصة حين يتكلم بحيوية، وله لحية وشارب شديد السواد، غير انهما ليس كثيفين، وقد كسر نصف أحد أسنانه الأمامية، أما أسنانه الباقية فليست جميلة كما هو الحال عند أغلب العرب. صوته عميق حلو النغمة، والحماس الديني أبرز ملامح الأمير. وعلى جبينه ووجنته ويده اليمنى وشم صغير. أما ثيابه فانها في منتهى البساطة، فهي أقل جمالا من ثياب بقية الشيوخ. و يرتدي الأمير عادة حائكا ابيض وبلس فوقه برنوسا مصنوعا من شعر البعير، ومن الصعب أن يصل الإنسان إلى معرفته بين جمع غفير من العرب، إلا أن سلاحه وسرجه يمتازان بنوع من الفخامة. وحياة الأمير بسيطة كثيابه، فهو يسكن، منذ أن هدم قصره في معسكر، خيمة عادية لا يتركها إلى قصره الجديد في "تقدامت" إلا لمدة قصيرة، وطعمه زهيد، ولا يخشى الأمير الجوع ولا التعب، ويعتبر أحسن الفرسان في بلاد الجزائر. وفي المعركة يحمل فوق رأسه سمشية مذهبة، وعلى جانبي فرسه يسير عبيده من الزنوج. والعرب يجلون أم الأمير، واسمها زهرة، غاية الإجلال، وذلك أمر غير عادي بالنسبة لامرأة مسلمة. فهذه المرأة المجوز، التي كان سيدي محي الدين يفضلها على غيرها من نسائه لهدوئها ورزانتها، كثيرا ما تحدث عنها من رأها من الأوروبيين بإعجاب كبير. وكانت تعرف أوضاع البلاد وظروف ابنها مع الكفار معرفة جيدة، دون أن تخفي كرهها الشديد لهم، وقد أكسبها عطفها على المرضى والفقراء حب جميع التعساء والأشقياء ...الخ ".

بناء الدولة:

وبمجرد مبايعته شرع الأمير عبد القادر في بناء الدولة الجزائرية الفتية على أسس اسلامية مستمدة قوانينها من القرآن والسنة، وفي نفس الوقت عصرية شورية تستمد قوتها وشرعيتها من الشعب قولا وفعلا. فاستغل فترة الهدنة التي أبرمها مع فرنسا في معاهدة دي ميشال والتافنة، لتوحيد شمل الأمة حول الجهاد، فشكل حكومة بسيطة من حيث التكوين وفعالة في أرض الواقع، ومجلس شوري يضم 11 عضوا من العلماء والفقهاء يمثلون مختلف مناطق الإمارة، وقسمت هذه الأخيرة إلى ثمان ولايات وهي: معسكر وخليفتها السيد الحاج مصطفى بن أحمد التهامي، تلمسان وخليفتها السيد محمد البوحميدي الولهاصي، مليانة وخليفتها

السيد محي الدين بن علال القليعي ثم خلفه محمد بن علال. المدية وخليفتها السيد محمد البركاني. الزبيدي وتداول على رئاستها كل من السادة فرحات بن سعيد وحسان بن عزوز ومحمد الصغير بن عبد الرحمن. سطيف وتداول عليها كل من السادة محمد بن عبد السلام العقراني ومحمد الغروبي ومحمد بن عمر العيسوي، برج حمزة (البويرة) وخليفتها السيد احمد بن سالم الدبيسي، الصحراء الغربية وخليفتها السيد قدور بن عبد الباقي. وتنقسم الولاية بدورها الى دوائر يحكمها اغا وتشمل هذه الاخيرة على قبائل (بطون و عشائر) ويجعل على رأس كل قبيلة قائداً، وعلى رأس كل بطن وعشيرة شيخا، ويخضعون كليه الى السلطة المركزية فتصدر اليهم الاوامر بحسب التسلسل، والعكس، وينقاضون أجورهم من خزينة الدولة لمعولة من الضرائب المتمثلة في الزكاة والعشور والعونة والمخالفات، ويتكفل الخليفة الى جانب تحصيل الجبية والمحافظة على الأمن بالمسائل الادارية المدنية والعسكرية، ولا يتم احتيار المسؤولين في الدولة إلا طبق لشروط معينة وهي الكفاءة والنزاهة. اما القضاة فالى جانب هذه الخصال الحميدة يجب أن يتوفر فيهم العلم الواسع بأمور الشريعة الاسلامية. ويتم تعيينهم لمدة سنة يمكن تجديدها، ويحق لأي شخص ان يطعن في احكامهم امام قاضي القضاة، وتتمتع السلطة القضائية باستقلال عن السلطة التنفيذية، وحتى الأمير مدينة معسكر عاصمة لإماراته ولم يكتف الأمير ببيعة قبائل الغرب بل زار معظم مناطق مملكته في الشمال والجنوب الجزائري لأخذ البيعة من سكانها، كما حارب في نفس الوقت القبائل التي رفضت الجهاد وتمردت عليه مثل شيخ التيجانية المنطقة عين ماضي بالغرب من الأغواط. والغى جميع العادات البالية التي كانت موجودة في العهد التركي والمتمثلة خصوصا في امتيازات قبائل المخزن. فكانت دولة عدل وحق. والى جانب هذه الأعمال، اعتنى الامير عبد القادر بالعلم والعلماء، شجع الزوايا التعليمية وتشييد المدارس يدرس فيها بالمجان، ويتقاضى المعلمون أجورهم من أموال الأوقاف، وتشجيعا لطلب العلم اعطى أوامر باحترام المثقفين وأعفائهم من التجنيد. كما اهتم بالكتب فكان يملك مكتبة خاصة بالزمالة. لكن همه الكبير وشغله الشاغل كان ينمثل في طرد الاستعمار الفرنسي من كامل التراب الجزائري وكان يدرك أن المعركة لازالت طويلة وأنه يواجه اقوى دولة في العالم آنذاك، ولهذا اعتنى كثير بتنظيم الجيش والذي كان الشعب كله مجندا في صفوفه. إلا انه بعد خوض المعارك الاولى أدرك أنه يفتقر للحرافين لأنه كان متكونا من المتطوعين غلبهم فلاحين وتجار. ولهذا أعاد تنظيمه فشكل جيشا نظاميا دائما على النمط العصري تتولى الدولة الانفاق عليه ومستعدا للمواجهة في

أي وقت. ولهذا الغرض استخدم بعض الضباط الفارين من الجيش الفرنسي لتدريبهم، وفتح لهذه الغاية ثكنات عسكرية بمعسكر نفسه. ولم يتجاوز عدد الجيش النظامي 10000 جندي. كما أسس الأمير عدة مصانع لإنتاج الأسلحة، وفي هذا المضمار يقول "كنت أصنع البارود في تلمسان وبمعسكر وبليانة والمدية وتاقدمت... أقمت في تلمسان مصنعا لصنع البارود وصنعت أسلحة قدم إلي من المغرب، وله يد مصنع في الأسلحة بحجرة وصعوبات ونكنه في النهاية بدأ ينتج. وكان معسكر به مصنعان للبارود وفي مدينة أخرى كان هناك معمل للأسلحة في سيبة وكان ينتج حوالي خمسة أسلحة يوميا، ولكن هذا المعمل توقف عن العمل. وهذا المعمل قام بتنظيمه عندما زرت مدينة سيبة المليود بن عراش من فرنسا الذي توجهه أنيا بعد معاهدة تافنة إلى الملك هنري. كنا نصنع السلاح بجميع قطعه... أما الزناد فكان يشتري الأسلحة المهربة من الصحراء والمغرب وتونس. وأسس جيش الأمير تحتوي على السيوف والبنادق والمدفعية، وينقسم الجيش إلى النظامية والخيالة والمدفعية منظم في إطار رواتب ويخضع للقوانين العسكرية، وتتميز كل قوة من هذه القوات الثلاثة بلباس عسكري خاص بها، كما اعتنى بالجانب الصحي ففتح مستشفيات وصيدليات في كل ولايات الإمارة وزودها بأطباء، وحارب القمار ولعب الميسر والخمر والرشوة الخ. إلى جانب هذا شيد مدينة تاقدمت وجعلها مركزا اقتصاديا وتجاريا مهما، وبنى الكثير من الحصون والقلاع في مختلف الولايات التابعة لمملكته وضبط العملة وشجع الفلاحة والتجارة، وبهذا يعتبر الأمير عبد القادر مؤسس أول دولة جزائرية عصرية بعد دولة عبد الواد الزيانية.

حروب الأمير عبد القادر

كان أول هجوم قاده الأمير بعد البيعة هو مهاجمة قوات الجنرال بواير Boyer التي لم تستطع مواجهته، فغيرت الحكومة الفرنسية بواير وبعثوا مكانه الجنرال دي ميشال كقائد للقوات العسكرية الفرنسية على مدينة وهران المحتلة من قبلهم. فحاول فك الحصار الاقتصادي المضروب على وهران من طرف الأمير عبد القادر، ولهذا قام بشن بعض الهجومات على القبائل القريبة من وهران لغرض تموين جيشه، ارتكب خلالها جرائم ضد سكانها. وتم أول هجوم يوم 7 ماي 1833، من بعدها استولى يوم 4 جويلية 1835 م على مدينة أرزيو بدون مقاومة تذكر فوضعوا حامية فيها و قاموا بتحصين الميناء، فشدد عليهم الأمير الحصار الاقتصادي ومنع السكان من تموينهم بالأغذية، فبادر دي ميشال بمهاجمته في عاصمته الزمالة لكن

قوات الأمير أجبرتهم على الانسحاب بعد أن كبدتهم بخسائر. وأمام هذا الوضع اضطر الجنرال دي ميشال الدخول في مفاوضات سلم مع الأمير، فأرسل إليه وفداً حول هذا الموضوع وبعد تردد ومشاورة المجلس الشوري قبل الاتفاق الذي تم التحدث حوله خارج وهران. وحررت الوثيقة بالعربية والفرنسية أبرمت بينهم المعاهدة يوم 24 فبراير 1834 والتي كانت في فائدة الأمير، فبعث دي ميشال الوثيقة إلى ملك فرنسا للتصديق عليها، وبهذا اكتسب الأمير عبد القادر اعترافا رسميا من فرنسا به كأمير للبلاد على معظم الاقليم الجزائري ماعدا وهران أرزيو مستغانم الجزائر العاصمة وبايلك الشرق. ولكن الأوضاع تغيرت بمجيئ الحاكم العام الكونت دوري دورلون والجنرال تريزل خلف لدي ميشال حيث لم يعترف هذا الأخير بسلطة الأمير. وفي هذه الفترة قام رجل اسمه موسى بن الحسن ويعرف بـ "أبي حمار" جاء من قبيلة أولاد نايل ادعى بأنه المهدي المنتظر واستولى على المدية، فسير له الأمير عبد القادر جيشة الذي اصطدم معه يوم 22 أفريل 1835 م فشتت جمعه، وتمكن أبي حمار من الفرار، فعين الأمير محمد بن عيسى البركاني خليفة على ولاية التيتري. وقد أزعج هذا العمل الحكم العام الفرنسي فبادر يوم 19 جوان 1835 الجنرال تريزل رفقة قوته الضخمة المقدرة بخمسة آلاف جندي إلى نقض معاهدة دي ميشال وذلك بالتوغل داخل أراضي الامارة، فعسكر في تليلات في محاولة للهجوم عليه، لكن قوات الأمير المكونة من ألف فارس كانت تراقب تحركاته فبادرت بالهجوم عليه يوم 28 جوان 1835 م في معركة المقطع كبدت خلالها العدو الفرنسي هزيمة نكراء في الأرواح والعتاد حيث قتل و جرح اثنائها 500 جندي من بينهم العقيد أوديتو الذي قتل في المعركة، فكان لهذا الانتصار دوياً كبيراً لدى الشعب الجزائري استبشر به خيراً، أما بالنسبة للحكومة الفرنسية فاعتبرته عاراً في جبين فرنسا، ولهذا قامت بعزل الحاكم العام دروي دورلون Drouet d'Erlon واستبدلته بالجنرال كلوزيل Clauzel الذي أمدته بقوات عسكرية وأسلحة اضافية للتصدي للأمير، فخرج يوم 27 نوفمبر 1835 م بقواته المدججة بالسلاح لقتال الأمير، لكن قوات هذا الأخير تمكنت من احداث بعض الخسائر في صفوفهم، إلا أن الماريشال كلوزيل توصل إلى لاستيلاء على مدينة معسكر يوم 7 ديسمبر 1835 بدون مقاومة والتي وجدها خاوية عند دخوله لها، فقام بتخريب المساكن وحرق ممتلكات السكان، وبإذن من وزير الحربية قام بحملة على مدينة تلمسان واستولى عليها يوم 13 جوان 1836 م ووضع بها حامية عسكرية، ولما غادر كلوزيل الجزائر سنة 1836 م ترك الغرب الجزائري تحت قيادة الجنرال دارلانج وأمره بتحصين مدينة معسكر وانشاء قاعدة مواصلات بينها وبين تلمسان، وعندما

كان يحاول بارلانج فتح الطريق إلى تلمسان. وبالقرب من واد التافنة حاصرت قوات الأمير عبد القادر جيشه وألحقت به خسائر كبيرة في الأرواح والعتاد جرح أثناءها الجنرال بارلانج. وبقي الجيش الفرنسي محاصر من كل اتجاه، فأرسلت الحكومة الفرنسية الجنرال بيجو لنجدته ووصل رفقة جنوده إلى واد تافنة يوم 23 ماي 1837 م واستطاع أن يفك الحصار الذي فرضه جيش الأمير على الحامية الفرنسية، من بعدها عرض الجنرال بيجو على الأمير عبد القادر الصلح فرفضه في المرة الأولى لأن شروطه كانت تعتبر استسلاما. فكر بيجو الخبيث ولكن هذه المرة بشروط معقولة، فأدخل عليها الأمير تعديلات وبعد مشاورة مجلس الشوري قبلها، فوقع الطرفان يوم 30 ماي 1837 م على معاهدة تافنة، تعترف فيها فرنسا بسلطة الأمير على كامل الشرق الجزائري، ماعدا مدينة الشرق وهران ومدينة الجزائر والبليدة والقليعة ومتيجة، وأعادت له بالمقابل رشقون وتنس. فاستغل الأمير عبد القادر هذه الفترة في تدعيم نظام دولته وتوسيع رقعة الأسرة. بينما استفاد منها الجيش الفرنسي في احتلال الشرق الجزائري وعلى رأسها قسنطينة، وحاول الأمير ضمها إلى إمارته لكن لم يستطع. وبادر الماريشال فالي Vale إلى خرق المعاهدة عندما قام رفقة جنوده وابن ملك فرنسا الدوق دورليان Duc d'Orléans بالمرور على المناطق التابعة لأمارته متوجهين إلى قسنطينة بدون إذن منه، فاحتج الأمير على هذا التصرف وبعث له رسالة يوم 18 نوفمبر 1839 م يعلن فيها استئناف الحرب. فشنت قوات الأمير حربا شاملة على المراكز العسكرية الفرنسية والمعمرين خصوصا في متيجة والغرب كبدت خلالها الجيش الفرنسي خسائر كبيرة في الأرواح والعتاد وغنموا فيها أسلحة وذخائر. وفي 2 فيفري 1840م خرج الماريشال فالي رفقة قوة ضخمة متوجها إلى المدية للاستيلاء عليها، فتصدى له خليفة الأمير لولاية مليانة و دارت المعركة بينهم يوما كاملا تضرر فيها الطرفان، ولكن أجبرت الماريشال فالي على العودة إلى مدينة الجزائر، من بعدها سير جيشه نحو شرشال فقاومه سكانها بشجاعة، وأمام هذه الأوضاع المزرية على الجيش الفرنسي تدفقت الامدادات من القطر الفرنسي، وفي يوم 11 فريل 1840 م التقى جيش الأمير بالقوات الفرنسية بقيادة أبناء الملك الدوك دورليان والدوك دومال بموزايا كانوا متوجهين لاحتلال المدية، فنشبت معركة دامية بينهم ولم يتمكن العدو الفرنسي من دخول مدينة المدية يوم 9 جوان 1840 إلا وهي خراب فتركوا بها حامية، وعند عودتهم متجهين إلى مدينة الجزائر تصدت لهم قوات الأمير من جديد، ثم دخل الجيش الفرنسي في معركة كبيرة مع الامير عبد القادر بمليانة، ولم يتوصلو إلى احتلالها إلا بعد أن لحق بهم خسائر كبيرة. وفي أول جانفي

1841 م حل الجنرال بيجو كحاكم عام مكان فالي فطبق سياسة الأرض المحروقة والإبادة ضد القبائل المتمردة والمساندة للأمير. فزحف رفقة قواته التي قدرت ب 8.3000 عام 1842 إلى 108000 سنة 1846 م على معسكر وتيطاوين وسعيدة والمدية، واستولى على تلمسان سنة 1842 م وفي يوم 16 ماي 1843 م سقطت الزمالة العاصمة المتنقلة للأمير في يد قائد الجيش الفرنسي لدوق اومال duc Aumale والمتكونة من حوالي مائتي الف نسمة من الرجال والنساء، فسبوا سكانها علاوة على ثلاثة الاف من الجنود النظاميين. إلا أن عبد القادر لم يكن موجودا يومها فحزن كثيرا لهذا الحدث و قال لأصحابه "الحمد لله، ان كل تلك الأشياء، التي كنت أقدرها حق قدرها والتي كانت عزيزة على قلبي والتي شغلت عقلي كثيرا، لم تؤد إلى إعاقة حركاتي وحولتني عن الطريق الصحيح. اما في المستقبل، فساكون حرا في محاربة الكفار". و مام هذا الوضع غير المتكافئ عمد وعبد القادر الأمير استراتيجيته لحربية معتمدا على التكتيك النوميدي، بمعنى انه لا يحارب العدو إلا اذا رأى الظروف ملائمة لصالحه فيستدرجه في الاتجاه الذي يريده ويباغته قبل أن يهجم عليه مستفيدا من سرعة التنقل، حيث يخرج على العدو في المكان الذي لا ينتظره فيه، فمرة في جرجرة ومرة في المدية ومرة في الصحراء ومرة في الغرب الجزائري، ورغم الامتيازات الكبيرة للقوات الفرنسية الا ان الامير لم ييأس فواصل معركته وشن عدة هجومات على الجيش الفرنسي حيث انتصر عليه في معركة واد الحمام يوم 24 جويلية، وسيدي يوسف يوم 22 سبتمبر 1843 م. ولسبب الضغط الشديد عليه انسحب سنة 1843 رفقة قواته إلى الاراضي المغربية التي اتخذها كمنطلق لإعادة تنظيم جيشه، وسبب وجوده فيها قليلة ميناء طنجة يوم 6 أوت 1844 م وشوب حرب بين الجيش الفرنسي والمغربي انهزمت على اثرها القوات المغربية في معركة اسلي يوم 14 اوت 1844 م، وحلت الأزمة بينهما عن طريق معاهدة طنجة المبرمة يوم 10 سبتمبر 1844 م. تعهد فيها الملك المغربي عبد الرحمن بطرد الأمير عبد القادر من ارضيه، وسمحت للجانبين فيما بعد بعقد اتفاقية لالا مغنية يوم 18 مارس 1845 م. تم بموجبها ترسيم الحدود الجزائرية المغربية. فخرج منها الامير عبد القادر لمواصلة الجهاد ولم يستسلم رغم عروض المارشال بيجو، فهزم رفقة قواته المقدرة ب 2000 فارس الجيش الفرنسي في شهر سبتمبر 1844 م في كل من جبل كركور وسيدي موسى وفي سنة 1847 م استانف بومعزة الجهاد بسهل الشلف، واستطاع ان يبتعد عنه فيمل لمختلفة ا لظهره، سهل الشلف، الونشريس ا تحت لوائه لمواصلة الكفاح ضد المحتل الفرنسي، وفي هذه الفترة ظهر الأمير عبد القادر من جديد بالغرب الجزائري، فانضم المجاهد

بومعزة لي صفوفه وعينه عبد القادر حسنة له. وتمكن يوم 23 سبتمبر 1845 م من القضاء على قوات العقيد مونتانياك Montagnac بالقرب من سيدي براهيم بالغرب الجزائري وألحق بهم خسائر كبيرة جعلت الثقة لانحياره. واسر من بعدها يوم 27 سبتمبر 845 م على 96 جنديا فرنسيا بالقرب من عين تيموشنت، وبدون مقاومة تمكن الأمير يوم 28 سبتمبر 845 م من أسر كتيبة فرنسية بكاملها متكونة من 200 جندي كانت بتوجهة من تلمسان الى عين تيموشنت، و متاولي عن بكرتيه. وفي عام 1847 م استسلم أحسن قواد بومعزة في تيارت و خضع من بعده في نواحي سور الغزلان. فضعفت المقاومة في الداخل و تنقل عبد القادر لضغط في الداخل. فانسحب إلى المغرب وهناك رجع عن الدخول في معركة مع الجيش المغربي جبره على الانسحاب منها. وعندما كان عبد القادر في الجيش المغربي وهو متوجه بقية حدوده إلى سيدي براهيم بالقرب من وهران وقع في كمين في الحدود المغربية الجزائرية حيث كانت قوات الجنرال لاموريسيير Lamoricière في انتظاره وبرقب تحركاته. فوجد الأمير عبد القادر نفسه محاصرا من كل الجهات. وتقارب الأعداء جيشه القليل وسلاحه و ولاءه في عملية انتحارية ضد الجيش الفرنسي وبعد استشارة اصحابه سنة يوم 21 ديسمبر 1847 م بجامع غزوات بشروط منها أن ينقل الأمير وأسرته الى عكا في البداية و الاسكندرية في مصر. ان لا يمنع أحد من مرافقته معه أراد من جنود. وشرط ان يكون كل من يبقى في البلاد آمنا على حياته وماله. الا ان السلطات الفرنسية خلفت وعدها وسجنته بسجن تولون المتوجد بفرنسا حيث بقي سيرا مدة خمس سنوات وعندما أطلق سراحه توجه الى دمشق وقضى عدة بقية حياته في الكتابة والتحرير. وتمكن سنة 1860 م من اخماد فتنة طائفية كبيرة ضد المسيحيين العرب كسبته شهرة عالمية. وعندما كان هناك عرض عليه امبراطور فرنسا نابليون الثالث ليتولى منصب ملك "المملكة العربية" بالجزائر، لا انه رفض. وهذا الخطاب الذي القاه الأمير عبد القادر على المجلس الشوري، شارحا فيه اسباب توقيفه الحرب "... يا قوم ... ان الاحوال كما ترون .. ولقد اجهدت نفسي في الدفاع على الدين و البلاد. وبذلت وسعي في راحة بني وطني، واقتحمت المهالك، وخضت شعاب رطيب. وقمت على ذلك ما يزيد على سبعة عشرة سنة إلى ان فقدت المعاضد والمساعد وفني الطارف من الموالي والتالد. ".

وهذه بعض الشهادات لشخصيات عالمية في الأمير عبد القادر. فيقول الكولونيل الانجليزي اسكوت : "إن أعظم الشخصيات في العالم الاسلامي في العصر الحاضر هما : شخصية محمد علي وشخصية الأمير عبد القادر"

أما جاك بيرك فيقول "إنه أكثر من قائد سياسي- ديني، إنه يحرك مبدأ الوطنيات الروسطيقي، ويجمع في شخصيته الفروسية البدوية والهام الإسلام وديناميكية القرن التاسع عشر".

ويقول الجنرال الفرنسي دوفيفي الذي حاربه "إن القوة الحقيقية لعبد القادر، القوة التي تقاومنا، تها جذور في فكره . . إن عبد القادر كان أميراً لأن الحرية قد وضعت ثقتها فيه حتى أعطته سيفها ... إنه كان رجل التاريخ إن الحرية سوف لن تنساه، إنها سترد اسمه".

الحاج أحمد باي
1837 م- 1848 م

كان من الأوائل الذين قاوموا الاستعمار الفرنسي، وهو كرغلي أي من أب تركي وأم جزائرية، تولى إقليم قسنطينة سنة 1834 م، ولبى نداء الداي حسين اثناء الغزو الفرنسي في شهر جوان 1830 م. وشارك بجيشه في معركة سطوالي تحت قيادة الاغا ابراهيم صهر الداي. واثر الهزيمة انسحب رفقة من بقي معه من جيشه متوجها الى ولايته قسنطينة. وأثناء غيابه حمدينة الجزائر قام الأتراك بانقلاب ضده وعينوا مكانه حمود بن شاكر بايا عليه. ولم يتمكن من دخولها الا بمساندة محمد بلحاج من غانة الذي بقي وفيا له. فاعاده انصاره الى حكمه وبايعوه من جديد على الجهاد. فجمع شمل القبائل وكون مجلسا شوريا وشرع في تكوين الجيش للتصدي للاستعمار الفرنسي، وأغلبه من العنصر الجزائري لعدم ثقته في الأتراك. فقام بتحصين مدينة قسنطينة ودعا القبائل للجهاد. ورغم الرسائل التي تلاقها من قبل الجنرال دوبورمون وكلوزيل للاستسلام والاعتراف بالسيادة الفرنسية مقابل الاحتفاظ بمنصبه بايا على قسنطينة ودفع جزية الا أنه رفض هذه الشروط وقال بأن الخضوع مخالف للايمان والعقيدة الاسلامية.

قبادر الجنرال كلوزيل إلى عقد معاهدة مع باي تونس سنة 1830 م تم بموجبها تعيين أخيه بايا على قسنطينة، إلا أن الحكومة الفرنسية لم تعترف بهذه المعاهدة. ولكن باي تونس أخذها بجدية واصبح يطالب بضم قسنطينة اليه ويحرض سكانها ضده ولم يحل هذا الصراع السياسي الا من طرف السلطان العثماني. إضافة إلى هذا استقل علي ابراهيم مدينة عنابة وتواطأ مع الفرنسيين وعين نفسه بايا عليها. ولكن ابن عيسى مساعد أحمد باي تصدى له واخرجه من المدينة، ثم دخل في معركة مع الفرنسيين ولكن تغلبوا عليه واحتلوا عنابة سنة 1832 م فأمر احمد باي من بن عيسى محاصرة الجنود الفرنسيين الموجودين بها اقتصاديا لكنه فشل في استرجاعها، سنة من بعدها بوده 29 سبتمبر 1833 م استولى الجنرال تريزل Trezel على مدينة بجاية بعد مقاومة عنيفة من سكانها. ورغم الوفود التي أرسلها أحمد باي الى السلطان العثماني لمساعدته ماديا، لم يتلق من هذا الأخير إلا التأييد المعنوي ولقب الباشا. واتصل به في ذلك الوقت القائد العام للجزائر الدوق روفيغو قصد التفاوض معه وفرض عليه شروطا متمثلة

في اعتراف احمد باي بالسيادة الفرنسية ودفع جزية حربية وسنوية مقابل الاحتفاظ بمنصبه. وقبل هذه البنود على شرط استرجاع فرنسا للمناطق التي احتلتها من اقليم قسنطينة بما فيها مدينة عنابة. ثم وصلته رسالة اخرى تحمل شروطا اكثر قساوة فرفضها واحال الفرنسيين على السلطان العثماني. ولما علم باستعداد الجيش الفرنسي لمهاجمة مدينة قسنطينة، خرج اليهم في شهر نوفمبر 1836 م بقوة عسكرية تضم حوالي 2000 مقاتل وانتصر عليهم في جسر الفطرة حيث كبدهم خسائر كبيرة في الأرواح تقدر بالف قتيل واجبرهم على الانسحاب رغم تفوق عدده الفرنسي عسكريا. واثر هذه الهزيمة عزز الجنرال كلوزيل من صفوفه واستدعى إلى فرنسا. وزاد هذا الانتصار في معنويات القسنطينيين. وبعث أحمد باي رسالة الى السلطان العثماني يشرح فيها وقائع الحادثة وطلب منه المساعدة، فلبى السلطان هذه المرة نداءه. وارسل له سنة 1837 م عن طريق تونس اربع سفن حربية محملة بالجنود الاتراك والعتاد، لكن باي تونس حوفا من فرنسا لم يسمح الا بمرور المدفع وله يسلمها لاحمد باي.

وفي سنة 837 م ابرم الجنرال بيجو مع الأمير عبد القادر معاهدة تافنة، استغلتها فرنسا لتكريس جهودها لغزو قسنطينة، فاتصل الجنرال دمريمون Damrémont للمرة الأخيرة بأحمد باي مكررا طلب فرنسا. ولكن الباي احمد رفض وبعث برسالة إلى القائد الفرنسي وهو محاصر لمدينة قسنطينة يتكتم فيها نيابة عن مكانها وعن حملة ما ذكر "من سكان مدينة قسنطينة المحافظين على دينها وشرفها لن الجيش الفرنسي المعتدي على حقوقه، لقد وصلتنا رسالتكم وفهمنا ما ذكرتموه فيها. نحن في مركزنا هنا في خطر ولكن سنتيلاءكم على قسنطينة المحمية بالابطال العرب الذين لا يهابون الموت موقوف على قتل اخر واحد منهم، واعلموا ان الموت تحت جدران مدينتنا اشرف لنا من الحياة تحت حكم فرنسا... الخ ". فتلقى القائد الفرنسي مرا بالزحف على مدينة قسنطينة، فخرج أحمد باي اليهم بجيش قوامه 2500 مقاتلا و اشتبك مع الجيش الفرنسي مدة ثلاثة ايام قتل خلالها القائد العام لجيش الفرنسي دمريمون Damremont والجنرال بيريقو Perregaux والعديد من الضباط والجنود. فصعب الجنرال فالي Valée مكان دامريمون في قيادة الجيش ونجح الفرنسيون هذه المرة من دخول مدينة قسنطينة يوم 13 اكتوبر 1837 م بعد ان دمروا اسوارها بالمدفعية. لكن سكانها لم يستسلموا وظلوا يحاربون بشجاعة شارع بشارع وبيت ببيت. وانتقاما منهم قام الجنود الفرنسيون بتخريب ممتلكات السكان والمكتبات وامكن العبدة وقتل

المقاومين المتبقين برميهم من حصون قسنطينة. ولم يستسلم احمد باي رغم طلب فرنسا بتقه الى اي دولة يرغب فيها. من وصل مقاومته في تعبئة الجزائريين للجهاد ضد الاحتلال الفرنسي فانسحب بفلقه جنوبا نحو الجنوب متنقلا من قبيلة لاخرى و مهاجما المراكز العسكرية الفرنسية. وعندما تخلى عنه اعوانه استسلم للسلطات الفرنسية يوم 5 جوان 1848 م على شرط ان يسمح له بالهجرة الى احد الدول الاسلامية. ولكن فرنسا خانت وعدها فسجنه مع الامير عبد القادر وبقي الحاج احمد باي تحت الإقامة الجبرية بمدينة تحرير بعصمة الى يوم وفاته سنة 1850 م ودفن بزاوية سيدي عبد الرحمن الثعالبي

مذكرة بن عيسى حول الدفاع على مدينة قسنطينة (1836 م – 1837 م)

في سنة 1836 م كلفت بالدفاع عن المدينة في حين خرج الباي على راس فرسانه لحصابته من الخروج و منع الفرنسيين من الدخول اليها. وكان عدد الذين شاركوا في معركة الدفاع 1400 من الجنود المسلحين بالاضافة الى 1000 شخص من السكان وقد دافعنا بشجاعة طيلة ثلاثة أيام قمت خلالها بغارة من جهة باب الجابية ولما كان اليوم الثالث لاحظنا الجيش الفرنسي يرحل عن المدينة. لقد كان قسم من سكانها اثناء الحصار، بالتسليم لكنهم دفعوا حياتهم ثمن لتخاذلهم. تراجع الفرنسيون بشكل فوضوي، وبينما قاد الباي باتباعهم حتى راس العقبة فلم اتبعه سوى لوقت قصير. لكني نصحت الباي بمراسلة القبائل في شان مزالهم عن الفرنسيين عند ، فكان ان أجابني " ان الفرنسيين لا يستامون على هزيمة، فرجوعهم يوما لاحق اشر لا محالة ات وسيكون مروعا وخصوصا إذ ما الحقنا ضرر بهم " لمست الموجودين هنا بصفوف الجيش. ولهذا السبب امتنع الباي عن التشدد في الضغط عليهم. اما اهل قسنطينة فقد سرعوا إلى المنصورة اثناء انسحاب الفرنسيين وقضو على الجرحى هناك. فقتل الجرحى ليس عملا شجاعا لكن لا يمكن اسناده إلى الرجال الذين خرجوا بحثا عن مخاطر القتال.

في سنة 1837 " رجعنا إلى قسنطينة بدات نتدبر كيفية مواجهة الغزو الاتي المهدد، من ذلك أن أمر الباي بهدم جميع الأبنية الموجودة خارج اسوار المدينة أي كل ما كان قائما من باب الجابية إلى باب الوادي وما كان بأطراف كرديت عاني. ولقد أقبل الاهالي من غير ملل على الاستعدادات فأولو المراقبة كل عنايتهم وحرصوا على أن تبقى قنبلة المدافع مشتعلة من غير انقطاع. لقد كنا جميعا مهيئين

للمقاومة، خاصة وأن الأهالي كانوا يدركون عزم الفرنسيين على الانتقام منهم بسبب ما فعلوه بجرحاهم بالمنصورة وبالثأر لكرامتهم المهانة. فالمقاومة الشجاعة في نظرهم هي منجاهم الوحيد. عمل أحمد باي على تهريب ثرواته خفية في حين لم يسمح للسكان بالعمل مثله. وفعلا فإن إبقاء الثروات داخل المدينة أثناء الحصار وعلى مرأى من أصحابها يجعلهم أكثر تصميما على الدفاع عنها وأكثر عزما لحماية نفسهم وأموالهم ويجعلهم يتصورون النتيجة في حالة الهزيمة. عملت على ترميم الحواجز وحفرت خندق وإقامة تحصينات جديدة يسهل به انطلاق شوارع المدينة في الحال، وتجعل العدو في حالة دخوله المدينة أمام عقبة أخرى لابد له من فرض حصار جديد حولها. ولذلك لا أشك في أني أهملت إجراء واحدا من الاجراءات اللازمة لحماية المركز الذي أسندت الى حمايته. وكان الذي يساعدني في مهمة الدفاع هو الحاج محمد ابن البجاوي قائد الدار ورئيس القصر والذي قتل أثناء الحصار".

حمدان بن عثمان خوجة

وهو أحد أثرياء مدينة الجزائر. تولى مناصب عليا في عهد الداي قبل الاحتلال. وكان رجلاً مثقفاً، سافر إلى العديد من الدول الإسلامية والأوروبية واطلع خلالها على ما يجري في العالم و خاصة أوروبا من تطورات اقتصادية وسياسية، وعند احتلال مدينة الجزائر عين الجنرال دي بورمون عضوا في المجلس البلدي، و حتفظ بنفس المنصب في عهد كلوزيل. الا أن مواقفه المناهضة للاعتداء على حرمة المساجد جلبت له العداء. واجبره الدوق روفيغو على الرحيل إلى فرنسا. وهناك اجتمع مع نخبة من الجزائريين المثقفين. ونظم المقاومة السياسية وتولى الدفاع عن القضية الجزائرية، بتنوير الرأي العام الفرنسي والعالمي حول ما يجري بالجزائر، وفي هذا الصدد أرسل حمدان خوجة مذكرات وعرائض إلى الحكومة الفرنسية يناشدها بالتدخل في الجزائر، ومذكرا اياها ببنود معاهدة الاستسلام، ومطالبا بالجلاء الفوري للجيش الفرنسي. وقد أثمرت هذه الجهود في تكوين لجنة افريقية للتحقيق في الجزائر. تم تشكيلها بأمر من ملك فرنسا لويس فيليب يوم 7 جويلية 1833 م وترأسها الجنرال بوني مهمتها دراسة الوضع الشامل في الجزائر وتحديد أسس العمل في المستقبل، ووصلت إلى الجزائر في 2 سبتمبر في السنة ذاتها، واستمعت لممثلي السلطات العسكرية والمدنية وأعيان الحضريين العرب ومن بينهم حمدان خوجة، ووفد عن يهود الجزائر. وقامت اللجنة بجولة في مدينة الجزائر وعنابة ووهران وأرزيو وبجاية، ثم عادت إلى مدينة الجزائر. ومن جملة الاقتراحات التي قدمتها للحكومة الفرنسية: الاحتفاظ بالجزائر تحت اسم ممتلكات فرنسا في افريقيا. وتطبيق النظام الفرنسي حلف للتركي، تشجيع الاستيطان الأوروبي، تشكيل مجلس بلدي مختلط، وتعيين حاكم عام على الجزائر يتولى السلطات المدنية والعسكرية، خلق ميزانية خاصة بالجزائر . كما اقرت الوضعية السيئة للجزائريين، وهذه فقرة من تقريرها الطويل "لقد حطمنا ممتلكات المؤسسات الدينية وجردنا السكان الذين وعدناهم بالأمان وأخذنا الممتلكات الخاصة بلا تعويضات وذبحنا أناسا كانوا يجعلون عهد الأمان وحاكمنا رجالا يتمتعون بسمعة القديسين في بلادهم لأنهم كانوا شجعانا لدرجة أنهم صرخوا بحالة مواطنيهم المنكوبين". وباختصار كما قال حد أعضاء اللجنة "لقد فقنا في البربرية هؤلاء الذين جئنا لتمدينهم". ودار في البرلمان الفرنسي نقاش بين المعارضين والمؤيدين للاحتلال انتصر فيه أصحاب فكرة المحافظة على الجزائر. إلا

أنه في حقيقة الأمر شكلت هذه اللجنة لتبرير الاحتلال، ولم تضيق الحكومة الفرنسية من مقترحاتها الا ما يخدم مصالحها. وهذا ما ادى إلى خيبة امل حمدان خوجة لأن هذه اللجنة لم تحقق ما كان يرجوه، لكنه واصل معركته السياسية بالقلم واللسان ضد الاحتلال بتنشيط مؤتمرات صحفية للتعريف بالقضية الجزائرية. وألف لهذا الغرض كتابا اطلعت عليه لجنة التحقيق عنوانه "المرآة" تكلم فيه عن معاناة الشعب الجزائري والأعمال القمعية التي يقوم بها جنرالات فرنسا في الجزائر.

وهذه بعض المقتطفات من رسالته الطويلة التي بعثها إلى صديقه محمود المقيم بالاستانة (تركيا) يحدثه فيها عن حالة الجزائريين، وموقف ملك فرنسا من قضية الجزائر، والاعمال الاجرامية للفرنسيين، ويطلب منه بتبليغها إلى السلطان العثماني محمود خان الثاني. وجاء فيها ما يلي :

"وقد اخذ مجلس الديوان (ديوان المالك) كتابي بعين الاعتبار أثناء تطرقه إلى المسألة الجزائرية وستشهد بأقوالي الواردة فيه بشأن القضية وقد ذكرت هذه الأقوال مفصلة في جريدة مونيتور. إن موقف الملك وخواصه من القضية الجزائرية يتمثل في الكيفية التي سبقت حسب الجريدة المذكورة انفا غير أن الأمر يرجع في الأخير إلى أيدي العوام -النواب- الذين يمتلكون العلم أو السنجاق ذو الألوان الثلاثة لأن تصرفات الملك مقيدة بإرادة العوام فلا يمكن أن تظهر وتتجلى الا في اطار تنفيذ رأيه وتحقيق ارادته، ومع ذلك فإن العوام لا يعرفون شيئا عن الجزائر وماهيتها إلا المعلومات التي يلتقطونها من أفواه أولئك الذين أتوا إلى الجزائر من أبناء جنسهم ثم عادوا إلى فرنسا، وهؤلاء هم أولئك الأسافل والأراذل الذين ذاقوا طعم الظلم والقتل والنهب والسلب في الجزائر كما ذاقوا طعم المال والثروة على الطريقة نفسها بواسطة غصب أموال المسلمين تحت ستار الكراء المؤبد والإيجار ثم نقلوها إلى باريس ليبيعوها بأثمان باهظة أو باعوها في باريس وهي في الجزائر"

"هؤلاء (الفرنسيون) كلهم أراذل و أبرز دليل على أنهم من الأسافل والأراذل هو تركهم لبلادهم التي هي كالدرة من حيث الجمال و العمران و تشبثهم بالاستيطان في الجزائر التي أصبحت تشبه الأطلال من جراء الفضائع التي ارتكبوها هنالك، فلو لم يكونوا من أسافل الناس وأقلهم درجة لما أقدموا على ذلك و لكنهم يفعلون ذلك لأنهم فعلا كما وصفوا. والذي يتراءى لي أن هؤلاء الأسافل لما عادوا من الجزائر بدأوا يتكلمون عنها و يشيعون بين أبناء جلدتهم عن جودة

أرضها و خصبة تربتها وانها الجود حتى من الأراضي الهندية لأنها صالحة لزراعة القهوة والفلفل و القرمز و غيرها من الخرافات التي لا اصل لها".

"إن المرتدين في بلادنا قلة جدا و لا يصل عددهم لكثر من مائة نفر، أما الباقون من المسلمين فقد نفي وشرد الأغنياء منهم ولم يبق الا الضعفاء والمساكين الذين أرغموا على العيش بالذل و الهوان و التكفف على الناس"

"أخي لكريم انني رجل وحدني. ولاي وعيالي تحت ايادي الكفار ورحمتهم بالجزائر. وأنا هنا في بلادهم انني أكافح وانافس من اجل وطني الجزائر بكل ما أوتيت من قوة ووهبت من مقدرة على الكفاح والنضال عن طريق قلمي ولساني دون أي تقصير و تهاون ولو أن الكفار عموا بمصحوب تحريراتي وتأليفاتي ومراسلاتي مع سائر الأجناس والأعمال التي أقوم بها شخصيا عندما تمتنع الكتابة وتخطر أهمية الموضوع وسريته، نعم ولو اطلعوا على حقيقة بعض الاعمال التي اقوم بها من اجل بلادي الجزائر لأكلوا لحمي وعذبوني بأشد انواع العذاب في العالم ولكن الحمد لله فقد سترني ربي ونجاني من القوم الظالمين".

"أخي الكريم كما تعلمون أيضا فان بنتي قد تجاوزت السنين واني ستور والحمد لله بستره ولا أطمع لا في مال ولا في منصب".

ثـورة الـزيبان و الأغواط و الأوراس

استولى الفرنسيون على الزيبان سنة 1848 م بعد استسلام الأمير عبد القادر، وعرف سكانها خلال تلك الفترة الحكم الاستبدادي للسلطات الفرنسية اتجاه المواطنين بإساءة معاملتهم وفرضت على الفلاحين زيادة جائرة في الضريبة على النخيل، وكانت فرنسا في هذه الفترة متشعلة بقمع الثورات داخل الوطن وانقلاب الجمهوريين على عرش ملك فرنسا لويس فيليب، فاستغل الشيخ بوزيان زعيم ثورة الزعاطشة هذه الظروف للاستعداد للثورة (1848 م- 1849 م)، وكان في السابق يشغل منصب نائب للأمير عبد القادر بمنطقة الزاب الظهري، وكانت كلمته مسموعة في أوساط السكان، ولسبب هذه النشاطات حاول سيروث نائب المكتب العربي ببسكرة القبض على بوزيان في واحاته، فتصدى له أنصاره وأطلقوا الرصاص على الضابط الفرنسي ومن كان معه ففر عائدا إلى مقره، ونتيجة لما حدث سير له رئيس المكتب العربي الضابط دوبسكي Dupesquet قوة عسكرية، ولما وصل إلى قرية الزعاطشة طالب سكانها بتسليم الشيخ بوزيان فرفضوا، ولما أحس الضابط الفرنسي باستعدادهم للمقاومة فضل الانسحاب من حيث أتى، وامتدت من بعدها نار الثورة إلى كل منطقة الزيبان و أولاد نايل والحضنة وبوسعادة والأوراس ودعم حركته الثورية كل من الشيخ سي عبد الحفيظ مقدم الطريقة الرحمانية في الأوراس، والشيخ حامد بلحاج ببوسعادة وبن الجودي شيخ أولاد ريان معد دفع بالقوات الفرنسية المتمركزة بمدينة باتنة بقيادة كاربيسيا للتحرك والتقى الطرفان يوم 16 جويلية 1849 م انتهت بهزيمة الجيش الفرنسي ومقتل العديد من جنوده، وأمام انتصارات ثوار الزعاطشة وحلفائهم من المناطق الأخرى سير لهم الجنرال الفرنسي هربيوس Herbillos قوة عسكرية تتكون من حوالي خمسة آلاف جندي وضابط انطلقت من قسنطينة يوم 25 سبتمبر 1849 م، وفي باتنة انضمت اليها قوات أخرى، وفي يوم 17 أكتوبر وبمساعدة قوات شيخ العرب الخانق ابن غانة الموالي لفرنسا بدأ الحصار على مركز الثورة قرية الزعاطشة فرفض سكانها الاستسلام، وأمام إصرارهم على القتال قامت المدفعية الفرنسية يوم 26 نوفمبر 1849 م بضرب الأسوار المحيطة بقرية الزعاطشة لإحداث ثغرة فيها يتمكن من خلالها التغلغل داخل الواحة لكن مقاومة الثوار التي ألحقت قتلى في صفوفهم أرغمت فرنسا على تغيير خطتها بتكثيف الضربات بالمدفعية انتهت في الأخير باستيلاء الجيش

الفرنسي على قرية الزعاطشة بعد معركة دامية قتل فيها سكانها منزل بمنزل وسقط على إثرها أكثر من 800 شهيد من بينهم الشيخ بوزيان وابنه ونائبه الحاج موسى، فنكل الفرنسيون بجثتهم وقطعوا رؤوسهم وحملوها إلى بسكرة ليعرضوها في الساحة على الناس، وكعادتها إزاء كل الثورات التي اندلعت على أرض الوطن قامت السلطات الفرنسية بتدمير قصور الواحات ومصادرة املاك سكانها.

ولكن نار الثورة بقيت مشتعلة في الأوراس حيث سير إليهم العقيد Cannobert قوة عسكرية في شهر ديسمبر مكنته من إخماد البعض منها وبقيت القرى نارا صامدة في وجهه لكن شجاعتها لم توقف زحف قواته التي دمرت قراه.

وفي عام 1852 م ظهر ثائر اخر بالصحراء وهو الشريف محمد بن عبد الله، فعند عودته من اليقاع المقدسة شرع مباشرة في الاستعداد لكفاح المحتل الفرنسي في كل من الأغواط وتوقرت وورقلة فبايعه سكانها وانضموا إلى ثورته، وخاض عدة معارك ضد القوات الفرنسية في كل من جنوب بسكرة يوم 22 ماي 1852 م وفي عين الرق يوم 1 أكتوبر 1852 م، وألحق بهم أضرارا كبيرة في العتاد والأرواح واستولى على مدينة الأغواط، لكن الفرنسيين بمساعدة العميل سي حمزة ولد سيدي الشيخ تمكنوا من استرجاعها في شهر ديسمبر 1852 بعد حصار ومعركة شرسة استشهد على إثرها الكثير من جنود الشريف محمد بن عبد الله، أرغم من بعدها للانسحاب إلى زاوية رويسات بالقرب من ورقلة، وهناك تحالف مع بن سلمة الذي كان متمركزاً بتقورت وشنوا هجومات عديدة على القوات الفرنسية، لكن عملاء فرنسا من الجزائريين أمثال سي حمزة أغا منطقة الأغواط وسي الزبير باشاغا ورقلة حالوا دون تحقيق هدفه، فاستولت فرنسا على تقورت سنة 1854 م بعد معركة دامية، ورغم محاولته المتكررة لاسترجاع الأغواط وورقلة إلا أنه لم يفلح أمام القوة الفرنسية المدججة بالسلاح المتطور، وانتهى مصير الشريف بن عبد الله على يد حمزة ولد سيدي الشيخ الذي اعتقله سنة 1861 م وسلمه للسلطات الفرنسية، وقامت هذه الأخيرة بوضعه في سجن عسكري بفرنسا.

وفي سنة 1858 م انطلقت ثورة أخرى من جبال الأوراس قادها أحد مجاهدي (ثورة الزعاطشة) وهو سي الصادق بن الحاج زعيم أولاد أيوب وشيخ الإخوان الرحمانيين، واستطاع أن يوسع ثورته إلى منطقة الزيبان وقام بعدة هجومات على المراكز الفرنسية، إلا أن ثورته في الأخير عرفت نفس المصير الذي عرفه الشريف محمد بن عبد الله حيث ألقت القوات الفرنسية والمتعاونين معها من الخوانة القبض عليه يوم 20 جانفي 1859 م، لكن الثورة لم تتوقف فأندلعت من جديد سنة

1879 م بالأوراس تحت قيادة شيخ زاوية الرحمانية الإمام محمد أمزيان بن عبد الرحمن حيث رفع راية الجهاد ضد الاستعمار الفرنسي وقام رفقة المجاهدين بمهاجمة مركز الجيش الفرنسي ودخل معهم في معارك، إلا أن القوات الفرنسية كانت أقوى منه عدة وعددا، ولما اشتد الضغط عليه انسحب إلى تونس وفي الطريق عثر الجيش الفرنسي على هياكل القوات الإمام أمزيان أفناها الجوع والعطش، اما الشيخ محمد أمزيان فقد سلمته السلطات التونسية رفقة رفاقه لمتبقين الى الجيش الفرنسي حيث حكمت عليه محكمة قسنطينة سنة 1880 م بالإعدام.

ثورة القبائل
1846 م - 1857 م

بقيت بلاد القبائل مستقلة حتى سنة 1846 م وصمدت امام العدو الفرنسي إلى غاية 1857 م. ويرجع الفضل في ذلك الى الجبال الوعرة التي ساعدت سكانها على مقاومة المحتل الذي وجد صعوبة لاختراقها. و من أوائل المجاهدين في هذه المنطقة هو الشريف مولاي محمد الملقب بوعوره (1844 م- 1847 م) حارب من قبل في صفوف جيش بومعزة. ولما قضى الاستعمار على ثورة هذا الأخير حمل لواء الجهاد بالونشريس وكان من أهم أعوانه سي الجودي. فخاض عدة معارك ضد العدو و التحق من بعد ببلاد القبائل بجرجرة أين اعلن الجهاد تحت راية الإسلام. وانضم إلى صفوفه الشريف مولاي ابراهيم لكن دعوته لم تجد آذانا صاغية فاضطر إلى مغادرة بلاد القبائل الكبرى في مارس 1846 م. متوجها الى جيجل و لقل فاستجاب القبائل لدعوته الجهادية فحملوا السلاح وأشعلوا نارا على العدو المحتل واستمر مولاي محمد في نشاطه الثوري إلى غاية شهر أوت 1847 م.

لكن سكان القبائل لم يركنوا للاستسلام وقبول الأمر الواقع. فثارت كل من قبيلة بني يعلى وبني مليكش في وجه الاستعمار عندما حاول هذا الاخير المساس بحرمة أراضيهم. وكانت قبيلة بني يعلى السباقة لذلك. فرفضت الاعا الذي فرض عليهم من الاستعمار الفرنسي وقاموا ابتداء من سنة 1847 م بمهاجمة الفرقة العسكرية الفرنسية التي كانت تمر على قريتهم. فقام الفرنسيون بقيادة Camubert برد فعل عنيف على عمليتهم إلتجأ من بعده الثوار الى قبيلة بني مليكش الثورية والتي تصدت للعدو بشجاعة ولم تنحن امام جلاده بل وضعه لمستعمر الفرنسي أقدامه على أراضيه. فاحتضنت سنة 1849 م ثورة مولاي ابراهيم الذي دعى سكان بلاد القبائل للاتحاد بثورته من بينهم قبائل بني يني وبني واسيف. وفي عام 1850 م امتدت ثورته إلى قرى بجاية. ولكن قوة العدو الفرنسي عدة وعددا تمكنت منه ودفعت قبيلة بني مليكش ثمنا غاليا في الأرواح والممتلكات حرقا مساندتها له. لكن الثورة لم تنطفئ فأشعلها من جديد. وفي نفس السنة. المجاهد الشريف بوبغلة واسمه الحقيقي محمد الأمجد بن عبد المالك ولقب باسم بوبغلة نسبة لبغلته التي كانت تضرب بارجلها كلما اقترب العدو الفرنسي من الثوار. فحاول من جديد تحريك القبائل التي جاهدت مع مولاي ابراهيم. فبعث برسائل

إليهم يحثهم فيها على الجهاد وحمل السلاح ولهذا الغرض حاولت فرنسا إلقاء القبض عليه فلم تتمكن، فالتجأ بوبغلة إلى قلعة بني عباس وهناك بدأ يتحريض القبائل، فاتصل بقبيلة بني مليكش التي استقبلته بحفاوة يوم 24 فيفري 1851 م وانضمت إلى ثورته، فجعل من قراها قلاعاً للمقاومة واتخذها كمنطلق لنشاطه الثوري. فعين أربعة قادة من سكانها وهاجم مراكز العدو واستولى على زاوية الباشاغا بني علي الشريف الموالي لفرنسا وانتزع منه ممتلكاته، وكرد فعل على أعماله الثورية دمر الجيش الفرنسي القرى المساندة له، ولتمديد ثورته الى كل مناطق القبائل اتصل ببعض الزعماء المناهضين للاستعمار من بينها زعماء قرى جبال البابور، واستطاع أن يهزم رفقة أنصاره العدو الفرنسي في بجاية وانضم أتباع الطريقة الرحمانية إلى صفوفه، ولما شعرت السلطات الفرنسية بخطورة ثورته سيرت إليه قوة ضخمة تمكنت من أتباعه وألحقت بهم خسائر فادحة وعلى إثر الهجمات المتعددة عليه من قبل العدو انسحب إلى جبال جرجرة فاختفى عن أعين الفرنسيين مدة من الزمن ليستأنف من جديد جهاده في قرى بني مليكش، وفي هذه الفترة تصدى للقبائل المعارضة لثورته والمتواطئة مع الاستعمار ورغم استسلام أحسن أعوانه إلا أنه واصل الجهاد حتى سقط شهيدا يوم 26 ديسمبر 1854 بوادي الساحل. لكن الجهاد استمر من بعده وهذه المرة على يد المرأة المجاهدة المشهورة لالا فاطمة نسومر التي أعطت درسا تاريخيا للجنرال راندون والحاكم العام للجزائر مكماهون، فمن جبال جرجرة أعلنت الجهاد باسم الإسلام فجاءها سكانها من كل المناطق، وألحقت بالجيش الفرنسي عدة هزائم من أشهرها معركة ايشريضن وتاشكريت سنة 1854 م أرغمت خلالها الجنرال راندون على الانسحاب بعد أن ألحقت بقواته العديد من الخسائر في العتاد والأرواح. ولما تفطن الجنرال إلى مدى قوة هذه المرأة طلب منها هدنة لاسترجاع أنفاسه والاستعداد لها من جديد ولكن هذه المرة بقوة أكثر عددا وعدة حيث وصلته قوات إضافية من الجزائر، فنقض راندون الهدنة سنة 1857 م وبادر بالهجوم عليها فاستولى في طريقه إليها على قرية الأربعاء "تايث ايراثن" بعد معركة دامية، ولما وصل إلى نسومر تصدت له لالا فاطمة نسومر، ودارت بينهما معركة كبيرة استشهد خلالها الكثير من جنودها لكن لالا فاطمة لم تستسلم بل بقيت صامدة في وجهه رغم ما لحقتها من خسارة، وللقضاء عليها نهائيا التجأ الجنرال راندون إلى الحيلة والمكيدة فبعث لها بوفد يطلب منها الدخول في مفاوضات لفرض الانسحاب فقبلتها لالا فاطمة نسومر وبعثت بوفد إليه يرأسه أخوها، وفي تلك الأثناء بعث الجنرال قوة عسكرية إلى مركز إقامة لالا فاطمة نسومر بمساعدة أحد الخونة

فحصاروا البيت الذي كانت تقيم به وألقوا القبض عليها سنة 1857 م ووضعوها في السجن ببني سليمان المدية، وبقت هناك إلى أن وافتها المنية في السجن سنة 1863 م. وكرد فعل على أعمالها البطولية أمر الجنرال بتدمير القرى المساندة لثورتها ومصادرة أراضيهم وفرض عليهم ضريبة حربية ثقيلة.

منتدى سور الأزبكية
www.books4all.net

ثورة أولاد سيدي الشيخ 1864 م - 1880 م

في عام 1864 م اندلعت ثورة أولاد سيدي الشيخ بالجنوب الوهراني، وكانت دوافعها كالعادة الظلم الاستعماري، وزاد الطين بلة عند اعتداء جنود الصبايحية التابعين للمكتب العربي بالبيض على سي فضيل كاتب سي سليمان زعيم أولاد سيدي الشيخ، فاستقال هذا الأخير من منصب الباشاغا، وسلك طريقا مخالفا لأبيه سي حمزة الذي كان متعاونا مع فرنسا، وعقد مجلسا حربيا مع افراد عائلته أعلنوا خلاله الجهاد ضد الاستعمار الفرنسي. فكتب سي سليمان رسائل الى القبائل يحثهم فيها على الثورة، وانضم إلى حركته العديد من العروش من بينهم عمه سي الأعلى بالصحراء الشرقية و الذي لعب دورا فعالا في ثورة أولاد سيدي الشيخ، وكان اول لقاء بالعدو يوم 8 أفريل 1864 م في معركة عوينة بوبكر كبد خلالها العدو الفرنسي خسائر فادحة بحيث لم ينج منها حتى قائدهم بوبريتر Beauprêtre الذي قتل إلى جانب سي حمزة قائد الثورة. فخلفه أخوه سي محمد بن حمزة وامتدت الثورة إلى عدة مناطق من ارض الوطن قادها كل من سي الأعلى بالصحراء الشرقية في ورقلة وسي الأزرق بلحاج بالونشريس والنعيمي ولد جديد ببوغار وقاموا بمهاجمة المراكز الفرنسية، وأمام هذا الوضع الخطير حشدت فرنسا كل قواها للتصدي لهم، فعينت لهذ الصدد أربع جنرالات فأرسلت الجنرال يوسف إلى جبال عمور و دولين الى جنوب وهران وليوهير الى جنوب مدينة تيارت والجنرال روز إلى قليتة لملاحقة سي الأزرق بلحاج، لكن رغم هذ الدعم الكبير لم يستطيعوا فعل شيئ أمام صمود المجاهدين بل بالعكس زادت رقعة المعركة اتساعا في كل من شرية والأغواط وسعيدة. و انضم اليهم الزعيم ناصر بن شهرة في ورقلة وقام الثوار بمهاجمة الكتائب الفرنسية و تدمير مزارع المعمرين والمؤسسات الاقتصادية الفرنسية. وكرد فعل قام الجيش الفرنسي بتدمير القرى ومصادرة ممتلكات القبائل الثورية، وفي يوم 22 فيفري 1865 م استشهد الزعيم الثاني للثورة في معركة سيدي الشيخ متأثرا بجروحه وذلك خلال مواجهة قوته للعدو الفرنسي بقيادة الجنرال دولين. فخلفه في قيادة الثورة أخوه سي محمد ولد حمزة ولكن القائد الحقيقي كان عمه سي الأعلى وهذا نظرا لصغر سي أحمد. وخاض الاثنان عدة معارك ضد الاستعمار من بينها معركة حاسي بن العقاب، وغار القبعور عام 1866 م تكبد خلالها الطرفان خسائر في الأرواح و العتاد. وفي شهر

أكتوبر 1868 م توفي الزعيم الثالث للثورة سي أحمد علي إثر مرض الكوليرا. فتحمل المسؤولية أخوه سي قدور ولد حمزة إلى جانب عمه سي الأعلى فقاموا بمهاجمة القبائل المعارضة و لمناوئة مع الاستعمار الفرنسي، وفي يوم 15 أفريل 1871 م دارت معركة عنيفة بين قوات سي قدور ولد حمزة وجيش الضابط الفرنسي دي ميلوزا في منطقة بسعيدة تحرر فيها الجانبان، ورغم المحاولات الفرنسية المتكررة للدخول في مفاوضات مع أولاد سيدي الشيخ لتوقيف القتال، لا أنها لم تنجح وبقي الوضع هكذا حتى تقلص نشاط الثورة شيئا فشيئا ليفسح المجال من جديد لثائر اخر من أولاد سيدى الشيخ كثر صمود وشجاعة وهو الشيخ بوعمامة.

منتدى سور الأزبكية
www.books4all.net

انتفاضة 1871 م

شهدت الجزائر عام 1871 م انتفاضة و ثورة كبيرة ضد الاحتلال شملت معظم مدن البلاد، وانطلقت بوادرها الأولى في شهر جانفي 1871 م من مدينة سوق أهراس حيث تمرد سكانها على قرار التجنيد في صفوف الجيش الفرنسي لمحاربة بروسيا فالتحقوا بالجبال، ومن هذه المدينة امتد التمرد إلى تبسة وقسنطينة ومن بعدها الحضنة وسطيف وجيجل وسور الغزلان الخ. وانضم إليها محي الدين بن الأمير عبد القادر الذي جاء خصيصا من سوريا لتشجيع الجماهير والمشاركة في هذه الانتفاضة واستجابة لندائه انضمت عدة قبائل للثورة. واستأنفت قبائل أولاد سيدي الشيخ بالجنوب الوهراني القتال، وفي نفس الوقت الذي كان بوشوشة و ناصر بن شهرة ينظمان الانتفاضة في الصحراء الشرقية كان المقراني يستعد لها في الشمال. وكانت الظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية في ذلك الوقت تساعد وتدفع السكان للثورة خاصة بعد هزيمة الجيش الفرنسي في سيدان عام 1870 على يد القوات البروسية، بالاضافة إلى الفقر والحرمان والظلم الذي كان يعيشه الشعب في ظل الاحتلال جراء مصادرة أراضيه الفلاحية والمجاعة الكبرى والقاتلة التي سبقتها عام 1868 م. فاستغل قادة الانتفاضة هذه الظروف لتعبئة الجماهير وإعلان الثورة باسم الإسلام لطرد المحتل. وقد لمع في هذه الانتفاضة كل من المقراني والشيخ الحداد الذين كانا لهما الشرف بإعلان الجهاد في منطقة القبائل. فأتاحت هذه الظروف لباشاغا المقراني بتوجيه نداء للسكان لحمل السلاح. وكانت عائلة المقراني تعيش منذ قرون في قلعة بني عباس تملك أراضي واسعة ولها نفوذ على عدة قبائل، فقدم المقراني استقالته للسلطات الفرنسية من منصب الباشاغا وأجرى اتصالات مع رؤساء القبائل الذين أعطوه موافقتهم للقتال. وفي 15 مارس 1871 م عقد المقراني مجلسا حربيا مع أفراد عائلته وقواده في مجانة أعلنوا فيه الجهاد. وبعث المقراني رسالة إلى الحاكم العام بالعاصمة يعلن فيها الحرب، فأخرج الفلاحون بنادقهم وبدأت عملية اغتيال المعمرين، وفي 16 مارس زحف المقراني على برج بوعريريج مهاجما على رأس ثمانية آلاف فارس وتحسبا لهذه الاضطرابات استقدم القائد الفرنسي ترويلت تعزيزات هامة من مدينة الجزائر، وشن المقراني وبومزراق هجومات عديدة على المراكز الفرنسية كبدوا خلالها خسائر كبيرة للجيش الفرنسي، وسبب هذا الوضع هلع في أوساط المعمرين أجبرهم على الرحيل إلى المدينة. ولإعطاء دفع قوي لهذه الثورة بعث المقراني بوفد إلى الشيخ الحداد يدعوه إلى تدعيمها، فاستقبل شيخ زاوية الرحمانية هذا الطلب بسرور وكان يبلغ آنذاك ثمانين سنة، فدعى الحداد يوم 8 أفريل أتباعه

يسوق صدوق للإنضمام لهذه الثورة المقدسة، فكان لندائه صدى عميقا في أوساط السكان مما زاد في شعبية هذه الانتفاضة ونجاحها. وامتدت شيئا فشيئا حتى عمت كل بلاد القبائل. ونمكن الثوار من محاصرة مدينة تيزي وزو وذراع الميزان وبني ورتلان ووصلوا حتى تيجلابين. وخوفا من انتشارها إلى مدينة الجزائر وضع الجيش الفرنسي حواجز لحصرها في هذه المنطقة، ورغم الامكانيات الكبيرة المتوفرة للعدو من بنادق ومدفعية، الا أنه لم يتمكن من اخمادها. وخاض أتباع المقراني والحداد معارك عديدة تمكنوا خلالها من احراز عدة انتصارات على العدو. وفي 5 ماي وبعد شهرين من انطلاق الثورة سقط المقراني شهيدا بكدية المسدور اثر رصاصة تلقاها في جبهته اطلقها أحد الجنود الفرنسيين. فتولى أخوه بومزرق القيادة العامة للثورة، وفي اليوم الذي ألقي القبض على الشيخ الصوفي الحداد في شهر 13 جويلية 1871 م واصل أبناؤه العزيز ومحند الثورة، وأعلن في نفس اليوم البركاني الجهاد بضواحي شرشال و جبال بني منصر في ولاية الشلف. وبقيت المعارك دائرة بين قوات بومزرق و الجيش الفرنسي إلى أن تمكن هذا الأخير من فك الحصار وإخمادها في شهر أوت. و عندما استسلمت معظم القبائل في الشمال استمرت الثورة في الجنوب بقيادة بوشوشة، وانتقل بومزرق إلى تونس رفقة عائلته حيث ودعها وعند عودته بمفرده إلى الجزائر لمواصلة الجهاد أسرته دورية عسكرية فرنسية بالقرب من عين صالح عام 1872 م وجدته ساقطا مغميا عليه من شدة التعب والعطش، واستمر من بعده بوشوشة الكفاح إلى غاية عام 1874 م حيث أسر جريحا في عين صالح وصدر في حقه حكم بالاعدام نفذ يوم 29 جوان 1875 م بمدينة قسنطينة.

ولم يتمكن الاستعمار من إخماد هذه الانتفاضة إلا بعد خوض ثلاثة مائة معركة في كامل التراب الوطني، وبرجوع النظام و الأمن في الشمال والشرق والغرب شرع في قمع القبائل المشاركة في الثورة و تنزع منها حوالي 350000 هكتارات من الأراضي الفلاحية، وفرض عليها ضريبة حرب فاحشة. ووضع مجالس حربية لمحاكمة قادة الانتفاضة. فحكم على الشيخ الحداد بخمس سنوات لم يقض منها إلا خمسة أيام حتى وافته المنية في سجن قسنطينة، أما بومزرق فحكم عليه بالاعدام ثم استبدل بالأشغال الشاقة المؤبدة نفي من بعدها مع مجموعة من الجزائريين إلى كاليدونيا الجديدة .

ثورة بوعمامة
1881 م- 1883 م

الشيخ بوعمامة بن العربي بن التاج من عائلة أولاد سيدي الشيخ ينتمي إلى فرع الغرابة وهو شيخ زاوية متدين من أتباع الطريقة القادرية برزت شخصيته في سنة 1880 م ونظرا لعفته وتقواه اشتهر اسمه بين القبائل وكثر أتباعه فأصبح الناس يتوافدون على زاويته، مما أدخل الرعب في نفوس السلطات الاستعمارية المتمثلة في المكاتب العربية، فمنع الفرنسيون السكان من زيارة زاويته وشددوا الرقابة عليه مما أزعج بوعمامة فاحتج على تصرفاتهم الجاسوسية في مدينة البيض، فكان يتظاهر أمام العدو بالولاء، وهي نفس الوقت كان يخطط للنشاط الثوري رفقة أنصاره، فكتب للقبائل يدعوهم للجهاد، واستطاع أن يجمع حوله العديد من الثوار، فطلب من أتباعه جمع السلاح والمؤونة والاستعداد للجهاد، فأشعلها نارا على العدو الفرنسي ابتداء من يوم 22 أفريل 1881م، فقام المجاهدون بقتل نائب رئيس المكتب العربي الفرنسي وانبرونز ومهاجمة مزارع المعمرين وتخريب المؤسسات الاقتصادية الفرنسية، وخاض الشيخ بوعمامة عدة معارك ضد الجيش الفرنسي وألحق بهم هزيمة نكراء في معركة فرندة أجبرهم خلالها على الانسحاب إلى مدينة عين الصفراء وكذلك معركة الشلالة وازدادت رقعة الحرب اتساعا، فبالاضافة إلى مدينة عين الصفراء امتدت في كل من نواحي تيارت وسعيدة وعين صالح، فجندت فرنسا قواتها المدججة بالسلاح الثقيل المتطور للقضاء عليه في حرب غير متكافئة عدة وعددا، إلا أنها لم تفلح أمام شجاعة وصمود بوعمامة وأنصاره فعرضت عليه فرنسا مفاوضات سلم، إلا أنه رفضها واستمر في الكفاح إلى غاية 1883 م السنة التي وضع العديد من أنصاره السلاح، إلا أن مناوشات الجيش الفرنسي بقت مستمرة، وفي سنة 1909م رحل الشيخ بوعمامة إلى المملكة المغربية واستقر بالقرب من العيون أين أسس زاويته و عاش فيها حتى وافته المنية سنة 1909 م.

دعوة إلى الجهاد من الشيخ بوعمامة إلى السكان

إلى جماعتنا المحروسة بعين الرضى كافة جماعة الشعانبة أخص منهم الأعيان القائمين بأمر الزمن قبيلة بعد قبيلة من غير تخصيص أرشدكم الله وأعانكم، وللخير والجهاد وفقكم. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته وتحيته ورضوانه

وخيرته وإحسانه وإتمامه وإفضاله، وبعد نعلمكم أعلمكم الله خيرا، نريد قدومكم و تتلاقوا على أمر الجهاد في سبيل الله، هذ الامر كذا كذ المنادي من قبال كذا الله ومن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبأمر رجل الله الصالحين، من أراد منكم ذلك كذا فالله يوافقه كذا ويعمه كذا، يأتينا في الحليات، هذا الموعد الصحيح الذي بيننا وبينكم، ومن لم يرده فلا حاجة لنا به ولا يأتين بعد ذلك والسلام، وكتب بأمر سيدنا نصره الله وعلى الكفر أعدة سيدنا ابوعمامة بالعرب بن الحرمة أمنه الله ورعاه

منتدى سور الأزبكية
www.books4all.net

ثورة التوارق
1916م - 1919م

في عام 1916 م اندلعت ثورة التوارق في الصحراء الكبرى الجزائرية وامتد لهيبها إلى مناطق جانيت وتاغيت والهقار ولمع فيها كل من أحمد سلطان والشيخ عبد السلام، فاستغل قادة هذه الثورة انشغال فرنسا بظروف الحرب العالمية الأولى (1914م - 1918م) ليعلنوا جهادهم ضد المحتل الفرنسي، فسلحوا جنودهم بالبنادق والمدفعية التي انتزعوها من الجنود الايطاليين الذين احتلوا ليبيا عام 1912 م واتجهوا نحو واحة جانت أين كان يوجد بها مركز عسكري فرنسي بقيادة الضابط لوران لابيير Laurent Lapierre، فحاصروا المركز مدة ثمانية عشر يوما ابتداء من يوم 6 مارس 1916م. وقبل البدأ بالهجوم عليهم بعث الشيخ عبد السلام برسالة إلى الضابط الفرنسي يحثه فيها على الاستسلام، إلا أنه رفض فعندئذ أمر الشيخ بمهاجمة الحصن بالرصاص و المدفعية و تبادل الطرفان إطلاق النار، إلا أن الغلبة في النهاية كانت للثوار الجزائريين اذ تمكنوا من اقتحام حصن جانيت يوم 24 مارس، وانسحب لابيير رفقة الجنود الذين تبقوا معه من الفرنسيين والصايحية نحو حصن بونيتياك الموجود باليزي، وعندما وصلوا إلى منطقة تيماركت سمعوا بأن قافلة نجدة فرنسية في الطريق إلى الجنات فقرر الضابط العودة، وفي طريقهم فوجئوا بثوار عبد السلام يحاصرونهم من كل جانب، فاستسلم الضابط لابيير والتحق معظم الصايحية الذين كانوا معه بالثوار فأسروه، وكرد فعل على هذه العملية سيرت السلطات العسكرية الفرنسية جنودها بقيادة الضابط مينيي Meynier لاسترجاع حصن جانيت ولم يتمكن منها إلا بعد معركة دامية انسحب على اثرها الشيخ عبد السلام وأحمد سلطان رفقة جنوده إلى تاغيت، وفي عام 1917م كون أحمد سلطان قوة تتكون من حوالي ثلاثة مائة شخص و بادر فيها بالهجوم على مراكز العدو إلى أن تمكنت منه فرنسا. وفي نفس الوقت الذي كان فيه توارق جانيت يحاربون العدو كانت الثورة مشتعلة في الهقار، فقام ثوارها سنة 1916م بقتل الأب دو فوكولد de Foucauld الذي كان يعمل لصالح الجيش الفرنسي في الصحراء متسترا وراء الأعمال الخيرية، وكان مقتله بداية لثورة كبيرة في الهقار دامت إلى غاية 1919م تزعمها القائد كاوسن التارقي.

انتفاضة عين التركي

وفي مطلع القرن العشرين شهدت منطقة الغرب الجزائري انتفاضة سكان عين التركي وملیانة في آبريل 1901م، ومن العوامل التي ادت الى هذا الانفجار الظلم الاستعماري الذي تعرض له سكانها من مصادرة أراضيهم الفلاحية وتوزيعها على المعمرين الأوروبيين، إضافة إلى السياسة الجائرة التي كانت تطبقها على الاهالي. وبلغ الغضب اقصاه في يوم 26 آبريل 1901م عندما احتشد اكثر من مائة شخص من سكان ريفة، ودخلوا في مشادات مع رئيس البلدية واعوانه وقتلوا عددا قليلا من الأوروبيين وسيطروا على البلدية طوال اليوم إلى ان وصلت كتيبة من الجيش الفرنسي من مدينة ملیانة، وسيطرت على الوضع، وقتلت ستة عشر شخصا، وقتل واحد من جنودها، وعلى إثر هذه العملية قامت السلطات الاستعمارية باعتقال كل رجال القرية، وقامت بالتحقيق معهم، وقدمت غرفة الاتهام 123 شخصا للمحكمة بتهمة التمرد، واحيل محضرهم على محكمة جنايات مونبيلي بفرنسا وتمت محاكمتهم يوم 8 فيفري، فحكم على الشيخ يعقوب زعيم المتمردين بالأشغال الشاقة المؤبدة ومات في سجنه سنة 1903م، وحكم على 81 بالبراءة والباقي بالسجن لمدة قصيرة. واستنكر المعمرون هذا الحكم، إلا ان الشعب الجزائري لم يخف بطش العدو الفرنسي ولم يستكن الى الضيم والذل فاندلعت ثورة اخرى بعين بسام سنة 1906م دوافعها كالعادة الظلم والوجود الاستعماري ومحركها الدين الإسلامي لكنها كسابقاتها لم تنجح في بلوغ هدفها الاسمى وهو طرد المستعمر وذلك لعدم شموليتها واقتصار ثورتها على مناطق معينة من ربوع الوطن

قانون التجنيد

وفي 3 فبراير 1912م أصدرت الحكومة الفرنسية مرسوم الخدمة العسكرية الاجباري على الاهالي من الشباب للالتحاق بالجيش الفرنسي. وعارض الشعب الجزائري قرار التجنيد معارضة شديدة لأنهم كانوا يرون فيه مساسا بشخصياتهم الاسلامية. واكتست هذه المقاومة اشكالا مختلفة كالهجرة إلى بعض البلدان الاسلامية كالحجاز وسوريا و تركيا و تنظيم المظاهرات وإرسال الوفود الى فرنسا للاحتجاج ضد الحكومة الفرنسية، والهجوم على الفرق العسكرية المكلفه بالتجنيد. ورغم أن النخبة المثقفة من الجزائريين قد قبلت مبدأ الخدمة العسكرية. لا أنها اشترطت بالمقابل ان تمنح للجزائريين الحقوق السياسية والمدنية سواسية مع المعمرين الاوروبيين وهذا ما رفضته فرنسا. وتحول هذا الغضب الى انتفاضة بني شقران بضواحي معسكر سنة 1914 م تمرد سكانها على قانون التجنيد وكادت أن تتحول إلى ثورة كبيرة لولا تدخل الجيش الفرنسي ولخمادها. وبعد سنتين من هذا التاريخ ثار الأوراسيون في شهر نوفمبر 1916م. وتعتبر هذه الثورة اخر الثورات المسلسة الدتعاقبة بعضها البعض ولم يقض عليها الاستعمار الفرنسي الا بعد الحرب العالمية الأولى. وكانت نتيجة هذا التجنيد أن شارك أكثر من مائة الف جزائري في الحرب العالمية الأولى 1914م- 1918م وبلغت حصيلتها في صفوف الجزائريين كما يلي 19,074 قتلى و72.035 جرحى و8 779 مفقودين.

المقاومة السياسية

في بداية القرن العشرين و بالضبط مع نهاية الحرب العالمية الأولى تغير أسلوب الشعب الجزائري في مقاومته للاحتلال الفرنسي إذ لم يعد يعتمد على المقاومة الشعبية المسلحة المنطلقة من الأرياف بل ستأخذ أسلوب جديد والمتمثل في النضال السياسي عن طريق الأحزاب السياسية والجمعيات والنقابات والصحف والمظاهرات. ويرجع الفضل في ذلك بالدرجة الأولى إلى المهاجرين الجزائريين بفرنسا الذين سمح لهم إحتكاكهم بالمجتمع الفرنسي على التطلع على ما يجري في العالم من تغيرات سياسية واقتصادية واجتماعية. وظهر خلال هذه الفترة تياران : تيار ينادي بالاندماج و ربط الجزائر بفرنسا كوسيلة لتحقيق المساواة في الحقوق مع المواطنين الأوروبيين ومن أهم الأشخاص الذين تزعموا هذا المطلب ابن التهامي والدكتور بن جلول والصيدلي فرحات عباس وهم عبارة عن نخبة مثقفة تخرجت من المدارس الفرنسية وتبنت أفكارا غربية هذا بالاضافة إلى الحزب الشيوعي الجزائري، وتيار ينادي بالحل الجذري و من مطالبه استقلال الجزائر و يتزعمه نجم شمال افريقيا بقيادة مصالي الحاج.

الأمير خالد

هو خالد بن الهاشمي حفيد الأمير عبد القادر. ولد بدمشق يوم 20 فبراير 1875 م حيث قضى طفولته. وفي هذا البلد العربي الذي كان تابعا للامبراطورية العثمانية تأثر الأمير خالد بكل من أفكار الحركة اللائكية "الشباب التركي" وأفكار حركة النهضة للمصلح المصري محمد عبده. وفي سنة 1892 م رحل مع عائلته الى الجزائر، ثم تابع دراسته بثانوية لويس الاكبر بباريس أين تحصل على شهادة البكالوريا، في عام 1892 م بتوصية من والده التحق بكلية سان سير الحربية. ولكن عاد بها سنة 1893 للعودة إلى الجزائر، ثم رجع إليها سنة من بعد ليكمل دراسته، وتخرج منها برتبة ضابط. من بعدها عاد الى الحياة المدنية. واصبح يتردد على نوادي "الشباب الجزائري" وهي حركة تأسست سنة 1909 م على يد مجموعة من النخبة الجزائرية المفرنسة والمساندة لفكرة الاندماج والتي بعثته سنة 1913 م الى باريس لالقاء محاضرات حول أوضاع المسلمين بالجزائر. بانتهاء الحرب العالمية الاولى التي شارك فيها، عاد الامير خالد سياسيا سنة 1919 م صفوف الجيش الفرنسي برتبة نقيب. وكان الشعب الجزائري في تلك الأوقات يعيش ظروفا قاسية مما دفعه لتكريس حياته للنضال السياسي قولا وكتابة من اجل استرجاع تلك الحقوق المهضومة. فاتخذ من تضحيات الشعب الجزائري ابان الحرب العالمية الأولى وسيلة لمطالبة الحكومة الفرنسية باحترام وعودها اتجاه الشعب الجزائري والتي كررتها العديد من المرات على لسان رئيس وزرائها كليمانصو. وكانت مبادئ ولسون المنادية لحق الشعوب في تقرير مصيرها منتشرة في أوساط الدول المستعمرة، فرأى الأمير خالد يومئذ أن يعرض قضية الجزائر على الرئيس الامريكي ولسون بمناسبة انعقاد مؤتمر فرساي بفرنسا سنة 1919 م. فحرر عريضة له يبين فيها حالة الجزائر في ذلك الوقت وطلب بادخال القطر الجزائري تحت رعاية جمعية الأمم. ولكن مبادئ ولسون أخفقت في التنفيذ لمعارضتها من قبل الدول الاستعمارية فلم يجد الحل امامه الا بالاستمرار في التفاوض مع الحكومة الفرنسية لغرض الاحراز على حقوق الجزائريين. واستطاعت بصلاحات كليمانصو عام 1919 احداث تغييرات على الساحة السياسية الجزائرية حيث وحدت الضرائب، وألغت الضرائب الأهلية والقوانين الزجرية وزيدت في عدد الناخبين للمجالس التمثيلية المحلية. إلا ان هذه الاصلاحات لم تحقق المساواة التامة ورغم هذا عارض المعمرون الأوروبيون قانون كليمانصو وذهبوا الى فرنسا لمطالبة الحكومة الفرنسية

بالغائه. ونتيجة لذلك الغيت الكثير من الحقوق التي منحت للأهالي واعيدت احكام الانديجينا. ووجدت الافكار التي تبناها الامير خالد صدى كبير لدى الجماهير وساندها الكثير من المثقفين الجزائريين و سمحت له بالفوز في مدينة الجزائر بالانتخابات البلدية في سبتمبر ١٩٢٧ م. على برنامج رفض من خلاله التجنس ولكنه لم يكمل عهدته و استقال في شهر اكتوبر 1920 م. لينتخب من جديد مع مجموعة من أنصاره في شهر جانفي ١٩٢١ م. ووجد عراقيل كثيرة من الادارة الفرنسية اثناء اداء مهامه. فقرر الاستقالة من جديد في 2 ماي 1921 م. وبالحاح من السياسيين الجزائريين رشح نفسه و فاز في الانتخابات التكميلية لشهر جويلية ١٩٢١ م. ولم يتوقف عند هذا الحد بل وصل بحماسه تدشين جريدة الاقدام في ١١ سبتمبر ١٩٢١ م. وجمعية " الاخوة الجزائرية " وكان يفكر في تاسيس حزب سياسي كبير لكن لظروف معينة لم يتحقق. ولما شعر المستعمر الفرنسي بخطورة هذا النضال لم يضيق من حركة خالد وانصاره فاجبر على الرحيل الى سوريا سنة ١٩٢٣ م. وكان واصل نضاله السياسي بفرنسا ابتداء من عام ١٩٢٠ م. حيث نشط عدة ندوات ومؤتمرات للتعريف بالقضية الجزائرية. وساند على الصعيد المغاربي ثورة الامير عبد الكريم الخطب بالريف المغربي ضد الغزو الاستعماري المزدوج الاسباني الفرنسي والذي أدى الى احتلال المغرب كلية سنة ١٩٢٦ م. وطلب من الجزائريين الاندماج في الاحزاب والمنظمات النقابية الفرنسية التي تدافع عن مصالح بلادهم وهذا ما قام به فعلا بعض الجزائريين و منهم الحاج علي عبد القادر ومصالي الحاج بالانخراط في الحزب الشيوعي الفرنسي والتحقوا من بعده في شهر جوان ١٩٢٦ م. نجم شمال افريقيا. وغادر الامير خالد باريس سنة ١٩٢٤ م متوجها الى مصر ثم سوريا ورغم غيابه عن الجزائر رشح نفسه في الانتخابات البلدية لمدينة الجزائر عام ١٩٢٥ م. ضمن قائمة الحزب الشيوعي الفرنسي لكن هذه المرة لم يفز وتوفي بدمشق بسوريا يوم 9 جانفي ١٩٣٨ م. عن عمر يناهز 61 سنة.

وكانت مطالب الامير خالد التي تعد بمثابة برنامجه السياسي تتمثل فيما يلي:

1 - اعطاء حق الانتخاب للمسلمين الجزائريين لتكون لهم ممثلين في مجلس الامة ومجلس الشيوخ بنسبة تساوي في عددها نسبة الفرنسيين الجزائريين.

2 - الغاء مبدأ القوانين الزجرية والاستثنائية والمحاكم المختصة والرجوع للقوانين المتبعة للحق العام.

3 - المساوات في الحقوق التامة مع الاوروبيين في العـــائل العسكرية.

4 - الاعتراف بالحق للمسلمين الجزائريين في الوصـول الى كـل درجـات التوظيف العمومي غير متقيدين إلا بشرط الكفاية.

5 - تنفيذ قانون التعليم الإجباري على سائر المسـلمين ' مع اعطاء الحرية للتعليم الحر.

6 - حرية الصحافة و التعبير.

7 - الحرية التامة لسائر المسلمين في السفر لفرنسا.

8 - تنفيذ القوانين الاجتماعية على العمال الجزائريين.

9 - إعلان العفو العام.

10 - فصل الدين عن الحكومة فيما يخص الشريعة الاسلامية.

نجم شمال افريقيا

في جو سادته الأفكار الثورية بعد الحرب العالمية الاولى من الثورة البولشفية السوفياتية التي أطاحت بالعهد القيصري، ومبادئ ويلسون المنادية بحق الشعوب في تقرير مصيرها، ثم الفكر النضالي الحديث الذي بدأ يظهر على الساحة العالمية فمن ثورة تركيا إلى حرب الريف بالمغرب وانتهاء باحتلال سوريا، في هذا الجو المشحون بالثورات ولد نجم شمال افريقيا، وبعد أول حزب وطني الذي كان له الشرف من سنة 1926م إلى 1937م وفي ظروف صعبة قيادة المعركة السياسية من أجل استقلال الجزائر. وأنشيء على يد العمال المهاجرين الجزائريين المقيمين في فرنسا بتأثير ومساندة الحزب الشيوعي الفرنسي في يوم الاحد 20 جوان 1926 م بباريس، بمبادرة من رئيسه الحاج علي عبد القادر ومساعدة الكاتب العام مصالي الحاج وأمين المال شابيلة الجيلالي والأعضاء الجيلاني محمد السعيد واكلي بانون ومعروف محمد. ولعب الدور الكبير فيه مصالي الحاج، وهو من مواليد 16 ماي 1898م بتلمسان حفظ بها القران ثم دخل إلى المدرسة الفرنسية وتعلم بها قليلا، جند في الجيش الفرنسي أثناء الحرب العالمية الأولى وعمل بفرنسا في مصنع رونو ثم بانغا متجولا، انخرط في بداية نضاله السياسي في صفوف الحزب الشيوعي الفرنسي وتزوج من فرنسية شيوعية، وظل مقيما بفرنسا بعد الاستقلال إلى أن توفي عام 1973 م ودفن بمسقط رأسه تلمسان. وكان من أهداف الحزب الكفاح من أجل الاستقلال الكامل للدول الثلاثة الجزائر وتونس والمغرب ووحدة شمال افريقيا والدفاع على شعوب هذه الدول والتنديد بالمظالم التي تعاني منها والمطالبة بحقوقهم، وفتحت باب الانخراط في صفوفها لجميع مسلمي شمال افريقيا المقيمين بفرنسا وعملت في أوساط الطبقة الشغيلة مع مختلف المنظمات العمالية الفرنسية المناهضة للامبريالية. فكانت في البداية لا تمثل إلا الجالية المهاجرة، ولم تتوغل وتفرض برنامجها السياسي في الساحة الجزائرية الا ابتداء من الثلاثينيات، وتتلخص مطالبه يوم انشائها فيما يلي

- إلغاء قانون الاندجينا والبلديات المختلطة والمناطق العسكرية، حق الانتخاب والترشيح في جميع المجالس ومن بينها البرلمان الفرنسي بنفس الحق الذي يتمتع به المواطن الفرنسي، إلغاء جميع القوانين الاستثنائية والمحاكم الزجرية والمراقبة الإدارية وذلك بالرجوع للقوانين العامة، المساواة في التجنيد بين الجزائريين والفرنسيين، المساواة في الالتحاق بالوظائف العليا المدنية والعسكرية

بدون تمييز مع الكفاءة، التطبيق التام لقانون التعليم الإجباري مع حرية التعليم لجميع الأهالي وإجبارية تعليم اللغة العربية، حرية الصحافة وانشاء الجمعيات واحترام الحقوق السياسية والنقابية، تطبيق قانون فصل الدين عن الحكومة فيما يخص الدين الاسلامي، تطبيق القوانين الاجتماعية والعمالية على الأهالي، حرية التنقل الى فرنسا من غير قيود، تطبيق قوانين العفو العام على الأهالي المسجونين سياسيا

ولأجل الدفاع عن هذه المطالب أصدرت حركة نجم الشمال الإفريقي بفرنسا جريدة الأقدام الباريسي ثم جريدة أقدام شمال افريقيا وكلاهما لم يعمر طويلا. وفي شهر فبراير من عام 1927 م انعقد مؤتمر بروكسل المناهض للاستعمار وحضره ممثلان عن حركة نجم الشمال الافريقي مصالي الحاج من الجزائر وشاذلي خير الله من تونس إلى جانب شخصيات اخرى امثال نهرو من الهند وسوكارنو من اندونيسيا وهوشي منه من الفيتنام وعدة منظمات عمالية تمثل القارات الخمس. وقدم مصالي الحاج المطالب الجزائرية المتمثلة فيما يلي :

- استقلال الجزائر.

- جلاء قوات الاحتلال الفرنسية.

- تأسيس جيش وطني وحكومة جزائرية.

- حجز الاملاك الفلاحية الكبيرة التي استولى عليها الاقطاعيون وارجاعها الى الفلاحين الذين سلبت منهم.

- احترام الأملاك الصغيرة و المتوسطة.

- ارجاع الأراضي و العائدات التي استولت عليها الحكومة الفرنسية الى الحكومة الجزائرية

إلى جانب هذا طلب بإجراءات فورية منها الغاء قانون الاندجينا و القوانين الاستثنائية وإعطاء الحقوق السياسية والمدنية للجزائريين. و طلاق سراح المسجونين السياسيين وحرية الصحافة والجمعيات والاجتماعات.

وفي سنة 1930م بمناسبة مرور قرن على احتلال الجزائر نظمت فرنسا احتفالات كبيرة صرفت فيها أموالا باهظة. وفي هذه الاثناء بعث مصالي الحاج بمذكرة الى الأمين العام لعصبة الأمم تحدثه فيها عن ظروف الاحتلال والمظالم التي

يعيشها الشعب الجزائري. كما اصدر النجم في شهر اكتوبر من نفس السنة العدد الأول من جريدة الأمة بباريس وكان مديرها ومؤسسها مصالي الحاج. وتوقفت عن الصدور في أوائل الحرب العالمية الثانية. وفي يوم 28 ماي 1937م تعقد مؤتمر نجم الشمال الافريقي و حدد فيه برنامجه السياسي والقوانين الداخلية والمطالب المستعجلة التي صودق عليها بالاجماع. وبسبب حل الحزب أسس أعضاؤه عام 1934م نجم الشمال الافريقي المجيد. كما ان للنجم السجل ولكن في نفس السنة كسرت المحكمة حكمه حل النجم. لأنه لم يبقى في الوقت القانوني. وهكذا اعيد النجم الشمال الافريقي الاول. وفي نفس السنة اعتقل مصالي الحاج رفقة عميماش وزاجف وحكم عليه الاول بستة اشهر وغرامة الف فرنك فرنسي عن كل يوم. وعلى الثاني بثلاثة اشهر وخمسة الاف فرنك فرنسي عن كل يوم. وفي جويلية 1936م وقعت بين المسلمين الجزائريين واليهود في قسنطينة التي وقعت بين المسلمين الجزائريين واليهود في 5 اوت 1934م حيث اعتدى يهود قسنطينة على المساجد ومسلميها واطلاق الرصاص عليهم وحمايتهم من الشرطة الفرنسية بعث نجم شمال افريقيا وفدا بقيادة محامي للدفاع عن الجزائريين الذين تصدوا لهم. كما وقف النجم إلى جانب إخوانه التونسيين الذين يقاومون الاستعمار الفرنسي إلى الصحراء وبعثت وفدا إلى لمرلمان للتدخل لتحرير القادة التونسيين. وفي فبراير 1936م اسس الاتحاد الوطني لمسلمي شمال افريقيا كحلف لنجم الشمال الافريقي الذي حلته الحكومة ثانية. اما عن الصعيد العالمي فقد رافع النجم على قضية احتلال الحبشة من طرف ايطاليا وعت بوعد الى عصبة الأمم يستنكر فيه هذا العمل الشنيع. كما شارك في مؤتمر مسلمي اوروبا الذي انعقد بجنيف تحت رئاسة الامير شكيب ارسلان ونعت هذا الأخير دورا كبيرا في تعبير فكره السياسي من الشيوعية إلى الأفكار القومية العربية الاسلامية. ووقف مع القضية الفلسطينية أثناء احتلال هذه الاخيرة سنة 1948م من طرف الصهاينة اليهود. واستفاد مصالي الحاج ورفقاؤه من العفو العام عن السياسيين الذي اصدرته الجبهة الشعبية عند فوزها بالانتخابات التشريعية ورحل مصالي من جنيف. وعند عودته الى الجزائر ألقى مصالي الحاج يوم 2 اوت 1936م خطابا امام حشد كبير من المواطنين بالملعب البلدي للجزائر حثهم على النضال وسرد برنامج يوم فيوليت وقررت الحزب الاسلامي المطالبة بسياسة الاندماج والحاق الجزائر بفرنسا. وقام من بعدها بجولات في العديد من المدن الجزائرية القى خلالها عددا من الخطب موضحا فيها البرنامج السياسي للنجم كسبته العديد من الانصار مما سمح له بفتح فروع كثيرة عبر التراب الوطني. وفي عام 1936م عرفت الجزائر احتجاجات كبيرة قادتها الطبقة الشغيلة الجزائرية وبدأ المواطنون يعون حقوقهم و

يتاركون في المظاهرات السياسية، وبينما كانت الحرب الأهلية مشتعلة في اسبانيا سنة 1936م طلب الحزب الشيوعي الفرنسي من نجم الشمال الافريقي أن يبعث بمناضليه ليحاربوا في صف الجمهوريين وكانت الحكومة الفرنسية تؤيدهم. فطلب النجم من الحكومة الجمهورية أن تصرح باستقلال الريف كشرط أساسي للكفاح معهم، فسبب له هذا الموقف قرارا أصدرته حكومة الجبهة الشعبية حل بموجبه نجم شمال إفريقيا في يوم 26 جانفي 1936م. ولكن زعماءه واصلوا النضال باسم أحباب الأمة، وفي اجتماع بباريس يوم 11 مارس 1937م أعلن اعضاء أحباب الأمة تأسيس حزب الشعب الجزائري.

جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

تأسست جمعية العلماء في 5 ماي 1931م بنادي الترقي بالجزائر العاصمة وضمت رجال الطرق والاصلاح في سنتها الاولى وانتخب الإمام عبد الحميد بن باديس رئيسا لها، ولم يتمكن الاصلاحيون من فرض ارائهم الا في سنة 1932م. وولد بن باديس سنة 1889م بقسنطينة ابن تعدرس وواصل دراسته في جامع الزيتونة بتونس، وعند عودته من لبقاع المقدسة سنة 1913 م اشتغل بمهنة التعليم الحر في قسنطينة، وإلى غاية عام 1925 م ركز جهوده في تربية وتعليم الأطفال والشباب العلوم الدينية من حديث وتفسير، واللغة العربية ومبادئ التاريخ والحساب، وبعد عشر سنوات من التدريس اثمرت جهوده في تكوين شباب متشبع بقيم الحضارة الاسلامية ساعده في نشر دعوته الاصلاحية في كافة التراب الجزائري، عندئذ تفرغ بن باديس لنشر دعوته عامة مخاطبا الشعب والحكومة الفرنسية، فأسس لهذا الغرض جريدة المنتقد في 2 جويلية 1925 م لكن بعد صدور ثمانية عشر عددا أوقفتها السلطات الفرنسية، فأصدر جريدة أخرى في نفس السنة اسمها الشهاب والذي استمرت في الصدور حتى عام 1929م ثم تحولت إلى مجلة شهرية إلى غاية عام 1939م حيث توقفت نهائيا، ولم يدخل في المعركة السياسية الا في الثلاثينيات حيث حارب عدة جبهات في مقدمتهم الاستعمار ورجال الطرقية ورجال التبشير المسيحي ودعاة الفرنسة وذلك عن طريق الدفاع على مقومات الشخصية الجزائرية المتكونة من العقيدة واللغة العربية والثقافة الإسلامية، وفي هذا الصدد كتب في إحدى الصحف الناطقة باسم جمعية العلماء الجزائريين "أن الأمة التي لا تحترم مقوماتها من جنسها، ولغتها، ودينها، وتاريخها، لا تعد أمة بين الأمم، ولا ينظر إليها إلا بعين الاحتقار مع القضاء عليها في ميادين الحياة بالتقهقر و الاندحار".

وبمناسبة الاحتفال الكبير الذي نظمه الاستعمار الفرنسي سنة 1930 م لاحياء الذكرى المائوية لاحتلال الجزائر رد عليهم بن باديس في قصيدة شعرية مشهورة نذكر منها البيتين التاليين .

شعب الجزائر مسلم ... وإلى العروبة ينتسب

من قال حاد عن اصله ... أو قال مات فقد كذب

يا نشء نت رجاونا وبك الصبح قد اقترب

خذ للحياة سلاحها وخض الخطوب و لا تهب

ورغم انه لم يكن من دعاة الاستقلال جهرا لظروف وأسباب معينة، الا أنه كان بالطبع من المتحمسين له وفي نفس الوقت يدرك أيضا ان الطريق طويل وصعب، وأن تحرير البلاد لا يأتي إلا بالعمل على بعث مقومات الشخصية الجزائرية من سباتها العميق ولكن كان على يقين أن الجزائر ستنال يوما ما استقلالها وهذا ما تنبأ به في احد مقالاته في الشهاب عام 1936 م حيث قال "ان الاستقلال حق طبيعي لكل امة من أمم الدنيا، وقد استقلت أمم كانت دوننا في القوة والعلم، والمنعة والحضارة. ولسنا من الذين يدعون علم الغيب مع الله. ويقولون ان حالة الجزائر الحاضرة ستدوم الى الابد فكما تقلبت لجزائر مع التاريخ فمن الممكن أنها تزداد تقلبا مع التاريخ. وليس من العسير بل انه من الممكن ان ياتي يوم تبلغ فيه الجزائر درجة عالية من الرقي المادي والأدبي وتتغير فيه السياسة الاستعمارية عامة وتصبح البلاد الجزائرية مستقلة استقلالا واسعا تعتمد عليها فرنسا اعتماد الحر على الحر". وفي يوم 16 أفريل 1940 م توفي ابن الهيشة الجزائرية عن سن يناهز احدى وخمسين سنة تاركا من ورائه رجالا اكملوا رسالته الى يوم الاستقلال. ولم يكن عبد الحميد بن باديس في نضاله لوحده بل كان من حوله علماء جلاء أمثال البشير الابراهيمي الذي خلفه في رئاسة لجمعية بعد وفاته ومبارك الميلي والطيب العقبي والأمين العمودي والعربي التبسي وتوفيق المدني والشاعر محمد العيد ال خليفة، وكلهم تخرجوا من الجامعات الاسلامية بالمشرق العربي. وكان شعارهم "الاسلام ديننا، العربية لغتنا، الجزائر وطننا". وهي في نفس الوقت امتداد للحركة الاصلاحية التي قادها في المشرق جمال الدين الافغاني ومحمد عبده ورشيد رضا. وكانت الجمعية تهدف الى تربية النشء وفق التعاليم الاسلامية مستفيدة من افكار الاصلاحي الشيخ محمد عبده، وتطهير العقيدة الاسلامية من البدع والضلالات والخرافات التي احدثها رجال الطرقية في الدين الاسلامي. ومحاربة الجهل والآفات الاجتماعية، كالميسر والخمر وكل ما يخرج الشرع وذلك بالرجوع الى السلف الصالح. وكذلك إحياء اللغة العربية التي كانت مهددة في عقر دارها وتقوية الشعور بالشخصية الوطنية. ومن اجل ذلك نشطت عبر التراب الوطني عدة جمعيات ثقافية رغم مضايقة ومراقبة سلطات الاحتلال لها. ففتحت مدارس حرة تدرس العلوم باللغة العربية. وبلغ عددها 90 مدرسة سنة 1945م و 181 عام 1953م وضمت 10 000 تلميذا، كما استفادت المساجد للوعظ والارشاد والنوادي والجرائد للنشر

افكارها، ومن اهم لجرائد "السنة" ١٩٣٦م وخلفتها "الشريعة" ثم عقبتها جريدة لصراط واخيرا "البصائر" ١٩٣٩م، و كانت تصدر باللغة لعربية. وابتداء من عام ١٩٣٨ م اعتنت لجمعية بالجالية لجزائرية في فرنسا حوفا من مسلاحها عن عروبتها و سلاميا ودورها في المجتمع الفرنسي. ولهذا الغرض بعثت إلى فرنسا لشيخ الاستاذ الفضيل الورتلاني و معه مجموعة من المعلمين، وفعلا استطاع أن يفتح عدة نوادي بأحياء باريس يقدم فيها الوعظ و لارشاد وتعليم اطفال المهاجرين مبادئ اللغة العربية و لدين لاسلامي والتاريخ جزائري. وقد ساعد نشاط جمعية لعلماء في تنمية الحس السياسي لدى الكثير من رعد، ثورة التحريرية دفعت بهم لى الانضمام الى حزب الشعب ومن بعد صفوف جبهة لتحرير الوطني، فقد كان خطابهم دينيا لكن ذا بعد سياسية. وفي عهدها الاول حاربت انصار سياسة لاندماج، وهذا ما يتبين من تصريح ابن باديس انصار في شهر فيفري١٩٣٧م في مجلة الشهاب ردا على المقال الذي كتبه فرحات عباس "لفرنسة نكر فية وجود لشخصية لجزائرية في التاريخ الجزائري بقوله" نحن العلماء نتكلم باسم غلبية الشعب، يقول للذين يزعمون انهم فرنسيون. لا تمتسوننا. نحن نحن فتشد في التاريخ، وفتشنا في الحالة الحاضرة، فوجدنا لامة الجزائرية المسلمة متكونة موجودة كما تكونت ووجدت كل امة الدنيا، ولهذه الأمة تاريخها الحافل جلائل الاعمال، ولها وحدتها الدينية، واللغوية، ولها ثقافتها الخاصة، وعوائدها وخلاقها بما فيها من حسن وقبيح، شأن كل امة في الدنيا. ثم ن هذه لأمة الجزائرية ليست هي فرنسا ولا تستطيع ان تصير فرنسا، ولو أرادت. بل هي بعيدة عن فرنسا كل لبعد، في لغتها واخلاقها، وهي عنصرها. وفي دينها. لا تريد ان تندمج، ولها وطن محدود معين، هو لوطن الجزائري، بحدوده الحالية المعروفة".

كما له تتدخر في عهدها الاول في شؤون السياسة لان قانونها الاساسي كان يمنعها من ذلك، وبمجيء الجبهة الاشتراكية للحكم عين "الامر للحركة السياسة الجزائرية، فبدأت الجمعية تتحرك سياسيا عن طريق مشاركتها في المؤتمر الاسلامي الجزائري الذي انعقد في ٦ جوان ١٩٦٥م حينما "لماجستيت" لأطلس حاليا و الواقعة بحي باب لوادي لجزائر العاصمة. وتبنى المشاركون ميثاق المؤتمر والذي شمل مجموعة من المطالب السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، كما طالبوا بإلحاق الجزائر بفرنسا والتمثيل بالبرلمان الفرنسي، والغاء الولاية العامة الجزائرية ومجلس النيابات المالية ونظام البلديات المختلطة. وعين المؤتمر وفدا للذهاب الى فرنسا

ليقدم مطالبه للحكومة الاشتراكية التي كان يترأسها ليون بلوم. وكان يضم من الجمعية الشيخ عبد الحميد بن باديس والبشير الابراهيمي والطيب العقبي والأمين العمودي. والمنتخبون الدكتور بن جلول و فرحات عباس إضافة إلى ممثلين عن شرق وغرب وجنوب الجزائر. واستقبل الوفد من طرف رئيس الحكومة الفرنسية ليون بلوم والنائب موريس فويليت الوالي العام السابق للجزائر. وعند رجوعهم إلى أرض الوطن أقيم تجمع كبير بالملعب البلدي بالعناصر وقدم الوفد تقريرا عن مهمتهم بباريس. وفي نفس السنة قدم مشروع بلوم فيوليت Blum-Viollette إلى البرلمان. ويمنح هذا المشروع حق المواطنة الفرنسية لفئات معينة من المجتمع الجزائري المتحصلة على شهادات تعليم والمنتخبين والعسكريين ذوي الرتب والموظفين مع المحافظة على أحوالهم الشخصية الاسلامية. وسانده كل من المؤتمر الإسلامي بما فيه جمعية العلماء والحزب الشيوعي الجزائري وقبل مناقشته من قبل البرلمان ارتفعت أصوات المعمرين الأوروبيين خاصة منهم النواب منددة ومستنكرة هذا المشروع وبعثت بوفد إلى فرنسا لالغائه وهدد بالاستقالة الجماعية وبالانفصال في حالة قبوله. وأخيرا ألغت الحكومة هذا المشروع. فخيبت امال المؤتمر الاسلامي. والتحق أعضاؤه بكل من التجمع الجزائري - الفرنسي الاسلامي الذي كان يقوده الدكتور بن جلول واتحاد الشعب الجزائر ي الذي أسسه فرحات عباس سنة 1938م. وبدأ به مرحلة جديدة من النضال السياسي بعد أن تخلى عن فكرة الاندماج. أما جمعية العلماء. فواصلت مشروعها الثقافي و الديني إلى حين اندلاع الثورة التحريرية.

اتحاد الشعب الجزائري

تأسس هذا الحزب على يد فرحات عباس سنة 1938 م، وهو من مواليد مدينة الطاهير (جيجل) يوم 24 أكتوبر 1899 م، عاش صغره في وسط الفلاحين، وهو على خلاف مصالي الحاج لا يؤمن باستعمال العنف للوصول إلى أهدافه السياسية، وهو من عائلة غنية سمح له مركز أبيه الذي كان يشغل منصب قايد لدى السلطات الفرنسية في مواصلة تعليمه بأعلى رتب الفرنسية الموجودة بالجزائر، ونال جميع الشهادات الابتدائية و الثانوية والجامعية وتخرج عام 931 م صيدليا وفتح صيدلية بمدينة سطيف واشتغل بها. تزوج بفرنسية، ووافته المنية بالجزائر يوم 24 ديسمبر 1985م، ومن مؤلفاته : الشاب الجزائري قبل الاستعمار، تشريح حرب الذي صدر عام 1980م، الاستقلال المصادر عام 1984م.

دخل المعترك السياسي بداية من عام 1922م، وكان قبل تأسيسه لحزب اتحاد الشعب الجزائري من انصار الأمير خالد ولما نفي هذا الأخير إلى دمشق أنشأ سنة 1927 م مع مجموعة من النخبة الجزائرية المثقفة المعروفين بميلهم للفكر الاندماجي أمثال الدكتور بن جلول وابن تامي "اتحاد النواب المسلمين الجزائر يين". كما انتخب عام 1926م رئيسا لجمعية الطلبة المسلمين الجزائريين، وأصبح سنة 1927م رئيسا لجمعية الطلبة المسلمين لشمال افريقيا. وأثرت فيه المدرسة الفرنسية الى درجة أن جعلته في بداية مشواره السياسي لا يؤمن حتى بوجود أمة جزائرية وهذا ما يتبين من خلال مقاله الذي رد عليه جمعية العلماء المسلمين الجزائريين كما ذكرنا سابقا و جاء فيه ما يلي : "انني لست مستعدا للموت في سبيل الوطن الجزائري، لأن هذا الوطن لا وجود له، انني لم أكتشفه، ولقد سألت عنه التاريخ، سألت عنه الأحياء، والأموات، وزرت المقابر من أجل اكتشافه، فلم أجد من كلمني عنه اطلاقا. اننا لا يجب أن نبني فوق الرمال، وانني قد ابعدت بصفة باتة ونهائية كل خيال، لكي نربط مصيرنا بصفة نهائية مع الوجود الفرنسي بهذه البلاد".

وكان يرى في مطالب مصالي ضربا من الخيال، فانتهج سياسة الاندماج مع الاحتفاظ بالهوية الاسلامية للشعب الجزائري لتحقيق ما يصبو اليه. فبالنسبة إليه يمكن أن يكون الشعب الجزائري في نفس الوقت مسلم وفرنسي إلا ان أفكاره لم تجد صدى سواء لدى الشعب الجزائري أو السلطات الفرنسية. فلقد رفضت الحكومة الفرنسية سنة 1933م استقبال وفده الذي سافر إلى باريس قصد الدفاع

على مشروع فيوليت الاندماجي ولم تتحقق احلامه إلا بمجيئ حكومة الجبهة الشعبية سنة 1936م فشارك مع مجموعة من القادة السياسيين الجزائريين في تأسيس المؤتمر الاسلامي سنة 1936 وطالب بالمساواة في الحقوق بين الجزائريين و الاوروبيين في إطار السيادة الفرنسية. وأيد مشروع بلوه فيوليت الاندماجي والذي خيب في نهاية الأمر مانه. وكان نقطة بداية في تحول فكره السياسي فلقد علمته تجربته السياسية من خلال احتكاكه مع النواب الاوروبيين في المجالس البلدية والبرلمان ان مطالبه السياسية غير مجدية وهذا رغم التنازلات التي قدمت له. ولهذا تخلى عن فكرة الاندماج. فقال قولته المشهورة "إن وعودا قد أعلنت و لكن لم يتحقق شيء منها ... فتحرير الانسان الأهلي سيكون مهمة الانسان الأهلي نفسه. ولكي يتحقق ذلك لابد من تحرير الجماهير. لذلك فإن واجبنا يتمثل في شعار "بالشعب ومن أجل الشعب" ونحن نأمل أن تعتمد الجزائر على الديمقراطية الفرنسية. ولكن تحتفظ بذاتها ولغتها وبعاداتها وتقاليدها" ومن ذلك اليوم عتنق مبادئ الوطنية الجزائرية فانفصل عن تيار الاندماجي الذي كان يتزعمه الدكتور بن جلول وامس سنة 1938م حزب اتحاد الشعب الجزائري وذلك من أجل تجسيد برنامجه السياسي الذي يتمحور حول محاربة الاستعمار والامبريالية، ليصبح يطالب باصلاحات سياسية واقتصادية وثقافية تعبر عن انشغالات الشعب الجزائري كما شارك في صياغة بيان الشعب الجزائري الذي قدم للحلفاء سنة 1943م والذي رفضه الحاكم العام على الجزائر كاترو جملة وتفصيلا. وأكد أن فرنسا لن توافق أبدا على استقلال الجزائر. كما كان من المؤسسين لحركة أحباب البيان والحرية سنة 1944م في جانب جمعية العلماء وموافقة حزب الشعب و كان يهدف من ورائه الى تحقيق فكرة الجمهورية الجزائرية مستقلة ذاتيا و متحدة فيدراليا مع فرنسا و اصدر لهذا الغرض صحيفة "المساواة" ولقيت الحركة مساندة أغلبية الشعب و سمعت إليها مختلف شرائح المجتمع إلا انها لم تعمر طويلا لسبب الخلاف الذي ظهر بين المصاليين وفرحات عباس حول مطالب الحركة فبينما كان حزب الشعب يطالب بفكرة انشاء برلمان وحكومة جزائرية كانت فئة المعتدلين بقيادة فرحات تطالب بتأسيس جمهورية جزائرية مشتركة مع فرنسا. وعلى إثر حوادث 8 ماي 1945م أوقف فرحات عباس وزج به في السجن رغم انه لم يشارك في هذه الأحداث ولم يطلق صراحه إلا بإصدار العفو الشامل من الحكومة الفرنسية سنة 1946م. وقد تأثر كثيرا بهذه الأحداث مما جعله يبتعد عن حزب الشعب. وأسس الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري بمدينة سطيف في شهر أفريل سنة 1946م وشارك في انتخابات الجمعية التأسيسية الفرنسية الثانية

ودفع في حملته الانتخابية على سياسة الاندماج مع المحافظة على الشخصية الاسلامية للشعب الجزائري. وأيد قيام دولة جزائرية يكون فيها الجزائريون والاوروبيون متساوين في الحقوق وحصل على ١٠ مقعدا. وقدم عام 1948م مشروع دستور الجزائر الى الجمعية التي رفضت البحث فيه. كما كان من المدرجين الاوليين لعمليات تزوير انتخابات المجالس البلدية ودفع على المرشحين المعتقلين من بينهم أعضاء حركة انتصار الحريات الديمقراطية وكلفه هذا العمل الطرد من الجمعية الجزائرية. وفي عام ١٩٤٩م انضم حزبه الى باقي الأحزاب الجزائرية المعارضة في جمعية العلماء وحركة انتصار الحريات الديمقراطية والحزب الشيوعي الجزائري وانبثق عن هذا التجمع الجبهة الجزائرية للدفاع عن الحريات الديمقراطية والجزائر. وتمثل مطالبها فيما يلي: الغاء نتائج الانتخابات التشريعية، احترام حرية الاقتراع في الانتخابات المرتقبة، حرية وديمقراطية للعقيدة والفكر والصحافة والاجتماع، مقاومة الاضطهاد بكل اشكاله. طلاق سراح المعتقلين السياسيين. الفصل بين العقيدة الاسلامية والدولة. ولم تعمر هذه الجبهة طويلا. وفي 7 افريل 1956م اعلن فرحات عباس في مؤتمر صومام بالقاهرة انضمام حزبه الى جبهة التحرير الوطني و وضع نفسه في خدمة الثورة و هذا ما تحقق له إذ اصبح اول رئيس للحكومة الجزائرية المؤقتة من سنة 1958م الى غاية 1961 م. وبعد الاستقلال رفض فرحات عباس أن يكون في نظام الحزب الواحد. فدخل في خلافات سياسية مع الرئيس أحمد بن بلة واستقال من الجمعية العامة في بداية الستينات. فعاش بقية حياته في ظل التهميش والنسيان تحت الاقامة الجبرية الى ان وافته المنية.

الحزب الشيوعي الجزائري

أسس الحزب الشيوعي الفرنسي فرعا له بالجزائر ابتداء من عام 1924 م وضل تابعا له لمدة اثني عشر سنة، وكان مكونا من العمال الجزائريين والأوروبيين ولكن اغلبية الأعضاء المنخرطين فيه والمسيرين له من الأوروبيين. وقد دافع هذا الحزب عن مطالب العمال الجزائريين بالمهجر ومن خلاله تعلموا وسائل النضال والكفاح، كما كان في البداية من المساندين لاستقلال الجزائر نظريا والمتدربين بقانون الأهالي وجميع القوانين الاستثنائية التي أصدرتها فرنسا على الجزائريين. كما وقف ضد أنصار الاندماج ونادى بالاحتفالات المخلدة لمرور مائة سنة عن احتلال الجزائر وطالب برحيل الاستعمار والامبريالية عن الجزائر. ولو انه حقيقة كان يدافع عن طبقة البروليتاريا ضد المستغلين الأوروبيين. إلا أنه له يعان الحرمان الذي كان مسلطا على الشعب الجزائري، ولذا لم يؤمن يوما ما بحق الشعب الجزائري في الاستقلال و الحرية. و نظرا للتقدم الضئيل للشيوعية في أوساط الجماهير الشعبية الجزائرية و الأوروبية و عدم تمكنه من إيجاد قاعدة هامة تمثل هذا التيار طالب الحزب الشيوعي الفرنسي من الأوروبيين تأسيس حزب شيوعي جزائري، وذلك ماتم في المؤتمر التأسيسي الذي انعقد بالجزائر العاصمة يومي 17 و 18 أكتوبر 1936م. ولكن بقي خاضعا لتوجيهات الحزب الأم بفرنسا والذي هو بدوره عنصر من عناصر الأممية الشيوعية. وبعد ان كان من قبل يؤيد استقلال الجزائر أصبح من دعاة الاندماج، فلقد كان من مناصري مشروع بلوم فيوليت الاندماجي ولذا ساند مطالب المؤتمر الاسلامي لعام 1936. وعلى اثر الأحداث الدامية التي ذهب ضحيتها الشعب الجزائري أصدر الحزب الشيوعي الجزائري يوم 3 ماي 1945 م بيانا ندد فيه حزب مصالي واتهمه بالفاشية والنازية وجعله مسؤولية المجازر .

وفي المؤتمر العاشر للحزب الشيوعي الفرنسي الذي انعقد عام 1945م قال مندوبو الحزب الشيوعي الجزائري ما يلي "إن الذين يطالبون باستقلال الجزائر هم عن وعي أو غير وعي، عملاء لدولة استعمارية أخرى ... ويعمل الحزب الشيوعي الجزائري ويناضل لتقوية أواصر الوحدة بين الجزائريين والفرنسيين". وخرج المؤتمرون بقرار مؤيد لبقاء السيادة الفرنسية على الجزائر وتشجيع عملية الاندماج وعارضوا الأفكار الاستقلالية بحجة أنها لا تخدم المصالح الجزائرية والفرنسية. ولم يكن لهذا الحزب اي ثقل أو تأثير سياسي في اوساط الجماهير الشعبية الجزائرية، بل لم يكن يؤمن حتى بوجود أمة جزائرية ويقول في هذا

الصدد "إن الأمة الجزائرية هي في طور التكوين"، وكأنها كان ينقصها المعمرون الأوروبيون المستغلون لتكتمل. وعند اندلاع ثورة نوفمبر 1954 وقف الحزب الشيوعي الجزائري موقفا مناهضا لها بحجة "أن الحزب لا يوافق على دعم الحركات الفردية والمشبوهة والتي تحاول لعب الدور السيئ في الحركة الاستعمارية". ورغم النداءات المتكررة من حزب جبهة التحرير الوطني له للالتحاق بالثورة الا أنه رفض المشاركة وطلب من اعضائه عدم الالتحاق بها وتدعيمها، لكن بعض المناضلين الجزائريين المنخرطين فيه انضموا إلى الثورة بصورة فردية. وكان يرى بان أسباب الثورة راجع للحالة الاقتصادية والاجتماعية التي يعيشها الجزائريون. وبقي يمارس نشاطه السياسي بعد ثورة نوفمبر ويشارك في الانتخابات ويتخذ المواقف إلى أن حل كغيره من الأحزاب الجزائرية بقرار من وزارة الداخلية الفرنسية سنة 1955 م، أما نواب الحزب الشيوعي الفرنسي فسندوا سنة 1956م كغيرهم من نواب اليمين والاشتراكيين السياسة العدوانية لفرنسا، وخولوا بالاجماع حكومة غي مولي السلطة المطلقة في الجزائر.

www.books4all.net

حزب الشعب الجزائري
و حركة انتصار الحريات الديمقراطية

وهو امتداد للنجم الشمال الافريقي الذي حلته حكومة الجبهة الشعبية يوم 26 جانفي 1937م لأفكاره الاستقلالية، ورفضه المشاركة في الحرب الأهلية باسبانيا الى جانب الجمهوريين. وتم تأسيسه من طرف مصالي الحاج يوم 11 مارس 1937م بمدينة نتار لفرنسية. وبقي وفيا لمبادئ النجم المتمثلة في الغاء قانون الانديجينا والمطالبة بالمساواة في الحقوق وحق الشعب الجزائري في تقرير مصيره عن طريق الاستقلال. ودخل إلى ساحة النضال السياسي بحزب منظم وهيكل هادف عن ورائه استقلال الجزائر ولقي ترحيبا كبيرا في أوساط الطبقة الشغيلة بالمهجر وداخل الوطن وضم في صفوفه مختلف شرائح المجتمع الجزائري المتحمس لقضية شعبه بما فيه العمال والفلاحين والتجار وأسر فروع في مختلف القطر الجزائري.

وفي ربيع 1937م عاد مصالي الحاج إلى أرض الوطن والتقى بمناضليه وعقد معهم عدة اجتماعات، فاستهل الحزب نشاطه بالدعوة الى الاضرابات والمظاهرات وكانت جريدة الأمة والمنشورات توزع على الجزائريين تحثهم على النضال وتشيد بنداء الجزائر للشاعر مفدي زكريا يسمع في مختلف المهرجانات العامة والخاصة حاملة من العلم الجزائري ذو اللون الأخضر والأبيض ويتوسطه هلال ونجمة رايته. وازداد التحمس والشعور بالوطنية لدى الجزائريين. ولما شعر الاستعمار بخطورته اعتقل مصالي واصحابه بتهمة التحريض على اعمال العنف، ووضعوا في السجن وحكم عليهم بسنتين، فقاموا باضراب عن الطعام مدة سبوع وتحصلوا على نظام السجين السياسي. وكانوا يعقدون في سجن الحراش اجتماعات ونتج على اثرها جريدة بصف شهرية تسمى "بالوطن الجزائري". وقام الحاكم العام بالجزائر بحملة انتقامية على اعضاء حزب الشعب، حيث توفي مسؤول حزب الشعب على الجزائر السيد رزقي شكحل في السجن. وفي سنة 1939م واصل حزب الشعب في الحملة الانتخابية التي نظمتها السلطات الاستعمارية وزورتها رغم فوزه الساحق. وفي بداية الحرب العالمية الثانية يوم 26 سبتمبر 1939م حل رئيس الجمهورية الفرنسية ألبير لبرون Albert Lebrun حزب الشعب الجزائري ومنعت جريدة الأمة والبرلمان الجزائري من الصدور، واعتقل الكثير من مناضليه داخل وخارج الوطن. وعلى اثرها دخل حزب الشعب في السرية طوال الحرب العالمية

الثانية 1939 م -1945 م، وجند الشباب الجزائري للمشاركة في الحرب. وأثناء حكم الرئيس الفرنسي فيشي Vichy طلب من حمالي التعاون معه لكنه رفض. فحكم عليه يوم 17 مارس 1941م بعقوبة 16 سنة أعمالا شاقة وبالابعاد من الارض الفرنسية والجزائرية لمدة عشرين سنة. وبغرامة مالية قدرها ثلاثون مليونا من الفرنكات وذلك بحجة المساس بامن الدولة.

وخلال الحرب العالمية الثانية اتصل بعض أعضاء حزب الشعب بالمانيا النازية رغم معارضة قيادة الحزب، وذلك بغية مساعدتهم على استقلال الجزائر ولكنه كانت بدون جدوى. ولما نزل الحلفاء الأمريكان والبريطانيون بارض الجزائر عام 1942م اتفق الوطنيون الجزائريون بما فيهم اعضاء من حزب الشعب وجمعية العلماء، على صياغة بيان يقدم للحلفاء. وكلف لهذا الغرض وفد برئاسة فرحات عباس للاتصال بهم. وقدم البيان للحاكم العام بالجزائر باريس بارني وللسفير الولايات المتحدة وبرياطنيا والاتحاد السوفياتي و لى الجنرال ديغول الذي كان يوجه المقاومة الفرنسية من بريطانيا. وتضمن هذا البيان شروط تدعيم الشعب الجزائري للمجهود الحربي والمتمثل فيما يلي: الغاء النظام الاستعماري وتطبيق مبدأ حق الشعب في تقرير مصيره عند نهاية الحرب. اضافة الى مجموعة من المطالب تهم الشعب الجزائري و تتعلق بالحقوق الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية. ووعدت فرنسا كعادتها إجراء اصلاحات. تمهيدا لانشاء دولة جزائرية ودستور خاص بها. وفي 11 مارس 1943م انعقد تجمع ضم كل من فرحات عباس و جمعية العلماء وحزب الشعب نتج عنه "الحركة حساب البيان والحرية". وفي 3 افريل 1945م خرج المؤتمرون بمطالب تتضمن تاسيس حكومة جزائرية ودستور جزائري وبرلمان منتخب و جنسية جزائرية وسن حريات وانشاوا جريدة "المساواة". ولقي هذا التجمع ترحيب كبير لدى المجتمع وبمناسبة عيد العمال 1 ماي 1945م نادى حزب الشعب الى مظاهرات على كامل التراب الوطني احتجاجا على اعتقال حمالي ومناضلي الحزب عقب التوزع بهم. وكانوا يحملون العلم الجزائري ولافتات مكتوبا عليها "اطلقو سراح حمالي". "اطلقو سراح المعتقلين"، "الاستقلال"، وبمناسبة احتفال الحلفاء بنهاية الحرب العالمية الثانية يوم 8 ماي 1945م اعتقد الجزائريون ان جزاءهم من تضحيات الحرب العالمية الثانية الى جانب فرنسا والحلفاء سيكون الحرية و المساواة، فخرج الشعب الى التوازع يوم 8 ماي 1945 في مسيرات سلمية عبر التراب الوطني محملا بالنصر مع الحلفاء بطريقته الخاصة حاملا العلم الجزائري ولافتات "تنادي

باطلاق سراح مصالي والمعتقلين وسقوط الاستعمار واستقلال الجزائر". وبالرغم من الطابع السلمي للمسيرات حاولت السلطات الفرنسية منعها. فأمر وزير الداخلية الفرنسي من مسؤولي الشرطة بايقافها والاستيلاء على الأعلام واللافتات. لكن المتظاهرين صمدوا أمامهم ثم أطلقت الشرطة الرصاص على المتظاهرين، وكان أول ضحية الكشاف يوزيد سعال بمدينة سطيف، وانتهت المظاهرات بمقتل سبعة عشر جزائريا ومئات الجرحى كلهم من الشرق الجزائري، فتحولت إلى انتفاضة شعبية قتل على اثرها 80 معمرا فرنسيا. وفي اليوم التالي شرعت القوات الاستعمارية في تسليح الأوروبيين وجندت مختلف القوات العسكرية المتواجدة بالجزائر من بحرية وجوية وبرية أمام شعب أعزل لا يملك من القوة إلا ايمانه باستقلال الجزائر، وارتكب العسكر أعمال قمع رهيبة مست النساء والأطفال والشيوخ والشباب بمجرد الشك فيهم وبدون محاكمة فحولت البلاد إلى حمام من الدماء. كانت نتيجتها مجزرة 8 ماي التي ذهب ضحيتها 45 000 جزائري من الأبرياء جراء الغدر الاستعماري، دمرت على اثرها قرى بأكملها. فهي كما وصفها العلامة البشير الابراهيمي "يا يوم لك في نفوسنا السعة التي لا تمحى، والذكرى التي لا تنسى، فكن من أي سنة شئت، فأنت يوم 8 ماي وكفى، وكل ما لك علينا من دين أن نحيي ذكراك، وكل ما عليك من واجب أن تدون تاريخك في الطروس، لئلا يمسحه النسيان من النفوس" ومست هذه الأحداث بالخصوص كل من مدن سطيف وقالمة وخراطة، واعلنت السلطات الاستعمارية حالة الطوارئ، وطبقت القوانين الاستثنائية العرفية في كامل البلاد، وألغيت كل الحريات الديمقراطية وشنت حملة واسعة على المناضلين السياسيين الجزائريين بدون تفرقة بين الثوريين والاندماجيين، فأوقف العديد من مناضلي حزب الشعب وحل تجمع أحباب البيان ودخل حزب الشعب في السرية. وعندما انتهى المستعمر من أعماله الانتقامية، قال الجنرال دوفال Duval المسؤول الأول عن المجزرة مخاطبا الحكومة الفرنسية "منحتكم السلم لمدة عشر سنوات، ولكن لا تنخدعوا، كل شيئ يجب أن يتغير في الجزائر". وان لم تأخذ السلطات الفرنسية هذه النبوة بجدية، فإن الشعب الجزائري استوعب الدرس من أحداث 8 ماي واعتبرها نقطة بداية لتحول مجراه التاريخي، فلقد أعادته هذه الأحداث للوعي بالحقائق الصعبة وكشفت له خرافة تحقيق الاستقلال بالوسائل السلمية.

فتحولت أنظار حزب الشعب إلى دول المغرب العربي قصد التحالف ضد الاستعمار، فاتصلت بكل من الحزب الدستوري التونسي وحزب الاستقلال المغربي ولكنها باءت بالفشل، وفي عام 1946 على إثر العفو العام الذي أصدره البرلمان

الفرنسي استفاد منه كل المسجونين السياسيين بما فيهم مصالي الحاج وفرحات عباس الذي ألقي عليه القبض أثناء حوادث 8 ماي 1945 م دون أن يشارك فيها. وأسس هذا الأخير حزب "الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري" وشارك به في انتخابات 2 جوان 1946م. كما عاد مصالي من منفاه بكونغو ببرزافيل ودخل الجزائر وقدم قائمته للمشاركة في انتخابات المجلس الوطني الفرنسي لعام 1946م، ولكنها رفضت بحجة أن حزب الشعب قد حل عام 1939. فأسس في شهر نوفمبر 1946 "حركة انتصار الحريات الديمقراطية" كغطاء لحزب الشعب الذي بقي يعمل في السرية، ورغم تزوير لانتخابات تحصل على 5 مقاعد. كما فاز في انتخابات المجالس البلدية الذي تمت في شهر نوفمبر 1947 م على أساس برنامج سياسي "مجلس تأسيسي جزائري". وفي سنة 1947 م اصدرت الحكومة الفرنسية مشروعاً ينص على أن الجزائر تكون مجموعة من العمالات المتمتعة بالشخصية المدنية واستقلال مالي وبتنظيم خاص، وبحكومة عامة ومجلس جزائري، ويقسم اعضاء المجلس إلى فئتين متميزتين كالتالي :

60 نائبا يمثلون 9220000 فرنسيا و 60 نائبا يمثلون 7860000 جزائريا.

وأمام مصادرة صور الشعب وتسلط الاستعمار في سياسته الجائرة نفذ صبر الحزب ولم يعد يرى إلا الكفاح المسلح كوسيلة وحيدة لنيل الاستقلال، فانعقد مؤتمر يوم 15 و16 فيفري 1947 م ببوزريعة وضع أعضاء حزب الشعب وحركة انتصار الحريات الديمقراطية أنشأت على اثره المنظمة الخاصة والتي أصبحت فيما بعد نواة الحرب التحريرية عام 1954م. وصودق على نظامها الداخلي الذي عرف بالشدة والصرامة ومن شروط التجند والالتحاق بها : الشجاعة والايمان والثبات والكتمان والحيوية وسلامة الجسم. وكان يرأسها محمد بلوزداد. كما أنتخبت اللجنة المركزية برئاسة مصالي الحاج، وقسمت المنظمة الخاصة إلى عدة محافظات

قسنطينة : محمد بوضياف

القبائل : حسين ايت أحمد

الجزائر 1 - الجزائر - متيجة - تيطري جيلالي رغيمي

الجزائر 2 - الشلف - الظهرة : عبد القادر بلحاج

وهران أحمد بن بلة

وبوفاة محمد بلوزداد في إحدى مستشفيات باريس عام ١٩٥٧ م اثر مرض خلفه ايت احمد ولكنه ابعد فيما بعد لسبب الأزمة البربرية التي عرفها الحزب بالمهجر، فخلفه احمد بن بلة، وكانت من اهداف المنظمة حتى ذلك الحين الاستعداد في مختلف القطر الجزائري وتدريب اعضائه على استعمال السلاح للاستعداد للثورة المسلحة، ومن اهم الأعمال التي قامت بها هذه المنظمة مهاجمة مركز البريد بوفرن. ولما بلغت المنظمة قمة التنظيم اكتشف امرها من طرف السلطات الاستعمارية إثر إلقاء القبض على بعض اعضائها بمنطقة تبسة عام ١٩٥٠ م فحلت من بعدها السلطات الفرنسية هذه المنظمة. والقت القبض على العديد من اعضائها بعد فيهم قادتها احمد بن بلة وايت احمد والباقي دخل في السرية وسنبين سر التحق بالخيال.

وفي صائفة عام ١٩٥٤ م عرف الحزب ازمة داخلية بين مصالي واللجنة المركزية حول الزعامة تعمق هذا الخلاف وتطور إلى حين اندلاع الثورة التحريرية واثر قيام مصالي بدورة داخل الوطن التي عقد القبض في مدينة الشعب في ٤ ماي ١٩٥٤ م ثم في من بعدها إلى مدينة بيوز ١٩٥٤ بفرنسا ووضع تحت الإقامة الجبرية ومنها كان يدير الحزب.

وفي نفس السنة قد انضبط الاحرار بقيادة حمال عبد الحميد بالاطاحة بالجناح العسكري المصري الذي كان يحكمه الفاروق وفي يوميي ٢ و ٣ من شهر فريل ١٩٥٤ م انعقد بالجزائر العاصمة مؤتمر حزب الشعب وحركة انتصار الحريات الديمقراطية وضم ستين عضوا جاءوا من مختلف انحاء القطر الوطني تم على اثره المصادقة على مجموعة من القرارات تتعلق بالحزب السياسية والثقافية والاقتصادية والاجتماعية وبطل لجنده الحراع الذي وقع بين جماعة مصالي واللجنة المركزية حول تسيير الحزب، فبينما كان مصالي يطالب بالسلطة المطلقة في قيادة الحزب كانت اللجنة المركزية تدافع عن مبدأ القيادة الجماعية. وادى هذا النقاش الى مشادات عنيفة بين الطرفين. وفي هذه الجلسة ظهر تيار ثالث غير راضي للطرفين أسس اللجنة الثورية للوحدة والعمل في يوم ٢٣ مارس ١٩٥٤ م تتكون بمبادرة من قدماء المنظمة الخاصة وعلى رأسهم محمد بوضياف كحل حضري للصراع والنقاش العقيم الذي كان يدور بين احمد مصالي والمركزيين. وشرعوا في العمل فورا في تنظيم الكفاح المسلح. وتم التعريف بها في شهر جوان ١٩٥٤ م. واجتماع الاعضاء ٢٢ للجنة الثورية للوحدة والعمل وهم اعضاء المديرية والمتكونة من قدماء المنظمة الخاصة و تبنوا مبدأ الكفاح المسلح. وانبثقت من هذه المجموعة اللجنة الثورية للست

ستة اعضاء يرأسهم بوضياف. وفي نهاية شهر أكتوبر اجتمع الستة بمطعم بن مهيدي بالعربي بن مهيدي، رابح بيطاط، محمد بوضياف، ديدوش مراد و كريم بلقاسم واصدروا بيان شرحوا فيه اسباب اللجوء الى الثورة المسلحة، وقرروا ان يكون يوم اندلاع الثورة 1 نوفمبر 1954 على الساعة 0. واتصلوا بالزعماء الثلاثة الموجودين في القاهرة ليعلنوا الثورة في الخارج وهم " احمد بن بلة" و "ايت احمد" و "احمد مهصر". وقسموا الجزائر الى خمس مناطق وعينوا مسؤوليها و نوابهم كما يلي

المنطقة الأولى الاوراس ويشرف عليها مصطفى بن بولعيد وينوب عنه بشير شيحاني

المنطقة الثانية قسنطينة ويشرف عليها ديدوش مراد وينوب عنه زيغود يوسف.

المنطقة الثالثة القبائل ويشرف عليها كريم بلقاسم وينوب عنه عمر اوعمران

المنطقة الرابعة الجزائر ويشرف عليها رابح بيطاط وينوب عنه محمد بوضياف

المنطقة الخامسة وهران ويشرف عليها العربي بن مهيدي و ينوب عنه عبد الحفيظ بوصوف.

أما بحالي وانحدره فقد رفض الاندماج في حزبة وحيش التحرير الوطني وانسوا الحركة الوطنية الجزائرية التي أصبحت عدو وحجم حزبة التحرير الوطني تناء كفاحها المسلح. الا ان البعض من أعضائها تدارك الاخطاء وانضم الى الثورة. وهكذا خسر بحالي الحاج خاتمته ثقافة بعد ان كان من قبل رمزا هاما من رموز النضال السياسي الجزائري.

الوضع الاقتصادي و الاجتماعي و الثقافي قبل اندلاع ثورة نوفمبر

أدت سياسة مصادرة الأراضي الفلاحية إلى الهجرة الجماعية لسكان الأرياف نحو المدن ابتداءً من مطلع القرن العشرين. أما الأقلية الباقية فمنها من وجدت صعوبة في زراعة أراضيها الفلاحية القاحلة ومنها من استخدمت كخماسين في أراضي المعمرين. وفي المدن سكن الجزائريون في الأحياء القصديرية وتعرضوا إلى مختلف أنواع التمييز العنصري، واستغلوا من طرف المعمرين الأوروبيين بأبخس الأثمان في شتى النشاطات الاقتصادية. هذا لمن وجد عملاً أما البطالون فأجبر الكثير منهم على الهجرة نحو فرنسا لكسب قوته، وبينما كان الأوروبيون يعيشون حياة رخاء ورفاهية كان الشعب الجزائري يعاني من الحياة الضنكى اقتصاديا واجتماعيا وثقافيا. ولما أكمل الاستعمار الفرنسي من سلب أراضي الجزائريين في الأرياف تحولت نظرته إلى خيراتها الباطنية، فاستغل واحتكر ثرواتها المعدنية وسيطر على تجاراتها الخارجية، وأصبحت الجزائر مثلما كانت عليه في عهد الرومان مخزناً فلاحياً ومعدنياً لخدمة فرنسا الأم. والحقيقة أن الشعب الجزائري لم يستفد من يوم أن وضع الفرنسيون أقدامهم على أرض الوطن من خيرات بلادهم ماعدا الأقلية القليلة جداً التي كانت تخدم فرنسا باخلاص ووفاء في الأرياف والمدن ضد مصلحة شعبهم وبلادهم. ففي الميدان الفلاحي فضلت فرنسا على معظم المزروعات التي كانت تنتجها الجزائر قبل الاحتلال فبعد أن كانت الجزائر تصدر القمح أصبحت تستورده، وحاولت في البداية تجربة منتوجات المناطق الاستوائية مثل القهوة وقصب السكر والشاي لكنها لم تؤد الى نتائج مرضية، فحولوها بزراعة الكروم المنتجة لعنب الخمور. ولما عرف هذا المنتوج نجاحا كبيرا ركزوا جهودهم لزراعته و توسيعه على حساب زراعة القمح وأنواع الحبوب. فخصصوا له أحسن الأراضي فمن 20000 هكتار عام 1878 م إلى 155000 هكتار عام 1914 م لتصبح سنة 1935م تبلغ المساحة المخصصة لزراعة الكروم 400000 هكتار، فصبح منتوجها يبلغ نسبة 40 % من صادرات الجزائر. هذا إلى جانب أن الأراضي المسقية كانت قليلة اذا ما قارنها بمجموع الاراضي الصالحة للفلاحة لعدم اعتنائهم ببناء السدود. أما الصناعة فلم تعرف تقدما كبيرا إذ لم تكن متطورة بالمفهوم الحديث مثلما كانت عليه فرنسا، فهي أشبه بالصناعات الحرفية لم تستخدم يد عاملة كثيرة وهي عبارة عن مؤسسات متوسطة الحجم مختصة في صناعة

تحويل المنتوجات الفلاحية والبناء والنسيج والأحذية وكانت معظمها متمركزة بالمدن الكبرى مثل الجزائر العاصمة ووهران وأنشطها قطاع البناء، هذا إلى جانب الصناعات الاستخراجية من حديد وفوسفاط ونحاس وزنك، ولم تكتشف وتستغل البترول والغاز إلا في الخمسينات. وكانت كل هذه المنتوجات الصناعية والفلاحية تصدر مباشرة إلى فرنسا، وبالمقابل تم تستوعب يداً عاملة كثيرة. فعاش الجزائريون حالة بطالة فادحة في المدن لمكتضة بهم والباقي هاجر إلى فرنسا، وقد بلغ عددهم سنة 1954 م 208000 مهاجر. و لتسهيل استنزاف تلك الثروات أنشأت السلطات الاستعمارية شبكة من السكك الحديدية في شمال وغرب وشرق وجنوب الجزائر تربط مناطق استخراج المعادن والمنتوجات الفلاحية بموانئ التصدير. أما ميدان الثقافة فقد اتسم بالأمية الكبيرة المنتشرة في أوساط الشعب الجزائري فقد بلغت نسبتها 94 % بين الرجال و95 % بين الفتيات. وهذا حسب الاحصائيات الرسمية الفرنسية التي نشرتها الولاية العامة في الجزائر، فمن مجموع 6000 الاف طالب مسجل بجامعة مدينة الجزائر خلال العشر سنوات قبل اندلاع الثورة يوجد من بينهم 500 جزائري، وهذا هو السبب الذي أدى بالسلطة الجزائرية في العشرية الأولى من الاستقلال إلى جلب معلمين من الخارج، وقد سبب هذا الوضع في انتشار البدع والخرافات والعادات السيئة في أوساط الأميين خاصة في الارياف. أما المراكز الصحية فلم يستفيد منها الا سكان المدن، بينما أغلبية سكان الأرياف يتداوون بالطب التقليدي وهذا ما أثبته التقرير الذي قدمه مكتب سوستيل لحاكم العام للجزائر عام 1955 م حول الوضعية الاجتماعية المزرية الذي كان يعيشها الشعب الجزائري ونص على مايلي: "يعيش ملايين من الجزائريين المسلمين بمرتب شهري 1500 فرنك فرنسي ما يساوي 1 / 10 من متوسط المرتب الفرنسي، من سبعة أشخاص يعيش واحد في فرنسا حيث يوجد عمل. أقل من 26000 مزارع أوروبي يملك 2.6 مليون هكتار من أخصب الأراضي بمتوسط 1000 هكتار للمزارع الواحد، و4 ملايين من الأراضي القاحلة مقسمة على 800000 فلاح جزائري بمتوسط 5 هكتارات للفلاح الواحد. أما في ميدان الصحة ففي مدينة الجزائر 40 % من الأطفال المصابين بمرض السل يأتون من العاصمة، و 275000 طفر متمدرس بنسبة 1 / 10 من الأطفال الذين هم في سن الدراسة"

الحرب التحريرية
1954 م - 1962 م

وفي أول نوفمبر 1954 م اندلعت الثورة الجزائرية وشنت هجومات في نقاط عديدة من التراب الجزائري وعلى الأخص منطقة الأوراس، نفذته مجموعة من الثوار مسلحين ببنادق الصيد وأسلحة بسيطة، وتركزت الهجومات على المراكز الحساسة للسلطات الاستعمارية مثل مقرات الدرك والشرطة والثكنات ومحطات توليد الكهرباء. وتحولت اللجنة الثورية للوحدة والعمل إلى منظمة جديدة هي جبهة التحرير الوطني، وجيش التحرير الوطني وأصدرت في 31 أكتوبر 1954 بيانا موجها للمناضلين خاصة، وللشعب الجزائري عامة يوضح فيه طبيعة الثورة وأهدافها ومستقبلها وجاء فيه ما يلي

"أيها الشعب الجزائري، أيها المناضلون من أجل القضية الوطنية، أنتم الذين ستصدرون حكمكم بشأننا. نعني الشعب بصفة عامة والمناضلين بصفة خاصة. نعلمكم ان غرضنا من نشر هذا الإعلان هو أن نشرح لكم الأسباب العميقة التي دفعتنا إلى العمل وذلك بأن نوضح لكم مشروعنا والهدف من عملنا. ومقومات وجهة نظرنا الأساسية التي تهدف أساسا لاستقلال الوطني في إطار الشمال الافريقي، ورغبتنا أيضا هو أن نجنبكم الالتباس الذي يمكن أن توقعكم فيه الامبريالية وعملاؤها الاداريون. وبعض مخترقي السياسة الانتهازيين. نحن نعتبر قبل كل شيء أن الحركة الوطنية بعد مراحل من الكفاح قد تركت مرحلة التحقيق النهائية. فان كان هدف أي حركة ثورية في الواقع هو خلق جميع الظروف الثورية للقيام بعملية تحريرية فاننا نعتبر أن الشعب الجزائري في أوضاعه الداخلية متحد حول قضية الاستقلال. أما في الأوضاع الخارجية فان جو الانفراج الدولي مناسب لتسوية بعض المشاكل الثانوية التي من بينها قضيتنا التي تحدد مصيرها الدبلوماسي وخاصة من طرف إخواننا العرب والمسلمين. إن أحداث المغرب وتونس لها دلالتها في هذا الصدد فهي تمثل بعمق مراحل الكفاح التحريري في شمال افريقيا. ومما يلاحظ في هذا الميدان أننا كنا منذ مدة طويلة أول الداعين إلى الوحدة في العمل. هذه الوحدة التي لم يتح لها مع الأسف التحقيق بين الأقطار الثلاثة ان كل واحد منها اندفع اليوم إلى هذا السبيل. ان نحن الذين بقينا في مؤخرة الركب فاننا نتعرض الى مصير تحوزته الأحداث وهكذا فان حركتنا

الوطنية قد وجدت نفسها محطمة نتيجة لسنوات طويلة من الجمود والروتين والتوجيه السيئ والحرمان من سند الرأي العام الضروري تبدو وكان الاحداث تجاوزتها. الأمر الذي جعل الاستعمار يضيف مرحا ظنا منه أنه قد احرز أفخم انتصاراته في كفاحه ضد الطليعة الجزائرية. و بعد هذه الوضعية التي يحتمل أن يصبح علاجها مستحيلا رأت مجموعة من الشبان المسؤولين المناضلين الواعين التي جمعت حولها أغلب العناصر التي لا تزال سليمة ومسمعة. ان الوقت قد حان لاخراج الحركة الوطنية من المأزق الذي اوقعت فيه صراع الأشخاص والتأثيرات، لدفعها الى المعركة الحقيقية الثورية التي حددت اهدافها لمغاربة والتونسيين. وبهذا الصدد فاننا نوضح باننا مستقلون عن الطرفين اللذين يتنازعان السلطة. ان حركتنا قد وضعت المصلحة الوطنية فوق جميع الاعتبارات الثانوية والمغلوطة لقضية الأشخاص والسمعة. ولذلك فهي موجهة فقط ضد الاستعمار الذي هو العدو الوحيد الأعمى الذي رفض ان يمنح ادنى حرية بوسائل الكفاح السلمية. ونظن أن هذه اسباب كافية لجعل حركتنا التجديدية تظهر تحت اسم جبهة التحرير الوطني. وهكذا نتخلص من جميع التنازلات المحتملة، ونتيح الفرصة لجميع المواطنين الجزائريين من جميع الطبقات الاجتماعية وجميع الاحزاب والحركات الجزائرية أن تنضم إلى الكفاح التحريري دون أدنى اعتبار أخر. ولكي نبين بوضوح هدفنا فاننا نسطر فيما يلي الخطوط العريضة لبرنامجنا. الهدف

الاستقلال الوطني بواسطة

- اقامة الدولة الجزائرية الديمقراطية الاجتماعية ذات السيادة ضمن اطار المبادئ الإسلامية.

- احترام جميع الحريات الأساسية دون تمييز عرقي أو ديني.

الأهداف الداخلية

- التطهير السياسي، بإعادة الحركة الوطنية الثورية إلى نهجها الحقيقي والقضاء على جميع مخلفات الفساد. وروح الاصلاح التي كانت عاملا هاما في تخلفنا الحالي.

- تجميع و تنظيم جميع الطاقات السليمة لدى الشعب الجزائري لتصفية النظام الاستعماري.

الأهداف الخارجية :

- تدويل القضية الجزائرية.

- تحقيق وحدة الشمال الإفريقي في داخل إطارها الطبيعي العربي الإسلامي.

- تأكيد عطفنا الفعال، تجاه جميع الأمم التي تساند قضيتنا التحريرية في نطاق ميثاق الأمم المتحدة.

وسائل الكفاح

وطبقا للمبادئ الثورية، و عتبار للأوضاع الداخلية والخارجية، فإننا سنواصل الكفاح بجميع الوسائل حتى تحقيق هدفنا. إن جبهة التحرير الوطني لكي تحقق هدفها يجب عليها أن تنجز مهمتين أساسيتين في وقت واحد هما :

1 - العمل لداخلي، سواء في الميدان السياسي أو في ميدان العمل المحض.

2 - العمل في لخارج لجعل القضية الجزائرية حقيقة واقعية في العالم كله، وذلك بمساندة كل حلفائنا الطبيعيين.

إن هذه المهمة شاقة وثقيلة العبء، وتتطلب تحنيد كل القوى وتعبئة كل الطاقات والموارد الوطنية. صحيح أن المعركة ستكون طويلة ولكن نهايتها المظفرة لا شك فيها

وأخيرا ولكي نتجنب كل التأويلات المزيفة، ولكي نبرهن على رغبتنا الحقيقية في السلم، وفي التقليل من الخسائر البشرية واهدار الدماء، فإننا نقدم قاعدة مشرفة للمحادثات مع السلطات الفرنسية إذا كانت لها نوايا حسنة وإذا كانت تعترف بصفة نهائية للشعب الجزائري بحقه في تقرير المصير وهو أن تعترف :

1 - بالقومية لجزائرية في إعلان رسمي يلغي كل القوانين والقرارات التي تعتبر الجزائر أرضا فرنسية بالرغم من التاريخ، والجغرافية، والدين، والتقاليد الجزائرية.

2 - أن تفتح المفاوضات مع المتكلمين الحقيقيين باسم الشعب الجزائري على أساس الاعتراف بالسيادة الجزائرية الموحدة التي لا تتجزأ.

3 - خلق جو من الثقة وذلك باطلاق سراح جميع المساجين السياسيين، وبطال التدابير الاستثنائية، والتوقف عن جميع المتبعات ضد لقوة المناضلة.

في مقابل ذلك :

1 - جميع المصالح الفرنسية، الثقافية والاقتصادية، التي اكتسبت بنزاهة ستحترم، وكذلك الأشخاص والعائلات.

2 - جميع الفرنسيين الذين يرغبون في البقاء في الجزائر سيخيرون بين المحافظة على جنسيتهم الأصلية وسيعتبرون عندها كأجانب تجاه القوانين السارية أو يختارون الجنسية الجزائرية وفي هذه الحالة سيعتبرون كجزائريين في الحقوق والواجبات.

3 - الروابط بين فرنسا والجزائر ستحدد وستكون موضوع اتفاق بين الطرفين على أساس من المساواة والاحترام المتبادل.

ايها الجزائريون انا ندعوكم إلى تأمل ميثاقنا هذا ، إن واجبكم هو أن تنضموا إليه لإنقاذ وطننا واسترجاع حريته، إن جبهة التحرير هي جبهتكم فانتصارنا انتصاركم.

أما نحن المصممين على مواصلة الكفاح والواثقين من عواطفكم الحية للاستعمار فإننا وهبنا أفضل ما عندنا للوطن وهو حياتنا.

وفي صبيحة أول نوفمبر، وزع البيان على الجزائريين. وأذيع على أمواج إذاعة القاهرة.

ورد على هذا البيان أعلن وزير الداخلية الفرنسي فرنسوا ميتيران قائلا "إن الجزائر هي فرنسا. وسندافع عليها بكل الوسائل". وأصدر فور الحاكم العام في الجزائر يوم 5 نوفمبر 1954 م قرارا حل بموجبه حركة انتصار الحريات الديمقراطية، وأعطى أوامر للشرطة بإلقاء القبض على مناضلي ومسؤولي الحركة وزج بهم في السجون. ونظرت الأحزاب الجزائرية في بداية الأمر إلى هذه الثورة بتحفظ. اذ كانت تظن بأنها عابرة، ولم يلتحق بها الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري الذي كان يرأسه فرحات عباس إلا بعد سنة، بينما انتظرت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين سنتين.

ورغم الدعايات المغرضة للسلطات و الصحف الفرنسية بتشويه سمعة الثوار والتقليل من شأنهم في الداخل والخارج بوصفهم ارهابيين وفلاقة، وبهم الرأي العام العالمي بأن ما يجري في الجزائر ما هو إلا مجرد تمرد، إلا أن جبهة التحرير

الوطني واصلت نضالها بتعبئة الشعب الجزائري حول نداء اول نوفمبر. وانضم الى صفوف جيش التحرير مختلف شرائح المجتمع من عمال وفلاحين وتجار ومثقفين وطلبة، حتى أصبحت تعاني من شدة الإقبال. وتخفيف الحصار الذي كان مفروضا على منطقة الأوراس باشر جيش التحرير في وضع النهار بقيادة زيغود يوسف ومساعدة سكان المنطقة من المدنيين بشن هجومات عنيفة يوم 20 اوت 1955 م في شمال قسنطينة (سكيكدة، ميلة، الخروب) على 36 مركزا استعماريا والذي تواصل لمدة ثلاثة ايام، ولجأ الاستعمار اثناءها الى الانتقام من المدنيين، وكلفت هذه العملية استشهاد 1273 جزائريا وقتل 123 فرنسيا، ادت الى القطيعة بين المدنيين الاوروبيين والشعب الجزائري وحدت الهبب الثورة الى كامل الشمال القسنطيني، وبرهنت للعالم بان الثورة الجزائرية ليست مسالة فرنسية داخلية كما كانت تدعي، وانما تندرج في اطار حركة تحررية.

ولرفع فعالية الثورة على الصعيد الداخلي والدولي وتوحيد الصفوف والتنظيم والتنظير، قامت جبهة التحرير بتنظيم اول مؤتمر لها بمنطقة افري واد الصومام بجايه وذلك في 20 اوت 1956 م سمي بمؤتمر الصومام، حضره كل من مندوبي الولاية الثانية، الثالثة والرابعة، وظروف الحرب القاسية غاب عنه مندوبو الولاية الاولى والموجودون بالخارج، ورغم ذلك عرف نجاح كبيرا. فقد حقق قفزة نوعية اعطت للثورة الجزائرية دفعا جديدا وصانتها من أخطار التمزق لانها حالت دون وجود فراغ قيادي. فخرج المؤتمرون بقرارات سياسية هامة، والمتمثلة في انشاء المجلس الوطني للثورة الجزائرية المتكون من 34 عضوا 17 دائمين و 17 اضافيين. و الذي يعد بمثابة برلمان أو بالأحرى اللجنة المركزية لجبهة التحرير الوطنية يمثل مختلف الاتجاهات الوطنية ماعدا الحزب الشيوعي الجزائري والحركة الوطنية الجزائرية، ويتمتع بجميع الصلاحيات السياسية والعسكرية. وله الحق في مواصلة الحرب او ايقافها. ومنه انبثقت لجنة التنسيق والتنفيذ وكانت في البداية تتكون من خمسة أعضاء وهم عبان رمضان ويوسف بن خدة والعربي بن مهيدي وكريم بلقاسم وبعد رحلته. ثم توسعت الى اربعة عشر وكان مهامها الاشراف على الشؤون السياسية والعسكرية وتوجيه قادة الولايات وتبنوا خلالها مجموعة من القرارات منها مبدا اولوية الداخل الجزائر على الخارج والسياسي على العسكري. وقسم التراب الوطني إلى ست 6 ولايات عسكرية، وكل ولاية تنقسم الى مناطق ونواحي وفصمات. وعلى رأس كل ولاية قائد برتبة عقيد، وتنظم الجيش الى فوج وفرقة وكتيبة وفيلق كما تم تشكيل ثلاثة انماط من الثوار :

مجاهدون، مسبلون وفيدائيون. وأقام إلى جانبهم مرافق ذات صبغة اجتماعية تتكفل بالشؤون الصحية والتعليمية والقضائية تقدم خدماتها للجنود والمواطنين.
وفي عام 1958 م تحول جيش التحرير الوطني إلى جيش تشرف عليه هيئة عامة لقيادة الأركان تنسق العمليات العسكرية بين الولايات الست، إلى جانب هذا كان جيش التحرير يتوفر على قواعد عسكرية موجودة على التراب التونسي والمغربي بالقرب من الحدود، تنحصر مهمتها في إدخال الأسلحة إلى الوطن وتدريب الجنود.
وفي 19 سبتمبر 1958 م تحولت لجنة التنسيق والتنفيذ إلى أول حكومة مؤقتة للجمهورية الجزائرية دامت إلى غاية جويلية 1959 م وضمت 19 عضوا وهم على التوالي :

1- فرحات عباس : رئيس المجلس

2- كريم بلقاسم نائب الرئيس و وزير القوات المسلحة

3- أحمد بن بلة : نائب الرئيس

4- الأخضر بن طوبال : وزير الداخلية

5- عبد الحفيظ بوصوف : وزير الاستعلامات و الاتصال

6- الأمين دباغين : وزير الشؤون الخارجية

7- محمود شريف : وزير السلاح و المؤونة

8- عبد الحميد مهري : وزير شؤون شمال افريقيا

9- بن يوسف بن خدة : وزير الشؤون الاجتماعية

10- توفيق المدني وزير الشؤون الثقافية

11- أحمد فرنسيس : وزير المالية

12- محمد يزيد : وزير الاعلام

13- محمد بوضياف : وزير الدولة

14- حسين ايت أحمد وزير الدولة

15- محمد خيضر : وزير الدولة

16- رابح بيطاط . وزير الدولة

17- الأمين خان . كاتب الدولة (الولاية الثانية)

18- عمر أوصديق كاتب الدولة (الولاية الرابعة)

19- مصطفى بوطمبولي كاتب الدولة ممثل لمنطقة وهران

و بعد يوم من تأسيسيا اعترفت بها 26 دولة وكانت الدول العربية السابقة الى ذلك. وبادرت الحكومة فور تكوينها بجولات إلى عدة عواصم عربية وإلى الهند وباكستان والصين و يوغوسلافيا والاتحاد السوفياتي لشرح القضية الجزائرية وطلب المساعدة العسكرية والسياسية.

ونظرا للتفوق الكبير للجيش الفرنسي من حيث العتاد اعتمدت الثورة في مواجهة العدو منذ انطلاقها وإلى غاية الاستقلال على العمليات الفدائية في المدن والمكامن والاشتباكات في المناطق الجبلية مما جعل العدو لا يستقر. فأصبحت الحكومات الفرنسية تسقط الواحدة تلوى الأخرى. هذا بالاضافة الى الأموال الباهضة التي كانت تصرفها لتموين الحرب والمقدرة حسب إعلان ديغول عام 1959م ب 1000 مليار فرنك سنويا.

و تلبية لنداءات جبهة التحرير قام الاتحاد العام للعمال الجزائريين الذي كان يرأسه آنذاك الشهيد عيسات ايدير باضراب عام استمر من 28 جانفي إلى 4 فيفري 1957 م. شلت على اثره الحركة الاقتصادية والتجارية في مختلف القطر الجزائري. وخرج الشعب الجزائري في 11 ديسمبر 1960 م في مظاهرات ضخمة انطلقت من حي بلكور بالجزائر العاصمة ثم امتدت من بعدها إلى اغلب مدن التراب الوطني حاملين لافتات تنادي باستقلال الجزائر وتندد بالاستعمار معبرين بذلك عن وقوفهم مع جبهة التحرير الممثل الشرعي الوحيد للشعب وأن الجزائر ليست فرنسية. وخلفت هذه المظاهرات 110 شهيداً في صفوف الجزائريين وعشرات الجرحى

دبلوماسية الحرب

وعلى الصعيد العالمي لعبت الدبلوماسية الجزائرية دورا هاما في تدويل القضية الجزائرية في مختلف المحافل الدولية، وذلك منذ الوهلة الأولى لاندلاع ثورة نوفمبر. ففي البداية تكفلت بهذه المهمة البعثة الخارجية لجبهة التحرير التي كانت متواجدة بالقاهرة، ولما تأسست الحكومة الجزائرية المؤقتة سنة 1958 م أسندت المهمة لدبلوماسية كل من وزارة الخارجية ووزارة الاعلام، ولعب رجالها دورا كبيرا على المستوى الجهوي والدولي بشرح قضية الجزائر وفضح سياسة فرنسا الاستعمارية و تحسيس الرأي العالمي حولها. مستعملة في ذلك كل الوسائل المتاحة: إلقاء المحاضرات واقامة معارض وارسال البعثات الرياضية والفنية بجولات عبر العالم للتعريف بالقضية الجزائرية سمحت لها هذه الأعمال بكسب العديد من الدول الصديقة في إفريقيا واسيا و دروب لترقية الى جانبها هذا بالاضافة إلى مشاركتها في المؤتمرات الدولية مثل مؤتمر باندونغ ومؤتمر الصداقة بين شعوب افريقيا واسيا ومؤتمر الشعوب الافريقية وغيرها. لأنه الشدة التي اتخذت منها منبرا لسياستها الخارجية استطاعت من خلالها عزل فرنسا على الساحة الدولية، ولقت تضامنا كبيرا من قبل الدول العربية والشعوب المناضلة للامبريالية مثل الصين و يوغوسلافيا التي دعمتها عسكريا وسياسيا وسمحت لها بفتح مكاتب في عواصمها، واحتضنت العاصمة تونس عام 1957 م مقر الحكومة الجزائرية المؤقتة بعد استشهاد أبرز أعضائه. ولسبب هذا تدعيم تعرضت يوم 8 فيفري 1958 م قرية سيدي يوسف الموجودة في التراب التونسي بالقرب من الحدود الجزائرية لى هجومات الطيران الفرنسي، كانت حصيلتها مقتل 76 شهيد و102 جريحا من جزائريين وتونسيين ودمرت مئات المساكن. كما تعرضت الجمهورية المصرية يوم 29 كتوبر 1956 م لى عدوان ثلاثي فرنسي بريطاني اسرائيلي، ان كانت حجتهم في الاعتداء تأميم قناة السويس. وعلى الصعيد المغاربي تجسدت مجهودات الدبلوماسية الجزائرية باتعقاد مؤتمر طنجة في شهر أفريل 1958 م الذي وضع قواعد الوحدة المغاربية .

وبمناسبة انعقاد مؤتمر باندونغ عام 1955 م للدول الأفرو-اسيوية بدى المؤتمرون تدعيمهم المطلق للثورة الجزائرية، وبفضل الجهود الجبارة للدبلوماسية الجزائرية قررت الجمعية العامة للامم المتحدة في دورتها العاشرة ولأول مرة تسجيل القضية الجزائرية على جدول أعمالها، وذلك يوم 30 سبتمبر 1956 م نتيجة

حصولها على 71 صوتا ضد 27. وفي الدورة الثالثة عشر التي انعقدت في 14 ديسمبر 1958 م قدمت دول الأفرو-اسيوية توصية تنص على الاعتراف بحق الشعب الجزائري في تقرير مصيره، وبأغلبية الأصوات صدقت الجمعية العامة لهيئة الأمم المتحدة في شهر ديسمبر 1960 م على لائحة تطلب من خلالها الحكومة الفرنسية والجزائرية استئناف المفاوضات لغرض تقرير مصير الشعب الجزائري.

النضال السياسي للمهاجرين الجزائريين أثناء الثورة التحريرية

إن النضال السياسي للمهاجرين الجزائريين بفرنسا لأجل استقلال الجزائر لم يكن وليد ثورة نوفمبر، وإنما تعود جذوره إلى مطلع القرن العشرين حيث انخرط وناضل العمال الجزائريون في صفوف المنظمات النقابية الفرنسية للدفاع عن حقوق اخوانهم الجزائريين وخير دليل على ذلك ولادة أول حزب سياسي جزائري بالتراب الفرنسي ألا وهو نجم شمال افريقيا. ولم تنقطع هذه الروابط النضالية بين المهاجرين واخوانهم في الداخل بل كانوا دائما في اتصال عن طريق المكاتب الحزبية التي أنشأوها في مختلف المدن الصناعية الفرنسية سواء في عهد نجم شمال افريقيا أو حزب الشعب أو أثناء فترة جبهة التحرير الوطني. ولقد ساهموا ماديا ومعنويا في إنجاح ثورة نوفمبر. وقدموا النفس والنفيس من اجل استقلال الجزائر. ولما اندلعت ثورة نوفمبر 1954 م نقل المهاجرون معركة الجزائر الى فرنسا، وجراء ذلك تعرض المناضلون الجزائريون الى مضايقات ومطاردات من طرف البوليس الفرنسي وزج بهم في السجن لعرض القضاء على نشاطهم. ولكسر هذا الحصار المفروض عليهم واسماع صوة الجزائر عالميا، وبناء على تعليمات اتحادية جبهة التحرير بفرنسا خرج الجزائريون رجالا ونساء في مظاهرة سلمية كبيرة يوم 17 اكتوبر 1961 م الى شوارع باريس عاصمة حقوق الانسان بدءا من الساعة الثامنة ليلا حاملين العلم الجزائري ومرددين شعار "الاستقلال للجزائر". وعلى الساعة الحادية عشر وجدوا أنفسهم محاصرين من طرف الشرطة الفرنسية، وبأمر من السفاح النازي موريس بابون محافظ شرطة باريس ومساندة وزير الداخلية روجي فري ورئيس حكومة فرنسا ميشال دوبري فجم البوليس المتظاهرين وأجهز عليهم بالرصاص، فمنهم من قتلوا في المترات وعلى ارصفة الشوارع ومنهم من رمي بهم في نهر السين، والقوا القبض على المئات من الجزائريين تحت وابل من ضربات العصى والشتم، ويقول رمن الاعتقال اكثر من أسبوع تعرضوا لشتى أنواع التعذيب والجوع، واثناء التحقيق سلطوا عليهم الكهرباء، ومنهم من قتل بالرصاص داخل مركز الشرطة، ورفض بعض الجرحى البقاء للعلاج في المستشفى خوفا من انتقام الشرطة وكان البوليس الفرنسي عندما يلقي القبض على المتظاهرين يسألهم هذا السؤال "أنت يا محمد تعرف السباحة، فاذا أجاب لا، يرمي به في نهر السين". وفي صباح اليوم الموالي اكتشفت كثير من مدة جثة

من نهر السين. وحسب الرقم الذي قدمه جان لوك اينودي صاحب كتاب "معركة باريس" وصل عدد القتلى من الجزائريين إلى أكثر من 200 شهيد في ظرف ليلة واحدة. و لما هزت هذه المظاهرة الرأي العام الفرنسي والعالمي وأثير جدل حول الأساليب الوحشية التي أستعملت فيها أستدعي موريس بابون إلى البرلمان الفرنسي، فكان رده كما يلي : "أن ذلك كان ضروريا حتمته المواجهة ضد جبهة التحرير. وبناءا على تجربة لي في (الشرق الجزائري) التعاطي مع مثل هذه الاعمال في الجزائر". وعندما رفعت احدى النساء الجزائريات دعوى قضائية على اثر فقدان زوجها رفض قاضي التحقيق النظر في القضية بدعوى أن القضية شملتها عملية العفو العام. وفي سنة 1999 قدمت الحكومة الفرنسية موريس بابون للمحاكمة بناء على طلب الدولة اليهودية و بضغط من الصهيونية العالمية للمجازر التي ارتكبها ضدهم أثناء الحرب العالمية الثانية عندما كانت حكومته تعمل في صفوف النازيين الألمان المحتلين لبلده فرنسا. وهذا بعد أن تكتمت الدولة الفرنسية سنين عن أعماله الإجرامية، وفي نفس الوقت غضت عن مجازره في حق الجزائريين.

رد فعل السلطة الفرنسية تجاه الثورة الجزائرية

صرح رئيس الحكومة بيير مسمير في البرلمان الفرنسي ردا على بعض النواب الجزائريين الذين طالبوه بقمع تمرد المجاهدين وتحقيق الاندماج بسرعة "لا تخافوا، إن الأمة لن تسمح لأحد بأن يخاطر بوحدتها. وليس هناك انفصال ممكن لجزائر عن فرنسا . وسنضرب بشدة. وبعد عودة الأمن سنزيل البؤس على الجزائريين". وانهم الدولة المصرية أنها ورا ذلك. وفي تصريح اخر يقول "وهناك مواطنون شنوا حربا على وطنهم ولكن الشعب لم يتبعهم. وقد اتخذت الاجراءات الصارمة التي يقتضيها الموقف، وأعددنا وجندنا جميع الإمكانيات حتى تتغلب قوة الأمة". أما وزير الداخلية الفرنسي فرنسوا ميتران فقال " لم كنا نقبل الحوار مع الوطنيين في البلدين المحميين المغرب وتونس، فإن ذلك غير ممكن مع الجزائر، التي هي مقاطعة فرنسية وجزء لا يتجزأ من فرنسا. وكل الذين يتظاهرون بشين ضد سلامة الأمة ووحدتها سيتعرضون لصرامة القانون. لن المفاوضات مع هذا البلد في هذه الحال ستكون الحرب، اذ لا يمكن أن تكون هناك محادثات بين الدولة والعصابات المتمردة التي تريد الحلول محلها". ومن هذا المنطلق عملت السلطات الفرنسية كل ما في وسعها لافشالها والقضاء عليها، فشرعت في مصادرة الصحف الوطنية والقبض على المناضلين والمتعاطفين مع الثورة وكل شخص مشبوه فيه وزجت بالالاف من الجزائريين في السجون والمعتقلات ومراكز التعذيب التي انتشرت في مختلف انحاء البلاد وتفننت في التنكيل بهم وتعذيبهم. ولهذا الغرض أسست مدرسة بسكيكدة اسمها حان ترك يعلم فيها الضباط كيفية الحصول على المعلومات من الثوار باستعمال شتى فنون التعذيب النفسي والجسمي، كاغتصاب النساء واستعمال الكهرباء في الأماكن الحساسة من الجسم والاحراق بالسجائر والقطن في الماء والتحويع والتحريض لنهش الكلاب و تسليط الأضواء الكاشفة على العينين والتعليق لمدة ساعات من اليدين أو الرجلين. وقد وجدوا شهوة ولذة في هذا العمل الإجرامي الذي استشهد على اثره الكثير من المجاهدين. وهذه شهادة أحد الضباط الفرنسيين في رسالة كتبها إلى صديقه بفرنسا يوم 6 جوان 1956 م "صديقي جون، إني لم أشعر بالنفور والكراهية في حياتي كما شعرت بها هذه المرة أمام أعمالنا الوحشية، إن النازيين الألمان يعتبرون أطفالا صغارا بالقياس لنا. فقد شاهدت المكتب الثاني لجنود المظلات كيف يستجوب

المعتقلين، انهم يعذبون طوال النهار إلى أن يدلوا بمعلوماتهم. ويستعملون معهم التعذيب بالماء إلى أن يخرج الماء من جميع نواحي الجسم، ثم يربط انحناء ايدي المساجين وراء ظهورهم ثم يعلقونهم في الفضاء من أيديهم حتى تتحدد المفاصل ثم يوجعونهم ضربا. وزيادة على هذا يستعمل الكهرباء في تعذيب المساجين بوضع سلك كهربائي في العضو الجنسي والسلك الآخر في الرأس ثم يمرر التيار الكهربائي في دفعات متتالية، وتنتهي العملية أخيرا بإثبات سكين في الظهر". ولقد فشلت خطط الاستعمار في ملاحقة الثوار والقضاء عليهم بادر جنرالات فرنسا في محاولة إثارة مختلف التيارات الوطنية بعضها ضد بعض املا في ان تتولى بصورة أو بأخرى إحباط طريق الكفاح المسلح، فجندت الخونة من الحركة لمساعدتها في مهمتها التدميرية، وسلحت جماعة بلونيس المنتمية للحركة الوطنية الجزائرية الموالية لمصالي الحاج و أرسلتهم ابتداء من عام 1955 م للجبال لمواجهة جيش التحرير، ولكن هذا الأخير تمكن من القضاء على بلونيس وجماعته الى غير رجعة. كما سحبت بعض الجزائريين وبعثتهم ليندسوا في صفوف جيش التحرير للقيام بأعمال اجرامية ضد الشعب الجزائري وينسبونها الى جيش التحرير، الا ان هذه العملية باءت بالفشل لأن الأشخاص المبعوثون ابلغوا قادة الجيش بالخطة. ولإعطاء صبغة شرعية لهذه الأعمال الوحشية عمدت حكومة ادغار فور الى إصدار قانون الطوارئ الذي صادق عليه البرلمان الفرنسي يوم 3 أفريل 1955 و منح بموجبه السلطات العسكرية الضوء الأخضر لخنق أي صوت يساند ثورة نوفمبر. ولم يقف الاستعمار الفرنسي عند هذا الحد بل أعدم الكثير من المجاهدين في سجون سركاجي والحراش ولمبيز، واول شهيد نفذ فيه حكم الاعدام هو زبانة احمد يوم 19 جوان 1956 م على الساعة الرابعة صباحا، وهذا دون أن ننسى المفقودين الذين اختطفو من منازلهم دون ان يعرف عليهم اي خبر إلى يومنا. ولتوسيع نطاق حربه الابادية ضد الشعب الجزائري استعمل الضباط الفرنسيون خبراتهم المكتسبة في حرب الفيتنام التي انهزموا اثناءها في معركة ديان بيان فو، فقام الجيش الفرنسي بعمليات تمشيط و سعة النطاق تدخل ضمن مخطط شامل يقصف الجبال والقرى الحدودية بالطيران والمدفعية بقنابل ممنوعة دوليا والقتل الجماعي وانتهاك الحرمات باغتصاب النساء وتطبيق سياسة الارض المحروقة، بحرق الغابات بوصفها ملجأ للمجاهدين وتطبيق مبدأ المسؤولية الجمعية الذي يقضي بمعاقبة كل سكان القرية في حالة التعاون مع المجاهدين أو إلحاق ضرر بمصالح العدو. وتكون منطقتهم مسرحا للمعارك. وهذه شهادة على سبيل المثال للكاتبين دوبيسك داريو وفيليب فينيو في كتابهما "الجزائريون في حرب"، "حدث بوحا بأن شيخا عمره ستون

سنة، كان يرافقه حفيده ابن اثنى عشرة سنة، فجأتهما دورية من المظليين كانت تقوم بعملية تمشيط للمنطقة فاختطفت الطفل. اما الشيخ فقد "أعدم بالرصاص بعد أن كسرت ذراعاه و رجلاه بعصا غليظة لا لسبب إلا لأنه جزائري". وعندما عجز الجيش الفرنسي عن القضاء على الثورة في عامها الاول، اتخذت الحكومة الفرنسية قرارا يوم 23 أوت 1955 م باستدعاء احتياط 60000 جندي عام 1954 الى 400000 عسكري عام 1956. اضافة الى العتاد الحربي من طيران ومدفعية ودبابات و قناصل لمنابعه بتدعيم من الحلف الاطلسي. ولما علم بأن قوة وصمود جيش التحرير تكمن في المساندة الشعبية و المعنوية لأهل البوادي أنشأ المستعمر المناطق المحرمة و قام بعزل سكان الارياف عن الثورة وأجبرهم في أواخر سنة 1957 م على مغادرة مساكنه و ممتلكاته و رحيل اجباري. ووضعتهم في محتشدات تحت الحراسة لا تتوفر على ادنى وسائل الحياة محاطة بأسلاك الأسلاك المكهربة لمنعهم من الاتصال بجيش التحرير. عشرات المحتشدات مع عددهم 2600 ساكن وجمعت حوالي مليون نسمة، الا ان هذا لم يثني من عزيمته في مساندة الثورة اذ أصبحت هذه المحتشدات مراكز للمقاومة ولايقاف تسرب الجنود والأسلحة من الحدود عمدت إلى وضع حواجز بأسلاك شكيرة ضع عليها اسم خط موريس وبلغت على الحدود الشرقية 450 كم وعلى الحدود الغربية 750 كم. وأنشئت بالقرب منها مراكز للمراقبة و دوريات وزرعت الألغام على طول الخط ولتعزيز أعمالها الجهنمية اصدرت السلطات الفرنسية يوم 7 جانفي 1957 م قرارا خول بموجبه الجنرال ماسو Massu كل الصلاحيات البوليسية والعسكرية و ترك له كامل الحرية في مواجهة معركة الجزائر العاصمة. ارتكب خلالها ابشع الجرائم المنافية للإنسانية من تعذيب وقمع المظاهرات واغتيالات بدون تهم وقتل البطل العربي بن مهيدي شنقا بعد تعذيبه على يد رجاله في السجن بالجزائر العاصمة بأمر من الحكومة الفرنسية يوم أن القي القبض عليه مسدسة من طرف جنود بيجار في 5 افيفري 1957 بمدينة الجزائر. وأعلنت السلطات الفرنسية انذاك بأنه انتحر واستلزم سنتين من بعد استقلال الجزائر ليعترف الجنرال بول أوساريس Paul Oussaresses الذي كان يحمل انذاك رتبة مقدم في كتابه الذي صدر بباريس يوم 3 ماي 2001 م تحت عنوان "أجهزة خاصة الجزائر 1955 م- 1957م" بانه قتل شنقا وهذه مقتطفات مما جاء من كتابه حيث يقول" في الغرفة وبمساعدة رؤساني كبلنا العربي بن مهيدي ثم شنقناه بكيفية توحي بالانتحار، ولما تأكدت من وفاته فككت أغلاله ونقلته إلى المستشفى قبل إجراءي مكالمة هاتفية مع ماسو قائلا له جنرالي لقد انتحر بن مهيدي وجثمانه في المستشفى وسأتيك بتقرير صباح غد.

اما فيما يخص التعذيب، فإنه كان مسموحا به بل ومطلوبا وفرانسوا ميتيران وزير العدل كان له مبعوث لدى ماسو في شخص القاضي جان بيرار وهو يحميا وكان على اطلاع كامل بما يجري في الليل لم أكن أشعر بالحقد ولا بالشفقة كل ما كان ماثلا في ذهني هو انني أمام وضع بالغ الاستفحال و تحت يدي شخص متورط بشكل مباشر في عملية إرهابية وكل الوسائل مقبولة لإرغامه على الكلام". ولم يكن بن مهيدي الضحية الوحيدة بل قتل أيضا على يده مسامي جبهة التحرير علي بومنجل الذي القي من الطابق الأعلى للعمارة بكل برودة هد نهيك عن العشرات من الجزائريين المجهولين، وما بول وساريس إلا صورة طبق الأصل لنجيش الفرنسي لأن أمثاله كانوا بالآلاف. وعند ما فشلت الأساليب القمعية و لحرب الاذنية في اخماد الثورة والتاثير على نفسية الجزائريين تجه الاستعمار الفرنسي الى اغراء الشعب الجزائري بإصلاحات اقتصادية واجتماعية لعله تبعده عن مساندة المجاهدين، وهذا ما بادر به الحكم العام للجزائر سوستال في محاولته الاصلاحية في المجالات الاقتصادية و الاجتماعية و الثقافية. وتدعيما لهذا المنهج القى رئيس الجمهورية الفرنسية الجنرال ديغول عام 1958 م خطابا بمدينة قسنطينة وعد فيه باصلاحات شاملة تتمثل في بناء 200000 مسكنا، وتوفير 400000 منصب شغل. وفتح المدارس لاستيعاب أكبر عدد من الاطفال الجزائريين، ورفع اجور العمال واتفق على هذا المشروع أزيد من 2000 مليار فرنك فرنسي لاسترجاع السلم، والحقيقة أن سياسة الاصلاحات ما هي الا حل سلمي للمشكل باطنه اجهاض الثورة. وعندما لم ينجح ديغول في هذا المسلك بادر الى الخنافيرات السياسية سلم لشجعان وتقرير لمصير .

ردود الفعل الداخلية
و الخارجية حول ثورة نوفمبر

بمجرد اندلاع ثورة نوفمبر استولى الهلع و الفزع على اوروبي الجزائر واعتبروه زلزالا يهدد كيانهم ومصيرهم في هذا البلد و طلبوا الحماية من الجيش وحمل السلاح وقمع ثورة نوفمبر، وقد شرعوا فعلا في إعداد الميليشيات وشراء الأسلحة، وهذا رد فعل طبيعي ومتوقع لأن المعمرين الأوروبيين منذ الوهلة الأولى لاحتلال الجزائر كانو أكثر عداوة للشعب الجزائري من الحكومات الفرنسية التي تعاقبت على الجزائر، وخاصة سيم الاقطاعيون ويقوا على موقفهم هذا إلى يوم الاستقلال. ماعدا القليل جدا منهم يحسبون على عدد الأصابع لا يتجاوزون عشرة أشخاص منهم من دفع حياته ثمن مساندته الفكرية العلنية لثورة الجزائر. وهم أودان Audin و ايفتون Yveton أما اليهود رغم جذورهم العميقة في تاريخ الجزائر و رغم الضمانات التي منحتها للأوروبيين وايافم جبهة التحرير. إلا انهم وقفوا مع الجهاز الاستعماري و ليس هذا فقط. بل تدخلت حتى الدولة الصهيونية في شؤون الجزائر بإرسالها لحوالي مئتي شخص من مواطنيها لتدريب و تدعيم المنظمة العسكرية السرية O A S في عملياتها الإرهابية المعرقلة لاستقلال الجزائر. لأن الدولة اليهودية كانت ترى في استقلال الجزائر تدعيما جديدا للشعب الفلسطيني في كفاحه المسلح ضدها.

ووقفت كل الطبقة السياسية الاوروبية بالجزائر من رؤساء البلديات إلى الحاكم العام موقف عدائيا من ثورة نوفمبر. ودون البحث عن دوافعها ودواعثها وأبعادها الحول لها، لجأت إلى البحث عن أسبابها في الخارج فطلب الأوروبيون بخنقها ثم خنقها، واعتبروا محركيها عبارة عن عصابات إرهابية ولقبوهم بالفلاقة المتعصبين الضالين وهي تريد دمج لقضية لجزائرية مع الملف المغربي و التونسي لعرضه على هيئة الأمم المتحدة، والشعب الجزائري ليس معني بهذه العمليات الاجرامية، وأن جميع التدابير الصارمة ستتخذ ضد مرتكبيها، وألصقوا تهمة تحريكها في البداية بمصالي الحاج، واتهموا مصر والدول الشيوعية بتحريضها. أما الحركة والخونة من الجنس الجزائري أصحاب الامتيازات امثال القياد والباشاغات فقد أغرقوا الحكومات الفرنسية ببرقيات الولاء المتعاطفة والمساندة لهم، واستنكروا وندوا بهذا العمل الارهابي مطالبين بقمع مرتكبيها، ويحتجون ضد

أي فكرة ترمي إلى فصل الجزائر عن فرنسا، وهذا تصريح النائب الدكتور المعروف ابن جلول مناصر الاندماجية مخاطبا السلطات الفرنسية في البرلمان "ارجو أن لا يلحق القمع إلا بالمجرمين، ثم لابد من تحقيق الاندماج تماما وفورا لتصبح الجزائر فرنسية حقيقة و عمليا".

أما رجال الدين المسيحي في الجزائر مثلهم مثل المواطنين الأوروبيين وقف أغلبيتهم إلى جانب الحكومة الفرنسية وطلبوا بقمع الثورة، وأرجع رجال الكنيسة وعلى رأسهم الكاردينال دوفال Duval السبب إلى الوضع المأسوي الذي يعيشه الشعب الجزائري، ومع ذلك يعترفون بأن فرنسا بذلت جهودا في تحسين مستواهم المعيشي. إلا أنه يجب هنا الوقوف عند الموقف الشجاع المشرف لأب جوبيك كرلان l'abbé Jobic Kerlan و الذي تعرف عن مأساة الشعب الجزائري بوجوده في الجزائر و اتصاله بصديقه المناضل التهيد باجي مختار الذي تأثر به، فابعد من سوق أهراس سنة 1956 م لمواقفه المساندة للثورة الجزائرية والذي كلفته فيما بعد توقيفه و وضعه في السجن.

أما الصحافة الأوروبية اليمينية الصادرة في الجزائر أمثال la Dépêche Algérienne و Journal d'Alger و écho d'Alger الخ، فأجمعت بصوت واحد على وجوب خنق هذا التمرد ومحاربته بكل الوسائل، وطلبت الصحف اليسارية الناطقة باسم الحزب الشيوعي الجزائري و المعروفة بتلاعبها بالألفاظ أمثال الجزائر جمهورية Alger républicain بالخبز والعمل لحل مشكل الثورة، وكأنما الشعب الجزائري ليس لديه كرامة ولا شخصية، ونفس التصريحات صدرت بالصحف الفرنسية اليمينية واليسارية ماعدا أنها ركزت مثل الطبقة السياسية الفرنسية على التحريض الخارجي من المعسكر الشيوعي و بالأخص مصر.

اما المثقفون الفرنسيون فمنهم من وقف ضد ثورة نوفمبر و منهم من كان له موقف معتدل، ماعدا الفيلسوف المشهور جان سول سرتار الذي ايد الكفاح التحريري للشعب الجزائري من بدايته الى نهايته.

أما الشعب الفرنسي فلم يولي اهتماما بثورة نوفمبر عند انطلاقها لأن معركة كانت بعيدة عنه، ولم يأخذها بجد إلا عند استدعاء الجنود الاحتياطيين وتمديد مدة الخدمة العسكرية إلى سبعة وعشرين شهرا، وقد تسبب قرار استدعاء الشبان الإحتياطيين في عدة مظاهرات قاموا بها ضد استخدامهم في حرب الجزائر. كما حدث يوم 5 سبتمبر 1955 م في محطة مونبارنس و يوم 11 في محطة ليون

بباريس. و قد تطور موقفهم بمرور السنين. ففي البداية كان نصف الشعب الفرنسي يؤيد الجزائر فرنسية و القليل منهم من طالب بالحكم الذاتي و الاندماج وهذا حسب صبر الأراء الذي قامت به الصحف الفرنسية. ثم تطور ابتداءً من سنتي 1957 و 1958 م لما شعروا أن حرب الجزائر حقيقية، فأيد أغلبيتهم استقلال الجزائر و الدخول في مفاوضات مع جبهة التحرير الوطني، ولمعرفة موقف الفرنسيين من قضية الجزائر نظم الجنرال ديغول يوم 8 جانفي 1961 م استفتاءً صوت فيه الشعب الفرنسي بنسبة 75,26 % لصالح تقرير مصير الشعب الجزائري.

وعلى الصعيد العالمي بذلت حكومة كل من مندس فرانس وعبي مولي مجهودات كبيرة لتحسيس الدول العربية والولايات المتحدة للوقوف إلى جانبها في حربها ضد الجزائر، وخوفت أمريكا من المد الشيوعي الذي سيلحق بها إن نالت استقلالها. فوقفت كل من انجلترا والولايات المتحدة الأمريكية إلى جانبها ودعمتها سياسيا في هيئة الأمم المتحدة وعسكريا بعدها أسلحة الحلف الأطلسي. وهذا ما صرح به سفير الولايات المتحدة للصحافة في باريس "أمريكا تؤيد تأييدا مطلقا السياسة الفرنسية في شمال افريقيا". وهنا تجدر الاشارة للموقف المشرف الذي أبداه عضو مجلس الشيوخ الأمريكي والذي أصبح فيما بعد سنة 1961 م رئيس الولايات المتحدة الأمريكية ألا وهو جون كنيدي في محاضرته التي ألقاها يوم 2 جويلية 1957 م المساندة لحركات التحرر العالمية في آسيا وافريقيا والتي عالج فيها بالأخص ثورة الجزائر وفضح سياسة فرنسا الاستعمارية، وقال لماذا لا تدافع أمريكا عن الحرية في افريقيا وآسيا ؟ فاعتبرت الحكومة الجمهورية الأمريكية هذه المحاضرة بمثابة تشجيع للثوار الجزائريين لانها كانت ترى أن القضية الجزائرية مشكل داخلي لفرنسا بينما كان رد الفعل الفرنسي شديد اللهجة تجاه كنيدي.

اما الاتحاد السوفياتي فصرح خورشتوف "أن الاتحاد السوفياتي لا يتدخل في الشؤون الداخلية لدول أخرى، وأن الحل السليم لهذه القضية يمكن أن يوجد بأن تؤخذ بالإعتبار الحقوق المشروعة و المصالح الوطنية لشعوب الاتحاد الفرنسي". أما المعسكر الشيوعي باستثناء الصين و يوغوسلافيا التي وقفت في السنين الأولى مع الثورة الجزائرية، فإن معظم الأنظمة الشيوعية الأخرى لم تعترف بثورة نوفمبر إلا ابتداءً من الستينيات أي بعد أن أصبح النصر مؤكدا.

كما هددت فرنسا لكل من تسول له نفسه من الدول الأجنبية التدخل في شؤون الجزائر باعتبارها جزءا لا يتجزء منها، وقامت بضغوطات دبلوماسية على الدول العربية و تهديد اذاعة صوت العرب بالقاهرة، وهذا ما جعل جامعة الدول

العربية عند انطلاق ثورة نوفمبر تتذبب و تتردد في مساندتها لقضية الجزائر، ورغم هذه التهديدات إلا أن هنالك بعض الشخصيات السياسية العربية ساندت الثورة التحريرية منذ انطلاقتها أول رمضانة وعلى رأسهم السوري أحمد الشقيري الأمين العام المساعد لجامعة الدول العربية، كما طلب النواب السوريون من حكومة بلدهم بمقاطعة فرنسا اقتصاديا وسياسيا، هذا دون أن ننسى لموقف المشرف للمملكة العربية السعودية التي طلبت من الجامعة العربية منذ الوهلة الأولى أي في يوم 13 ديسمبر 1954 م برفع قضية الجزائر على هيئة الأمم المتحدة، لكن جامعة الدول العربية التي كان يرأسها وزير خارجية لبنان أنفريد النقاش رفضت هذا الطلب. ولم تبد جامعة الدول العربية تأييدها المطلق للثورة الجزائرية إلا ابتداءً من اجتماعها المنعقد يوم 29 مارس عام 1956م والذي اتخذت فيه قرارا شجاعا وبالاجماع جاء فيه ما يلي : "لقد قررت جامعة الدول العربية أن تؤيد تأييدا كاملا و بدون تحفظ الشعب الجزائري في كفاحه من أجل استرجاع الاستقلال، وستقدم جميع البلدان العربية الأعضاء مساندتها للشعب الجزائري الأعزل الضعيف بجميع الوسائل التي في امكانها لمواجهة حرب فاشية شنت عليها بدون أي مبرر!" وابتداء من هذا اليوم بدأت جميع الدول العربية تدعيم الجزائر سياسيا وماديا.

اتفاقيات إيفيان
و استقلال الجزائر

لم تتوصل الحكومة المؤقتة الجزائرية إلى ابرام اتفاقية إيفيان إلا بعد مفاوضات طويلة و شاقة، ويعود اول اتصال بين جبهة التحرير الوطني والحكومة الفرنسية الى شهر افريل 1956 م، لكن هذه المحادثات ألغيت لسبب اختطاف طائرة الجمسة الأعضاء في جبهة التحرير الوطني يوم 22 أكتوبر 1956 م من طرف الطيران الفرنسي، والتي كانت متوجهة من المغرب إلى تونس لحضور مؤتمر مغاربي، وكانت تحمل بداخلها كل من السادة أحمد بن بلة ومحمد بوضياف وحسين آيت احمد ومحمد خيضر ومصطفى لشرف، وكانت هذه المحادثات غير مجدية، لكن نضال الثوار الجزائريين والضغط الدولي أرغم الرئيس الفرنسي ديغول بالاعتراف يوم 16 سبتمبر 1959م بمبدأ تقرير المصير الذي رفضته جبهة التحرير جملة وتفصيلا، لما كان يحتويه من خطر على السيادة الوطنية. واستجابة لتصريح ديغول يوم 14 جوان 1960م ارسلت الحكومة المؤقتة الجزائرية يوم 25 جوان مندوبين عنها هما: احمد بومنجل ومحمد الصديق بن يحي إلى مدينة مولان بفرنسا، غير ان الحكومة الفرنسية لم تتعامل معهم كمفاوضين، فمنعتهم من الاتصال بالصحافة و احاطت محادثتها معهما بالكتمان مما سبب في توقيفها من الجانب الجزائري يوم 29 جوان 1960م. لكن الاتصال بين الحكومة المؤقتة الجزائرية والحكومة الفرنسية لم ينقطع، حيث تمت عدة لقاءات سرية بين الطرفين في كل من لوسارن يوم 20 فيفري 1961م وإيفيان يوم 20 ماي 1961م. لكن هذه المحادثات باءت بالفشل لسبب اختلاف وجهات النظر بين الطرفين حاولت خلالها فرنسا ضرب الوحدة الوطنية، فمن الحكم الذاتي وتجزئة الجزائر عرقيا إلى طلب الهدنة وفصل الصحراء عن الشمال واقحام الحركة الوطنية الجزائرية التي يتزعمها مصالي الحاج في المفاوضات، بينما كان موقف الحكومة المؤقتة الجزائرية ثابتا يستمد مبادئه من نداء أول نوفمبر وقرارات مؤتمر الصومام، وهو السيادة الكاملة و الوحدة الشعبية والترابية للجزائر بما فيها الصحراء، وجبهة التحرير هي الممثل الوحيد وقضية وقف اطلاق النار. وخلال هذه الفترة و بالضبط يوم 22 افريل 1961 م باشر أنصار الجزائر فرنسية، وهم كل من الجنرالات شال وجوهو وسالان وزيلير القيام بانقلاب عسكري في الجزائر ضد حكم ديغول ظانين انه سيمتد من بعد ذلك إلى فرنسا، ولكن المحاولة انتهت بالفشل. و في يوم 5 أوت 1961 م

اجتمع مجلس الثورة بطرابلس (ليبيا) وأحدث تعديلا طفيفا على الحكومة، حيث عين السيد يوسف بن خدة رئيسا للحكومة المؤقتة خلفا لفرحات عباس، ثم أستأنفت بعد ذلك المفاوضات من جديد بين الحكومة المؤقتة الجزائرية والفرنسية، والتقى المندوبان محمد الصديق بن يحي ورضا مالك بالوفد الفرنسي في مدينة بال (سويسرا) يومي 28 و 29 اكتوبر 1961م، ثم لقاء بال الثاني يوم 9 نوفمبر 1961م للوصول إلى اتفاق مبدئي في محادثات لي روس الذي انعقدت من 11 إلى 19 فيفري 1962 م بين الوفدين الجزائري الذي كان يرأسه كريم بلقاسم والفرنسي برئاسة جوكس، والذي تم فيه التطرق إلى كل النقاط الأساسية التالية : الاستقلال، وحدة التراب الوطني بما فيها الصحراء، وحدة الشعب الجزائري، مصير الفرنسيين المدنيين بالجزائر، طبيعة العلاقات بين الجزائر المستقلة وفرنسا، وعرضت حصيلة تلك الاتفاقية على المجلس الوطني للثورة الجزائرية الذي انعقد من 22 إلى 27 فيفري 1962 م بطرابلس، وبعد دراستها تم التصويت على مشروع الاتفاقية بالاجماع، والتقى الطرفان من جديد بايفيان (سويسرا) وبصفة رسمية افتتحت المفاوضات يوم 7 مارس 1962 م بين الوفد الجزائري الذي كان يرأسه كريم بلقاسم ومن الجانب الفرنسي لوي جوكس رئيس الوفد، وبعد مناقشات حادة استلزمت اثني عشر يوما تم خلالها التطرق إلى المسائل المتعلقة بالتطبيق الفعلي لوقف اطلاق النار وتحضير عملية الاستفتاء، وتشكيل هيئة تنفيذية مؤقتة برئاسة جزائري تتولى تسيير الشؤون العامة في الجزائر فيما بين توفيق اطلاق النار والاستقلال، وقع الطرفان على اتفاقية ايفيان يوم 18 مارس 1962 م وبتفويض من مجلس الثورة الجزائرية دخل وقف إطلاق النار حيز التنفيذ يوم 19 مارس 1962 م على الساعة الثانية عشر ظهرا في كامل التراب الوطني، و لافشال وقف إطلاق النار بين الحكومتين الجزائرية و الفرنسية قامت منظمة الجيش السري O.A.S و هي منظمة إرهابية مدنية تأسست في فيفري 1960م وجمعت في صفوفها الأوروبيين أنصار "الجزائر فرنسية" بتصعيد الأعمال الارهابية خاصة بعد الأضاء على اتفاقيات ايفيان، فأخرجوا مسدساتهم وقاموا باغتيال مئات الجزائريين من المناضلين والأبرياء رجالا ونساءا وكل من سولت له نفسه الخروج الى الشوارع للذهاب إلى عمله أو شراء حاجياته، ففي مدينة الجزائر أصبح سكان القصبة محصارين في بيوتهم، هذا بالاضافة للانفجارات التي أصبحت لعبة أطفال بالنسبة لهم، وكانوا يقومون بهذه الأعمال بدون رقيب وبحرية مطلقة ويتواطؤ في بعض الأحيان مع رجال الشرطة والعساكر المعارضين لوقف اطلاق النار، ومن أبشع جرائمهم الارهابية تفجير سيارة ملغمة في ميناء الجزائر يوم 2 ماي 1962 م أدت

الى مقتل 62 شخصا و 111 جريحا كلهم من الجزائريين. وفي يوم 7 حزيران 1962 م أحرقوا مكتبة جامعة الجزائر و اتلفوا حوالي 500،000 كتاب. كما قتل الكاتب الجزائري مولود فرعون على يد منظمة يوم 15 آذار 1962 م أي قبل 3 أشهر من ابرام اتفاقيات ايفيان. وكان الغرض من هذه الأعمال منع أي حل سلمي لتحرير للدخول بعهم في مواجهة مسلحة تنفجر من خلاله وقف اطلاق النار وتوقع الحرب من جديد بين الجيش الفرنسي والجزائري. ولكن بعملة جبهة التحرير كانت اقوى من رصاصاتهم. وبالرغم من ذلك فان هذه الأعمال الإرهابية دفعت للتسرع وخاصة جبهة التحرير التي اصبحت تشك في بعض فئة عناد الاتفاقية. وبهذا السبب التقى وزير خارجية الحكومة المؤقتة السيد بن يوسف بن خدة بمندوب وزير الخارجي جوكس يوم 11 ماي 1962 م بمدينة بروس لسويسرا لدراسة الأوضاع المتدهورة في الجزائر وتبحث الطرفان في مسألة عودة نظام وتدوين تمكين المحافظين بالأعذية والادوية والتعاون المستقبلي بين الجزائر وفرنسا وتقرر عقد مؤتمر الاستفتاء في 1 جويلية. وبقرار هذا يوم في نفس يوم عقد منظمة الجيش السري بجبهة لتحرير الوطني فعند توقف العمل الإرهابي وبالفعل تم اتفاق بينهم يوم 17 حزيران 1962م ولكن الاشاعات والمعلومات عن نفسه هذه المنظمة O.A.S في صفوف الأوروبيين والتي تقدمها الجزائريين سوف يتقدمون منهم بعد الاستقلال. دخلت فيهم الرعب وارعبتهم على الرحيل الى فرنسا. وهكذا خلصونا نهائيا من صراع مستقبلي بين طبقتين مختلفتين عرقيا وثقافيا ودينيا.

وفي يوم 1 جويلية 1962 تقدم الشعب الجزائري الى صناديق الاقتراع. وبعد فرز الاصوات التي كانت نتيجتها كما يلي 5،975،981 نعم للاستقلال مقابل 16،534 لا. اعلنت اللجنة التنفيذية المؤقتة المكلفة بالاستفتاء نتائج الاقتراع يوم 3 جويلية. فخرج الشعب الجزائري بتظاهر في الشوارع. وفي نفس هذا اليوم اعترفت فرنسا وبصفة رسمية باستقلال الجزائر. وتم تحديد يوم 5 جويلية 1962م كموعد رسمي لاعلان الاستقلال. وهكذا بعد مضي 132 سنة من الوجود الاستعماري الفرنسي بالجزائر وبعد معركة شرسة دامت سبع سنوات عمت كل أرجاء الوطن، حيث لا يكاد يخلو شبر أرض من دم شهيد. و سنشهد خلالها أكثر من مليون شهيد نالت الجزائر استقلالها

جزائر ما بعد الاستقلال
أو الحلم المصادر

في عام 1962 و مباشرة بعد 5 جويلية يوم الاستقلال عرفت جبهة التحرير الوطني أزمة حادة كادت أن تعصف بالجزائر في حرب مدمرة لا نتيجة منها. وتعود أصول هذه الأزمة إلى الاجتماع الذي عقده المجلس الوطني للثورة الجزائرية في طرابلس من 27 ماي الى 4 جوان 1962 م لدراسة الوضع الجزائري والتحضير لما بعد الاستقلال و المصادقة على ميثاق المؤتمر، وبينما كان الشعب يعاني ويلات منظمة الجيش السري، كان بعض القادة وعلى رأسهم بن بلة كما يذكر ذلك المرحوم المنضل سعد دحلب في كتابه "مهمة منجزة" يخطط من أجل الحكم المستقبلي بمساندة قائد الاركان هواري بومدين المعارض لاتفاقيات ايفيان وللحكومة المؤقتة الجزائرية. فقدم بن بلة رفقة خيضر قائمة أعضاء مكتبه السياسي لتحل محل الحكومة المؤقتة، فرفض كل من آيت أحمد ومحمد بوضياف طلب الانضمام اليه، وخلق هذا التصرف ضجة في أوساط المؤتمرين لأنه يعني ببساطة السلطة، مما أدى إلى خلق جو متعفن هيمنت عليه الصراعات أحبر رئيس الحكومة المؤقتة بن يوسف بن خدة و وزرائه مغادرة هذا المؤتمر قبل نهايته إلى مقرهم بتونس لتكملة مهمتهم بشأن اتفاقيات ايفيان. وباعلان يوم الاستقلال انقسمت جبهة التحرير ودخل الاخوة الاعداء في صراع حربي كل يساند الاخر، فبعض قادة الولايات الداخلية ساندوا بن بلة وانضموا إلى جيش الحدود بقيادة هواري بومدين رغم أن هذا الأخير كان قد عزل من قيادة هيئة أركان الجيش في يوم 30 جوان 1962 م، والبعض الأخر من قادة الولايات وقفوا إلى جانب الحكومة المؤقتة، ولما اشتد الصراع بينهم خرج الشعب في الشوارع يندي بشعار "سبعة سنين بركات" ولو لا تدخل بعض المفضلين الحكماء والمجهودات التي بذلها يوسف بن خدة لتسوية الوضع بالتنازل على السلطة حقنا للدماء لكانت الجزائر تدخل في حرب أهلية دموية يصعب حلها، ومهما يكن فان جيش الحدود هو الذي فرض نفسه وكان الأقوى في هذا الصراع لما كان يملكه من أسلحة ثقيلة وحديثة.
وفي 7 أوت 1962م اصدرت الحكومة المؤقتة بيانا خولت بموجبه سلطاتها إلى المكتب السياسي المشكل من طرف بن بلة في انتظار اجتماع مجلس الثورة، فاستقر هذا الأخير بالجزائر العاصمة بفيلا جولي Villa Joly، وفي يوم 20 سبتمبر انتخب البرلمان الجزائري برئاسة فرحات عباس. وكون من بعدها بن بلة حكومته

وأنتخب يوم 29 سبتمبر 1963 م رئيسا لجمهورية الجزائرية في ظل الحزب الواحد والنظام الاشتراكي والحكم المطلق، وبادر إلى اقصاء معارضيه وقمعهم ولم ينج منه حتى حليفه خيضر. فألقى القبض على أيت احمد ووضع فرحات عباس رئيس البرلمان تحت الإقامة الجبرية بالجزائر. ومن المناضلين من بقي في صفوف حزب جبهة التحرير ومنهم من غادرها نهائيا ومنهم من أسس أحزابا مستقلة مثل حزب جبهة القوى الاشتراكية برئاسة ايت احمد. إلا انه منع من الممارسة السياسية. وفي سنة 1964 قام العقيد شعباني قائد الولاية السادسة بتمرد بسيط كلفه الإعدام. وهكذا إلى ان قام نائبه وزير الدفاع هواري بومدين بانقلاب عسكري ضده يوم 19 جوان 1965 م سمي بالتصحيح الثوري، فحاصر مدينة الجزائر بالدبابات ولم يحدث شيء يذكر ماعدا تظاهرات عنيفة التي ذهب ضحيتها حوالي ثلاثين قتيل من المدنيين المؤيدين لبن بله. ووضع هذا الاخير تحت الإقامة الجبرية مدة أربعة عشر سنة لم يتحرر منها الا بمجيئ الرئيس الشاذلي بن جديد سنة 1979م. ونظرا للفترة القصيرة التي حكم فيها البلاد لا يمكن الحكم على سياسة بن بلة ايجابا أو سلبا ولو أن جذور الأزمة التي تعيشها الجزائر اليوم ترجع إلى بداية الاستقلال لأن الدولة الجزائرية اعتمدت في حكمها للبلاد على الشرعية التاريخية ولم تستمد شرعيتها من الشعب، وهذا ما سمح لبعض محترفي السياسة من الطفيليين والانتهازيين وخاصة بعد وفاة هواري بومدين من افراغ محتوى نداء أول نوفمبر. وبتولي هواري بومدين السلطة وضع حزب جبهة التحرير على الهامش وأسس مجلس ثورة، ولكن كان يسير البلاد بمفرده وبيد من فولاذ بدون برلمان ولا دستور مدة اثني عشر سنة، واتبع سياسة التدرج في حكمه، ووجد في البداية صعوبة في تعامله مع الخارج لسبب عمليته الانقلابية سواء مع الدول الاشتراكية أو العربية وخاصة مصر لكن سرعان ما عادت الاوضاع إلى حالها بعد مشاركة الجيش الجزائري في حرب ستة أيام بين العرب واسرائيل عام 1967 م والتي كانت نتيجتها احتلال الجولان وسيناء من طرف اليهود. وفي نفس هذه السنة وبالضبط في شهر ديسمبر 1967 م قام العقيد الطاهر الزبيري بمحاولة انقلابية فاشلة تمكن بومدين من اخمادها في المهد. وفي عام 1967 م نظم هواري بومدين انتخابات المجالس البلدية، وفي عام 1969 م المجالس الشعبية الولائية ثم الميثاق الوطني سنة 1976 م وهو عبارة عن برنامج سياسي دار نقاش شعبي كبير حوله و تم التصويت لصالحه. وسنة من بعده عام 1977 م تم انتخاب المجلس الشعبي الوطني، وابتداء من السبعينيات شرع في تحقيق مشروعاته الكبرى الثورة الزراعية، وأنف قرية نموذجية، والصناعة المصنعة والتسيير الاشتراكي للمؤسسات.

وديمقراطية التعليم. والطب المجاني. وتأميم الأحياء. الأراضي تصحر الإصلاح الزراعي وتوزيع المحروقات يوم ٢٤ فيفري ١٩٧١م. وتدل مجموعات كبيرة لمجاهدة الأمية بين أبناء المدارس والمعلمين. وكل هذه الأعمال تسير وفقا للمخططات المبرمجة في إطار النظام الاشتراكي. وباختصار اصبحت الجزائر ورشة كبيرة تحقق خلالها مكاسب هامة على الصعيد الاقتصادي والاجتماعي والثقافي في كنف الحرية والعدل والمساواة. هذا في الجانب الداخلي أما على الصعيد الخارجي فقد لعبت الجزائر دورا كبيرا على المستوى الجهوي والعالمي اكسبتها سمعة عالمية كبيرة بوقوفها الى جانب الدول المستضعفة ودفعها المستعبدة على نيل استقلالها الثالث في مختلف المحافل الدولية. حتى اصبحت تستشار في عرف بعض رؤساء هذه الدول. وفي هذا الصدد صرح الرئيس هواري بومدين في قمة الأمم المتحدة سنة ١٩٧٤م بإنشاء اقتصادي دولي جديد يكون أكثر عدلا. ويخدم في مصلحة دول العالم الثالث. وكمكافأة لهذه المجهودات احتضنت الجزائر سنة ١٩٧٥م مؤتمر دول عدم الانحياز وتمكنت خلاله من تسوية النزاع بين العراق وإيران. كما وقفت الى جانب الدول العربية في حربها ضد إسرائيل في أكتوبر ١٩٧٣م ودعمته بالجيش والسلاح، وعلى العموم كانت ديبلوماسية بومدين خلال حكمه إيجابية. ماعدا بعض الأخطاء التي حدثت في تطبيق سياسة الثورة الزراعية والنقص الكبير الذي ارتكبه هو عدم تعيينه لخليفة من بعده. وبوفاته يوم الإربعاء ٢٧ ديسمبر ١٩٧٨م اثر مرض فقدت الجزائر احد ابرز أبطال الكبار صعب تعويضه حقه الجزائر بوفاة وحد واخلاص، وذلك ما اثبته الشعب بعد موته. وفي سنة ١٩٧٩م اختير الشاذلي بن جديد من طرف الجيش كرئيس للجمهورية بترشيح حزب جبهة التحرير الوطني. وعوض ان يسير في الاتجاه الصحيح الذي سلكه بومدين سار في محور سياسته. وماعدا الغاء رخصة الخروج الى الخارج وتحرير الطرق وبعد الصور التي تعرف الجزائر اي تقدم بل سائر في تراجع الى الوراء. فقدت سمعتها العالمية واعتمدت على ريع البترولي وقد نتج عنه من تبذير للأموال وخلق أزمات مفتعلة (الطماطم والزيت والقهوة) وسياسة المحسوبية وبن عميس في توزيع الريع والسكن وتولي المسؤوليات وتهميش الاطارات لجمعية الزيبة خلف لمصدة (ا لحزب جبهة التحرير التي تنص "على ان لا يتولى الوظيف العليا في القضاء العام، لا الأعضاء المنخرطون في الحزب". وسكات الشعب بالبيان والجبن والعملة الصعبة. بينما وجدت لرشوة ظالتها في هذا الجو المتعفن الذي سمح للعديد من الانتهازيين الاغتناء على حساب الدولة والشعب. وكانت هذه التحرفات السلبية السبب الرئيسي والمباشر في انتفاضة ٥ اكتوبر ١٩٨٨م. والتي ذهب ضحيتها حسب

التصريحات الرسمية ١٩٨٨ قتيلا في كنف الحزب الوطني منهم ١٠ في صفوف الحركة. وفي هذه المرحلة لم يكن الشاذلي الوحيد المسؤول عن مقتل جنود جبهة التحرير الذي أصبح في عهده حزب التكتل وجيء برئيس الوزراء وأعضاء الأحزاب الأربعة إلى مصادقة الشعب على الدستور الجديد لعام ١٩٨٩ والذي أعفى بموجبه الجيش الوطني الشعبي من صفوف حزب جبهة التحرير الوطني. وفتح باب الديمقراطية على مصراعيه للصحافة المكتوبة والجمعيات والتعددية النقابية والحزبية في ظل حرية عرجاء لا تسمن ولا تغني من جوع. وفتح مهرجان الركض وراء المناصب و الامتيازات. وللأسف بعض الذين كانوا يتقدمون بالأمس جبهة التحرير و يدعون لمعارضة أصبحوا انتهازيين أكثر مما كانت عليه. وباستقالة الشاذلي أو إقالته خرجت الجزائر من عشرية سوداء. كما يسميها البعض لتدخل عشرية حمراء، لم يبح دمها حتى الرئيس محمد بوضياف الذي اغتيل عبر بعنابة علنا مع أنه لم يكن مسؤول عن الأزمة لا من قريب و لا من بعيد، هذا بالإضافة إلى مقتل أكثر من مائة ألف جزائري جراء الإرهاب الأعمى. ومن السابق لأوانه التحدث عن هذه الفترة و لو أن أسبابها وملابساتها وحقيقتها ساطعة مثل الشمس.

المصادر باللغة العربية

- محمد سحنوني . ما قبل التاريخ. ديوان المطبوعات الجامعية، طبعة 1999م.

- محمد الصغير غانم : التوسع الفنيقي في غربي البحر الأبيض المتوسط، المؤسسة الوطنية للكتاب 1992م.

- مادلين هورس ميداان، ترجمة ابراهيم بالش تاريخ قرطاج، منشورات عويدات، بيروت، باريس 1881م.

- الدكتور محمد البشير شنيتي : سياسة الرومنة في بلاد المغرب من سقوط الدولة القرطاجية إلى سقوط موريطانيا، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع 1982م.

- محمد الهادي حارش التاريخ المغاربي القديم السياسي والحضاري منذ فجر التاريخ الى الفتح الاسلامي، المؤسسة الجزائرية للطباعة 1995م

- الدكتور محمد البشير شنيتي : التغيرات الاقتصادية و الاجتماعية في المغرب أثناء الاحتلال الروماني، المؤسسة الوطنية للكتاب 1984م.

- هشام الصفدي : تاريخ الرومان، دار الفكر الحديث.

- حسن حسني عبد الوهاب. خلاصة تاريخ تونس، طبعة ثالثة تونس دار الكتاب العربية الشرقية .

- الدكتور يحي بوعزيز : الموجز في تاريخ الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية 1994م.

- الدكتور عبد الله الشريط و محمد مبارك الميلي مختصر تاريخ الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب 1985م.

- عبد الرحمن بن خلدون : كتاب العبر و ديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر، بيروت 1959م.

- عيسى شتوف : يهود الجزائر 2000 سنة من الوجود، دار المعرفة 2000 م.

- الدكتور بشار قويدر : دراسات في تاريخ المغرب الاسلامي، منشورات دحلب 1993م.

- الدكتور عبد الحميد حاجيات . تاريخ دولة الأدارسة من كتاب نظم الدار و لعقيان للمؤلف عبد الله التنسي. المؤسسة الوطنية للكتاب 1984م.

- حودت عبد الكريم يوسف العلاقات الخارجية للدولة الرستمية، المؤسسة الوطنية للكتاب.

- دحاز امراهيم : عبد الرحمن بن رستم، المؤسسة الوطنية للكتاب 1990م.

- الدكتور مرعول محمد الصالح . السياسة الداخلية للخلافة الفاطمية في بلاد المغرب الاسلامي. ديوان المطبوعات الجامعية 1981م.

- الدكتور الحبيب الجنحاني : دراسات مغربية في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للمغرب الاسلامي. د ر الطليعة للطباعة والنشر بيروت.

- أبو زيد الهلالي : سيرة بني هلال، دوفه للنشر 1988م.

- محمد بن عبد الله بن بطوطة : تحفة النظار في غرائب الأمصار و عجائب الأسفار تقديم محمد المنوبدي، موفم للنشر 1989م.

- رشيد بورويبة الدولة الحمادية تاريخها و حضارتها. ديوان المطبوعات الجامعية - المركز الوطني للدراسات التاريخية 1977م.

- عبد الواحد المراكشي المعجب في تلخيص أخبار المغرب. القاهرة 1915م.

- صالح بن قربة : عبد المؤمن بن علي مؤسس دولة الموحدين، المؤسسة الوطنية للكتاب 1990م.

- روجي لي توزتو، ترجمة أمين الطيبي : حركة الموحدين في المغرب في القرنين الثاني عشر والثالث عشر، الدار العربية للكتاب.

- محمود بوعياد نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان، تأليف محمد بن عبد الله التنسي، المؤسسة الوطنية للكتاب والمكتبة الوطنية الجزائرية 1985م.

- عبد الحميد حاجيات : أبو حمو موسى الزياني حياته و اثاره، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع 1982 م.

- محمود بوعياد : جوانب من الحياة في لمغرب الأوسط في القرن التاسع الهجري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع 1982 م.

- مبارك بن محمد الهلالي الميلي : تاريخ الجزائر في القديم والحديث، مكتبة النهضة الجزائرية.

- عبد الرحمن محمد الجيلالي تاريخ الجزائر العام. الديوان الوطني للمطبوعات الجامعية 1992م

- أبو العيد دودو الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان 1830 - 1855م. المؤسسة الوطنية للكتاب 1989م

- جمال قنان نصوص و وثائق في تاريخ الجزائر الحديث 1500 - 1830م. المؤسسة الجزائرية للطباعة

- الدكتور ناصر الدين سعيدوني دراسات وابحاث في تاريخ الجزائر العهد العثماني. المؤسسة الوطنية للكتاب 1984 م

- عبد الحميد زوزو نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصرة 1830 - 1900م. المؤسسة الوطنية للكتاب.

- حمدان بن عثمان خوجة المرآة. ترجمة العربي الزبيري 1974م.

- محمد الطاهر وعلي الثعليبة البشيري في الجزائر. دار الشهاب باتنة 1990 م

- كاتب ياسين الامير عبد القادر والاستقلال الجزائر ترجمة محمد هناد. المؤسسة الوطنية للكتاب.

- العربي اسماعين المقاومة الجزائرية تحت لواء الامير عبد القادر. الشركة الوطنية للنشر.

- محمد العربي الزبيري الكفاح المسلح في عهد الامير عبد القادر. الشركة الوطنية للنشر.

- الدكتور يحي بوعزيز ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين. دار الشهاب 1980م.

- محمد العربي الزبيري مقاومة الجنوب للاحتلال الفرنسي. الشركة الوطنية للنشر

- الطاهر لوصديق ثورة 1871 ترجمة جناب مسعود المؤسسة الوطنية للكتاب 1989م.

- صالح عوض معركة الاسلام و الصليبية في الجزائر. دار الزيتونة للاعلام والنشر 1989م

- محمود قاسم. الامام عبد الحميد بن باديس الزعيم الروحي لحرب التحرير الجزائرية، دار المعارف القاهرة.

- محمود قاسم : الامام عبد الحميد بن باديس، دار المعارف القاهرة.

- انيسة بركات درار نضال المرأة الجزائرية خلال الثورة التحريرية، المؤسسة الوطنية للكتاب.

- بسام العسلي الصراع السياسي على نهج الثورة الجزائرية، دار النفائس بيروت.

- بسام العسلي المقاومة الجزائرية للاستعمار الفرنسي، دار النفائس بيروت.

- مصطفى لشرف الجزائر الأمة والمجتمع ترجمة إلى اللغة العربية حنفي بن عيسى، المؤسسة الوطنية للكتاب.

- الدكتور محمد العربي الزبيري الثورة الجزائرية في عامها الأول، المؤسسة الوطنية للكتاب 1984 م.

- زبير سيف الاسلام . صفحات من الصراع الجزائري الفرنسي، المؤسسة الجزائرية للطباعة 1988م.

- خالد نزار : مذكرات اللواء خالد نزار، منشورات الخبر 1999م.

- مجلة التاريخ، المركز الوطني للدراسات التاريخية، النصف الأول من سنة 1986م.

- مجلة التاريخ، المركز الوطني للدراسات التاريخية، النصف الثاني من السنة 1985م.

- مجلة الدراسات التاريخية، معهد التاريخ، العدد التاسع السنة 1995م.

- مجلة الدراسات التاريخية، معهد التاريخ، العدد العاشر السنة 1997م.

المراجع باللغة الفرنسية

- Gaid Mouloud , les berberes dans l'astoire. de la préhistoire à la Kahina. edition Mimouna 1990.

- Mohamed Chérif Salhi, le message de Youghourta. En-nahda 1992

- Jean Servier, les berbères, que sais-je. édition Dahlab.

- Chems eddine Chitour. l'Algérie le passé revisité. Casbah edition 1998

- Mahfoud Kaddache, l'Algérie dans l'antiquité. Enal 1992.

- Gaid Mouloud, les berbères dans l'histoire. de la Kahina à l'occupation turque, édition Mimouni 1995

- Mahieddine Djender, introduction à l'histoire de l'Algérie. ENAL 1991

- Pierre Cuperly introduction a l'étude de l'ibadisme et sa theologie. O.P.U 1990

- Gaid Mouloud. l'Algérie sous les turques. édition Mimouni 1991

- Mahfoud Kaddache. l'Algérie durant la période ottomane, éditon O.P.U 1992.

- Corinne Chevallier. les trentes premières années de l'état d Alger. OPU 1986.

- Amar Dhina. hommes d'etat hommes de guerre, ENAL 1992.

- H. de Grammont. histoire d'alger sous la domination turque. edition lerous. paris 1987.

- Benjamin Stora, histoire de l'Algérie coloniale 1830- 1954, édition ENAL - RAHMA 1996

- Yvonne Turin, affrontement culturels dans l'Algerie coloniale, école, médecine, religions 1830

- [illegible] ENAL 1983

- Mahfoud Kaddache, [illegible] Algérie dans l'histoire, édition OPU 1982

- Ch. Robert Ageron, [illegible] Algérie contemporaine, que sais-je, édition [illegible]

- Charles Henry Churchill, la vie d'abdelkader, edition ENAL 1991.

- Mahfoud Kaddache, Mohamed Ouennoughi, [illegible] le nord - africain 1926 - 1937, OPU 1988

- Olivier Long, le dossier secret des accords d'evian, OPU 1986

- Benyoucef Benkhedda, les accords d evian, OPU 1986

- Benyoucef Benkheuda, les origines du 1er novembre 1954, edition DAHLAB 1989.

- Saad Dahlab, mission accomplie, édition DAHLAB.

- Mandoud Kaddache, l Algerie des algeriens, edition rocher noir 1998

- A.P.S, cahiers du novembre des hommes dans la revolution, ENAP éditions 1987.

- Hacène Ouandjeli, flash sur la revolution, ENAL 1984

- Mahfoud Kaddache, histoire du nationalisme algerien, édition SNED 1980

- Jean-Luc Einaudi, la bataille de paris, Media plus

General Paul Aussaresses, services spéciaux, Algerie 1955 - 1957, mon témoignage sur la torture, edition Perrin

- Yahia Rahal, histoire du pouvoir, un général témoigne, Casbah edition 2007

الفهرس

الموضوع — الصفحة

- المقدمة 3
- جزائر ما قبل التاريخ 4
- البربر 6
- العهد الفينيقي 9
- بشاة قرطاجنة 12
- نظام الحكم و الادارة 11
- الحياة الاقتصادية و الاجتماعية 15
- الحياة الفكرية و الدينية 17
- حروب قرطاجنة 18
- ماسينيسا 21
- العهد الروماني 23
- حكم ملوك النوميديين 26
- الحكم المباشر 28
- الحياة الاقتصادية و الاجتماعية 29
- الحيه الفكرية و الدينية 31
- عهد الوندال 33
- العهد البيزنطي 35
- الفتح العربي الاسلامي للشمال الافريقي 37
- الدولة الرستمية 43
- الحياة السياسية و الاقتصادية و الاجتماعية 46
- دولة الأدارسة 48

- الدولة الأغلبية ... 50
- الدولة العبيدية الفاطمية ... 52
- الدولة الصنهاجية ... 56
- الحماديون ... 58
- الحياة الاقتصادية و الاجتماعية ... 61
- الحياة الدينية و الثقافية و العمرانية ... 62
- دولة المرابطون ... 63
- الأعمال الحضارية لدولة المرابطين ... 67
- دولة الموحدون ... 69
- الأعمال الحضارية لدولة الموحدين ... 75
- الدولة الحفصية ... 77
- دولة بني عبد الواد الزيانية ... 79
- مظاهر الحضارة في دولة بني عبد الواد الزيانية ... 85
- العهد العثماني ... 88
- مأثرة الأخوة عروج و خير الدين بربروس ... 88
- حكم الباي لارمالي ... 92
- حكم الباشوات الثلاثين ... 97
- حكم الأغوات ... 99
- حكم الدايات ... 100
- الحياة السياسية و الاقتصادية و الاجتماعية ... 104
- الحياة الدينية و الثقافية و الفنية ... 109
- الاحتلال الفرنسي ... 111
- أسباب الاحتلال ... 111
- الحملة ضد الجزائر ... 114
- السياسة الاستعمارية ... 118
- مصادرة الأراضي الخاصة و تشجيع الاستيطان ... 148

- محاربة العقيدة و الثقافة الجزائرية 124
- النظام الاستعماري 128
- المقاومة الشعبية 130
- الأمير عبد القادر 131
- الحاج أحمد باي 141
- حمدان بن عثمان خوجة 145
- ثورة الزيبان و الأغواط و الأوراس 148
- ثورة القبائل 151
- ثورة أولاد سيدي الشيخ 154
- انتفاضة 1871 156
- ثورة بوعمامة 158
- ثورة التوارق 160
- انتفاضة عين التركي 161
- قانون التجنيد 162
- المقاومة السياسية 63
- الأمير خالد 164
- نجم شمال افريقيا 167
- جمعية العلماء المسلمين الجزائريين 171
- اتحاد الشعب الجزائري 175
- الحزب الشيوعي الجزائري 178
- حزب الشعب الجزائري و حركة انتصار الحريات الديمقراطية 180
- الوضع الاقتصادي و الاجتماعي و الثقافي قبل اندلاع ثورة نوفمبر 186
- الحرب التحريرية 1954 - 1962 188
- ديلوماسية الحرب 195
- النضال السياسي للمهاجرين الجزائريين أثناء الثورة التحريرية 197
- رد فعل السلطة الفرنسية تجاه الثورة الجزائرية 05

- ردود الفعل الداخلية و الخارجية حول ثورة نوفمبر
- اتفاقيات ايفيان و استقلال الجزائر
-جزائر ما بعد الاستقلال أو الحلم المصادر
-المصادر باللغة العربية
-المصادر باللغة الفرنسي

دار ريحانة للنشر و التوزيع

Alborj.blogspot.com

تم إعادة الرفع بواسطة

مكتبة عسكر

ask2pdf.blogspot.com